

الاجتباء والاختيار

في القرآن الكريم

دراسة لآيات قرآنية جمعها موضوع اجتباء الأنبياء والرسل والآيات والتمرات
واختيار موسى عليه السلام ونبي إسرائيل
ومسائل أخرى متفرقة من مسائل الاختيار

تأليف
فاضل أحمد حسين الجوّاري

Title: **AL-ʾIJTIBĀʾ WAL-ʾIḤTIYĀR
FĪ AL-QURʾĀN AL-KARĪM**

(The choosing and The selection
in the Holy Qurʾān)

Author: Fāḍil Aḥmad Ḥusayn al-Jawārī

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 144

Year: 2006

Printed in: Lebanon

Edition: 1st

الكتاب: الاجتباء والاختيار في القرآن الكريم

المؤلف: فاضل أحمد حسين الجوّاري

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

عدد الصفحات: 144

سنة الطباعة: 2006 م

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى

مَشْهُورَاتُ مَحَدِّثَاتِ بَيْرُوتَ



بَيْرُوتَ
دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved ©
Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة

لدار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
مجزئاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated,
reproduced, distributed in any form or by any means,
or stored in a data base or retrieval system, without the
prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction
même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite
sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite
et exposerait le contrevenant à des poursuites
judiciaires.

الطبعة الأولى

٢٠٠٦ م - ١٤٢٧ هـ

مَشْهُورَاتُ مَحَدِّثَاتِ بَيْرُوتَ

دار الكتب العلمية

بَيْرُوتَ - لِبْنَانُ

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة: رمل الطوريف، شارع البحتري، بتاية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor

هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٢٥ (١ ٩١١)

فروع عرمون، القبّة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.

ص.ب. ٩٤٢٤ - ١١ - بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ١١٠٧٢٢٩

هاتف: ١١ / ٩١١ - ٤٨١٠٤٨١
فاكس: ٩١١ - ٤٨١١٣٤٨١

ISBN 2-7451-5118-5



9 00000 >

9 782745 151186

http://www.al-ilmiyah.com

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ
حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ
عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِنْ رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ
فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ
عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى صاحب الروضة الفيحاء والقبة الخضراء

ومن كشفت له حجب السماء

وتفجر من بين أصابعه الماء

إلى سيوي وحببي أبي الزهراء

وإلى من سعيًا في تربيتي وزرعًا للإيمان والخير

في قلبي ونفسي

أُمِّي وَأَبِي

شكر وعرفان

بعد شكر الله تعالى، فإن أولى من أذكر بالشكر
الجزيل والامتنان الخالص أستاذي المشرف الفاضل

الدكتور عبد الرحمن محمود

لتوجيهه العلمي وملاحظاته القيمة، فقد كان لي
خير معين على إنجاز هذا البحث، فجزاه الله خير الجزاء.

وإلى جميع مشايخي الذين درست العلم عندهم
وإلى كل من مدّ لي يد العون والمساعدة، ولو بكلمة طيبة.

فلهم جميعاً جزيل الشكر والامتنان، سائلاً المولى الكريم أن
يجزيهم خير الجزاء في الدنيا والآخرة إنه نعم المجيب.

المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً فتحدى بأقصر سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء، فلم يجد به قديراً، وأفحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا أنهم سحروا تسحيراً، ثم بين للناس ما نزل إليهم حسبما عنّ لهم من مصالحتهم ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب تذكيراً، فكشف لهم قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات هي رموز الخطاب تأويلاً وتفسيراً، وأبرز غوامض الحقائق ولطائف الدقائق ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت، وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيراً، ومهد لهم قواعد الأحكام وأوضاعها من نصوص الآيات وألماعها ليذهب عنهم الرجس وَيطهرهم تطهيراً، فمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فهو في الدارين حميد وسعيد، ومن لم يرفع إليه رأسه وأطفأ نبراسه يعيش ذمياً ويصلى سعيراً.

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين مُحَمَّد وَعِ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أما بعد :

فإن اللغة العربية تعدّ من أعرق اللغات وأبدعها، لما تحتويه من كثرة في المفردات، وغزارة في المادة وقد شرفها الله سبحانه وتعالى من بين سائر اللغات الأخرى بنزول قرآنه الكريم بلغة العرب، وقد وسعت سنة نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - وآثار العرب العلمية والأدبية منذ العصر الجاهلي وحتى يومنا هذا.

لقد كان القرآن الكريم دستور الأمة الإسلامية الخالد والمنهاج الذي ارتضاه الخالق لإصلاح الخلق، وهو حجة الرسول الكريم محمد - صلى الله عليه وسلم - وآيته الكبرى وهو عماد لغة العرب الأسمى، تدين له اللغة في بقائها وسلامتها وتستمد علومها المختلفة منه.

ومن أجل ذلك كان القرآن الكريم موضع العناية الكبرى من الرسول الكريم -

صلى الله عليه وسلم - وصحابته والمسلمين جميعاً.

وقد انفرد القرآن الكريم من بين الكتب السماوية الأخرى بعناية العلماء والفقهاء واهتمامهم، وأخذت هذه العناية أشكالاً مختلفة، فتارة ترجع إلى أسلوبه وإعجازه، وأخرى إلى لفظه وأدائه، وأخرى إلى كتابته ورسمه، وتارة إلى تفسيره وشرحه إلى غير ذلك من علومه العديدة، فكان أن خص العلماء كل جانب من هذه الجوانب بالبحث والدراسة والتأليف.

وموضوع هذا الكتاب (الاجتباء والاختيار) هو دراسة لآيات قرآنية جمعها موضوع الاجتباء والاختيار في القرآن الكريم.

وقد اقتضت طبيعة البحث ومنهجيته أن أقسم الكتاب على ثلاثة فصول يسبقها تمهيد وتنهيها خاتمة.

تضمن الفصل الأول مبحثين :

المَبْحَثُ الأوَّلُ : الحكمة من بعثة الرسل والأنبياء.

المَبْحَثُ الثَّانِي : الحكمة من اجتناء الرسل.

وتضمن الفصل الثاني : دراسة آيات الاجتناء، وفيه ثلاثة مباحث هي :

المَبْحَثُ الأوَّلُ : اجتناء الأنبياء والرسل - عَلَيْهِمُ السَّلَام - وكان من سبعة

مطالب، هي :

المَطْلَبُ الأوَّلُ : الاطلاع على الغيب.

المَطْلَبُ الثَّانِي : الترابط بين الاجتناء والهداية.

المَطْلَبُ الثَّالِثُ : اجتناء يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام.

المَطْلَبُ الرَّابِعُ : اجتناء إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَام.

المَطْلَبُ الخَامِسُ : اجتناء آدم - عَلَيْهِ السَّلَام.

المَطْلَبُ السَّادِسُ : اجتناء يونس - عَلَيْهِ السَّلَام.

المَطْلَبُ السَّابِعُ : اجتناء ذرية الأنبياء - عَلَيْهِمُ السَّلَام.

أما المَبْحَثُ الثَّانِي فذكرت فيه اجتناء المؤمنين، وتضمن مطلبين :

المَطْلَبُ الأوَّلُ : الترابط بين الاجتناء والمشيمة الإلهية.

المَطْلَبُ الثَّانِي : العلاقة بين الجهاد والاجتناء.

أما المَبْحَثُ الثَّالِثُ فقد درست فيه اجتناء الآيات والثمرات وتضمن مطلبين،

هما :

المَطْلَبُ الأوَّلُ : اجتناء الآيات.

المَطْلَبُ الثَّانِي : اجْتِبَاء الثَّمَرَات .

وفي الفَصْل الثالث درست آيات الاختيار، وتضمن مبحثين :

تناولت في المَبْحَث الأول اختيار موسى - عَلَيْهِ السَّلَام - وبني إسرائيل، وقد

تضمن ثلاثة مطالب :

المَطْلَبُ الأوَّل : اختيار موسى - عَلَيْهِ السَّلَام .

المَطْلَبُ الثَّانِي : الاختيار لميقات الله .

المَطْلَبُ الثَّالِث : اختيار بني إسرائيل .

وفي المَبْحَث الثَّانِي : ذكرت مسائل متفرقة من مسائل الاختيار، وقد تضمن

ثلاثة مطالب :

المَطْلَبُ الأوَّل : الخيرة .

المَطْلَبُ الثَّانِي : تخير الكتاب .

المَطْلَبُ الثَّالِث : تخير الفاكهة في الجنة .

أما منهجي في كتابة البحث فألخصه بما يأتي :

١ - أن أذكر في البدء النص القرآني، ثم أذكر وجه المناسبة وسبب نزول الآية

إن وجد .

٢ - أحلل الألفاظ الغريبة الواردة في الآية .

٣ - أذكر القراءات الواردة في الآية، وركزت على القراءات الصحيحة، أو

القراءات الشاذة لتي لها ارتباط بموضوع البحث .

٤ - بينت الوجوه الإعرابية المختلف فيها، أو ذات العلاقة بمضمون الآية .

٥ - بينت القضايا البلاغية في الآيات موضوع البحث .

٦ - أوجزت المعنى العام للآيات القرآنية .

٧ - ثم بينت ما استفاد من النص .

وختاماً، فهذا عمل متواضع بذلت فيه الجهد وأخلصت له النية وعشت في

أرجائه أسعد الأوقات ؛ لأنه دراسة في رحاب القرآن الكريم لمعرفة خفاياه، فإن

جاء هذا العمل وافياً بالعرض محققاً للقصود فتتوفيق الله سبحانه وتعالى وعنايته،

وإن جاء غير ذلك فقد اجتهدت وبذلت ما في وسعي، وللمجتهد إن أصاب أجرين

وإن أخطأ فله أجر .

التمهيد

تعريف الاجتباء والاختيار

أولاً - تعريف الاجتباء

١ - الاجتباء في اللغة : أصل الاجتباء الجمع، من الفعل جَبَى، يُقَالُ : جَبَيْتُ الْمَاءَ فِي الْحَوْضِ : أَي جَمَعْتُهُ، وَالْحَوْضُ الْجَامِعُ لَهُ جَابِيَةٌ وَجَمَعُهَا جَوَابٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَحَفَانٍ كَلْجَابٍ﴾ (١) (٢).

وهو أيضاً استخراج الأموال من مَظَانِهَا. ومنه اسْتَعْبَرَ جَبَيْتُ الْحَرَاجَ جِبَايَةً (٣).
ومنهُ أيضاً قوله تعالى : ﴿يُجَيِّعُ إِلَيْهِ تَمَرَّتْ كُلُّ شَيْءٍ﴾ (٤).

وَالاجْتِبَاءُ : افتعال من الْجَبَايَةِ، وهو الْجَمْعُ عَلَى طَرِيقِ الْإِضْطِفَاءِ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿فَلَجَبْتَهُ رَبُّدًا﴾ (٥) أَي اخْتَارَهُ وَاضْطَفَاهُ (٦). وغيرها من الآيات التي سأذكرها في هذا البحث .

فالفعل جَبَى أصل لَجَبَى الخِرَاجِ والماء والحوض، وَيَجْبَاهُ وَيَجْبِيهِ : جَمَعَهُ. وَجَبَى يَجْبِي مِمَّا جَاءَ نَادِرًا : مثل أَبِي يَأْبَى، وذلك أَنَّهُمْ شَبَّهُوا الْأَلْفَ فِي آخِرِهِ بِالْهَمْزَةِ فِي قَرَأَ يَقْرَأُ وَهَذَا يَهْدَأُ، وقد قالوا : يَجْبِي، والمصدر جِبْوَةٌ وَجِبِيَّةٌ ؛

(١) سورة سبأ: من الآية ١٣.

(٢) الْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ. لأبي القاسم بن حسين بن مُحَمَّدٍ المعروف بالراغب الأصفهاني. (ت ٥٠٢هـ). أعدّه للنشر وأشرف على الطبع: د. مُحَمَّدُ أَحْمَدُ خَلْفُ اللَّهِ. مكتبة الأنجلو المصرية. (د. ت): ١٦٤.

(٣) يُنْظَرُ النَّهْيَةَ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ. لأبي السعادات مجد الدين بن أبي الكرم مُحَمَّد بن مُحَمَّد ابن عَبْدِ الْكَرِيمِ الشَّيْبَانِيِّ الْجَزْرِيِّ المعروف بـابن الأثير. (ت ٦٣٠هـ). تَحْقِيقٌ: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود مُحَمَّد الطناحي. الطَّبَعَةُ الْأُولَى. المكتبة العلمية. بَيْرُوت. ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م: ٢٣٨/١.

(٤) سورة القصص: من الآية ٥٧.

(٥) سورة القلم: من الآية ٥٠. (٦) الْمُفْرَدَاتُ: ١٦٤.

وَجِبَى وَجَبًا وَجِبَاوَةً وَجِبَايَةً نَادِرٌ^(١).

٢ - الاجتباء في الاصطلاح :

وَاجْتِبَاءُ اللَّهِ الْعَبْدَ تَخْصِيصُهُ إِيَّاهُ بِفَيْضِ الْهِمَى يَتَحَصَّلُ لَهُ مِنْهُ أَنْوَاعٌ مِنَ النَّعْمِ بِلَا سَعْيٍ مِنَ الْعَبْدِ، وَذَلِكَ لِلْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - وَبَعْضُ مَنْ يُقَارِبُهُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾^(٢) ، وبهذا عرفه الراغب الأصفهاني^(٣) ، واختاره المناوي أيضاً^(٤).

لقد وردت كلمة (الاجتباء) بمختلف اشتقاقاتها اللغوية في القرآن الكريم (١١) مرة^(٥).

ثانياً - تعريف الاختيار :

١ - الاختيارُ في اللغة :

الِاخْتِيَارُ : هُوَ تَفْضِيلُ الشَّيْءِ عَلَى غَيْرِهِ^(٦).

وأصل الاختيار من الخير وهو ضد الشر. يقال : خار الله لك : أي أعطاك ما هو خير لك^(٧).

والخيرة بسكون الياء : الاسم منه. فأما بالفتح فهي الاسم ، من قولك : اختاره الله ، ومحمَّد - صلى الله عليه وسلم - خيرة الله من خلقه يقال بالفتح والسكون^(٨).

(١) لِسَانُ الْعَرَبِ. لأبي الفَاضِلِ جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري. (ت ٧١١هـ). الطَبْعَةُ الأُولَى. دار صادر. بِيْرُوت. لُبْنان. ١٩٦٨م : مادة (جبي) ١٤/١٢٩.

(٢) سورة القلم : من الآية ٥٠.

(٣) المَفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ : ٨٧.

(٤) التَّوْقِيفُ عَلَى مَهَمَاتِ التَّعَارِيفِ. لِمُحَمَّدِ عَبْدِ الرَّوُوفِ المَنَاوِي. (ت ١٠٣١هـ). تَحْقِيقٌ : د. مُحَمَّد رضوان الداية. الطَبْعَةُ الأُولَى. دار الفكر المعاصر. دمشق، ودار الفكر للطباعة والنشر. بِيْرُوت. ١٤١٠هـ : ١/٣٥.

(٥) الْمُنْعَمُ المَفْهَرَسُ لِأَلْفَاظِ الْقُرْآنِ الكَرِيمِ. وَضَعَهُ مُحَمَّدُ فُؤَادُ عَبْدِ البَاقِي. الطَبْعَةُ الأُولَى. مطابع الشعب. مصر. ١٣٧٨هـ : ١٦٤.

(٦) المَفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ : ١٦٠.

(٧) يُنظَرُ الصَّحَاحُ تَاجُ اللُّغَةِ وَصَحَاحُ العَرَبِيَّةِ. لِإِسْمَاعِيلِ بن حَمَادِ الجَوْهَرِيِّ. (ت ٣٩٣هـ) تَحْقِيقٌ : أَحْمَدُ عَبْدِ العَفُورِ عَطَا. الطَبْعَةُ الثَّانِيَّةُ. دار العلم للملايين. بِيْرُوت. لُبْنان. ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م : مادة (خير) ٢/٦٥٢.

(٨) الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ. لأبي الطَّاهِرِ مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادي الصَّدِيقِي الشِيرَازِيِّ. (ت ٨١٧هـ). مُوسَسَةُ الرِّسَالَةِ. بِيْرُوت. لُبْنان. (د. ت) : مادة (الخير) ١/٤٩٧.

والاستخارة: طلب الخيرة في الشيء، وهو استفعالٌ منه. يقال: استخِرَ الله يَخِرُ لك، وفلان خَيْرِي من الناس: أي: صَفِيَّي (١).
وفي الحديث الشريف: «تَخَيَّرُوا لِنُطْفِكُمْ» (٢).
أي: اطلُّبُوا ما هو خير المناكح وأزكاها، وأبعد من الخُبث والفجور، أو تخير ما فيه الخير (٣).

ويقال: خير فلان فاختر، أي: جعل له أن يختار منها واحداً، وهو بفتح الخاء (٤). وقد يأتي التخيير بمعنى التفضيل، يقال: خيَّرَ بين الأشياء، أي: فضَّلَ بعضها على بعض (٥).

٢ - الاختيار في الاصطلاح:

عرف الاختيار بأنه: طلب ما فعله خير (٦).

وعرفه الفقهاء بأنه: "القصْد إلى أمر متردد بين الوجود والعدم داخل في قدرة الفاعل بترجيح أحد الجانبين على الآخر" (٧).
ومعلوم أن كلا التعريفين لا يبينان القصد من معنى الاختيار الذي ننشده في القرآن الكريم.

وقيل - وهو الذي أراه راجحاً ويتوافق مع مقصد هذا البحث - : إنه إرادة الشيء بدلاً من غيره.

- (١) يُنظَر تاج العرُوس من جواهر القاموس. لمحيي الدين أبي الفضل مُحَمَّد مرتضى الحسيني الواسطي الحَنَفِي الرُّبَيْدِي. (ت ١٢٠٥هـ). مكتبة الحياة. بَيْرُوت. (د. ت): مادة (خير) ١٩٦/٣.
- (٢) الْمُسْتَدْرَك عَلَى الصَّحِيحَيْنِ. لأبي عَبْدِ اللَّهِ الحافظ مُحَمَّد بن عَبْدِ اللَّهِ الحاكم النَّيْسَابُورِي. (ت ٤٠٥هـ). تَحْقِيق: مصطفى عَبْدِ القادر عطا. الطَّبَعَةُ الأُولَى. دار الكتب العلمية. بَيْرُوت. ١٤١١هـ. ١٩٩٠م: ١٧٦/٢ رقم (٢٦٨٧) قال الحاكم: تابعهم عكرمة بن إبراهيم عن هشام بن عروة.
- (٣) مجمع البُخْرين. لفخر الدين الطريحي. (ت ١٠٨٥هـ). تَحْقِيق: أَحْمَد الحسني. الطَّبَعَةُ الثانية. مكتب نشر الثقافة الإسلاميَّة. ١٤٠٨هـ: مادة (خير) ٧١٧/١.
- (٤) يُنظَر الْمُعْرَب فِي تَرْتِيبِ الْمُعْرَبِ. لأبي الفَتْح ناصر الدِّين بن عَبْدِ السِّيد بن علي بن المطرز. (ت ٦١٠هـ). تَحْقِيق: محمود فاخوري، وعبد الحميد مُختار. مكتبة أسامة بن زَيْد. حلب. الطَّبَعَةُ الثانية. ١٩٧٩م: ٢٧٦/١.
- (٥) لِسَان العَرَب: مادة (خير) ٢٦٤/٤.
- (٦) التَّوْقِيف عَلَى مَهَمَاتِ التعاريف: ٤٢.
- (٧) كَشَف الأَسْرار شَرْح المُصَنَّف عَلَى المنار. لحافظ الدِّين أَبِي البركات عَبْدِ اللَّهِ بن أَحْمَد النسفي. (ت ٧١٠هـ). الطَّبَعَةُ الأُولَى. دار الكتب العلمية. بَيْرُوت. ١٤٠٦هـ. ١٩٨٦م: ٣٨٣/٤.

ويشترط في الاختيار أن لا يكون مع حضور المختار وغيره بالبال فالمختار هو المرید لخیر الشیئین فی الحقیقة، أو خیر الشیئین عند نفسه من غیر إلیاء واضطرار، ولو اضطر الإنسان إلى إرادة شئ لم یسمَّ مختاراً له، لان الاختیار خلاف الاضطرار^(١).

لقد وردت كلمة (الاختیار) بمختلف اشتقاقاتها اللغوية في القرآن الکَرِیم (٦) مرات^(٢).

ثالثاً - الألفاظ ذات الصلة :

هناك ألفاظ ذات صلة بالموضوع، وهي من مرادفات الاجتباء والاختيار، أهمها وأقواها دلالة :

١ - الاصطفاء :

أ - الاصطفاء في اللغة :

الاصطفاءُ : الاختيارُ، اِفْتَعَالٌ من الصَّفْوَةِ. ومنه : النَّبِيُّ المصطفى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَفْوَةُ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ وَمُصْطَفَاهُ وَالْأَنْبِيَاءُ الْمُصْطَفَوْنَ : وهم من الْمُصْطَفَيْنِ إِذَا اخْتِيرُوا، وَهُمْ الْمُصْطَفُونَ إِذَا اختاروا، وهذا بضم الفاء. وَصَفِيُّ الْإِنْسَانِ : أخوه الذي يُصَافِيهِ الْإِخَاءُ. وَالصَّفِيُّ : الْمُصَافِي^(٣).

ب - الاصطفاء في الاصطلاح :

نقل المناوي عن الحرالي تعريف الاصطفاء بأنه : ما خلص من اللطيف عن كئيفه ومكدره^(٤).

واصْطَفَاءُ اللهِ بَعْضَ عِبَادِهِ يَكُونُ بِأَحَدِ شَيْئَيْنِ :

بِإِجَادِهِ تَعَالَى إِيَّاهُ صَافِيًا عَنِ الشُّوبِ الْمَوْجُودِ فِي غَيْرِهِ.

يَكُونُ بِاخْتِيَارِهِ وَبِحُكْمِهِ وَإِنْ لَمْ يَتَعَرَّ ذَلِكَ مِنَ الْأَوَّلِ^(٥).

(١) يُنْظَرُ الفروق اللغوية. لأبي هلال الْحَسَنِ بن عَبْدِ اللهِ بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ) ضبطه وحققه : حُسام الدِّينِ القدسي. دار الكتب العلمية. بَيْرُوت. لُبَّان. (د. ت) : ٢٨.

(٢) الْمُعْجَمُ المفهرس : ٢٤٨.

(٣) لِسَانُ الْعَرَبِ : مادة (صفي) ٤٦٣/١٤.

(٤) التَّوْقِيفُ عَلَى مَهَمَاتِ التَّعَارِيفِ : ٦٩.

(٥) الْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ : ٢٨٣.

فلاصطفاء على هذا : هو اختيار مع اتصاف المختار بنوع فضيلة إما وهبة، أو مكتسبة.

ج - الفرق بين الاصطفاء والاجتباء والاختيار :

الفرق بين الاختيار والاصطفاء : أن اختيارك الشيء أخذك خير ما فيه في الحقيقة أو خيره عندك، والاصطفاء أخذ ما يصفو منه ثم كثر حتى استعمل أحدهما موضع الآخر - واستعمل الاصطفاء فيما لا صفو له على الحقيقة^(١).

والفرق بينه وبين الاجتباء والاختيار، أن الاضطفاء : تَنَاوَلُ صَفْوِ الشَّيْءِ، وَالْإِخْتِيَارُ تَنَاوَلُ خَيْرِهِ، وَالْاجْتِبَاءُ تَنَاوَلُ جِبَائَتِهِ^(٢).

لقد وردت كلمة (الاصطفاء) بمختلف اشتقاقاتها اللغوية في القرآن الكريم (١٦) مرة^(٣).

٢ - الاتخاذ :

أصل الاتخاذ : أَخَذَ، وَالْإِخْذُ بِالْكَسْرِ الْأَسْمُ، وَالْأَمْرُ مِنْهُ خُذْ، وَالْإِتْخَاذُ : انفعال من الأخذ، إلا أنه ادغم بعد تليين الهمزة وإبدال التاء، ثم لما كثر استعماله على لفظ الانفعال توهموا أن التاء أصلية فبنوا منه فعل يفعل فقالوا : تَخَذَ يَتَخَذُ^(٤).

وفي قوله تعالى : ﴿وَأَخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾^(٥)، فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ فِيهِ وَجْهَانِ : أَحَدُهُمَا : - الاضطفاء بِالْمَحَبَّةِ وَالْإِخْتِصَاصِ بِالْأَسْرَارِ دُونَ مَنْ لَيْسَ لَهُ تِلْكَ الْمَنْزِلَةُ.

وَالثَّانِي : - أَنَّهُ مِنَ الْخَلَّةِ، وَهِيَ الْحَاجَّةُ، فَخَلِيلُ اللَّهِ الْمُحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمُنْقَطِعُ إِلَيْهِ بِحَوَائِجِهِ.

فَإِذَا أُرِيدَ بِهِ الْوَجْهُ الْأَوَّلُ جَارَ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللَّهِ وَاللَّهُ تَعَالَى خَلِيلُ إِبْرَاهِيمَ، وَإِذَا أُرِيدَ بِهِ الْوَجْهُ الثَّانِي لَمْ يَجْزَ أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ بِأَنَّهُ خَلِيلُ إِبْرَاهِيمَ، وَجَارَ أَنْ يُوصَفَ إِبْرَاهِيمُ بِأَنَّهُ خَلِيلُ اللَّهِ^(٦).

(١) الفروق اللغوية : ٢٨.

(٢) المفردات في غريب القرآن : ٢٨٣.

(٣) المعجم المفهرس : ٤٠٩.

(٤) مختار الصحاح. لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي. (توفي بعد ٦٦٦هـ). تحقيق : محمود خاطر. الطبعة الأولى. مكتبة لبنان ناشرون. بيروت. ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م : مادة (أخذ) ٤.

(٥) سورة النساء : من الآية ١٢٥.

(٦) ينظر أحكام القرآن. لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص. (ت ٣٧٠هـ). تحقيق محمد الصادق قمحاوي. دار إحياء التراث العربي. بيروت. ١٤٠٥هـ : ٣٩٧/٢ - ٣٩٨.

وقيل : الاتخاذ هو الاقتناء^(١).

ب - الاتخاذ في الاصطلاح :

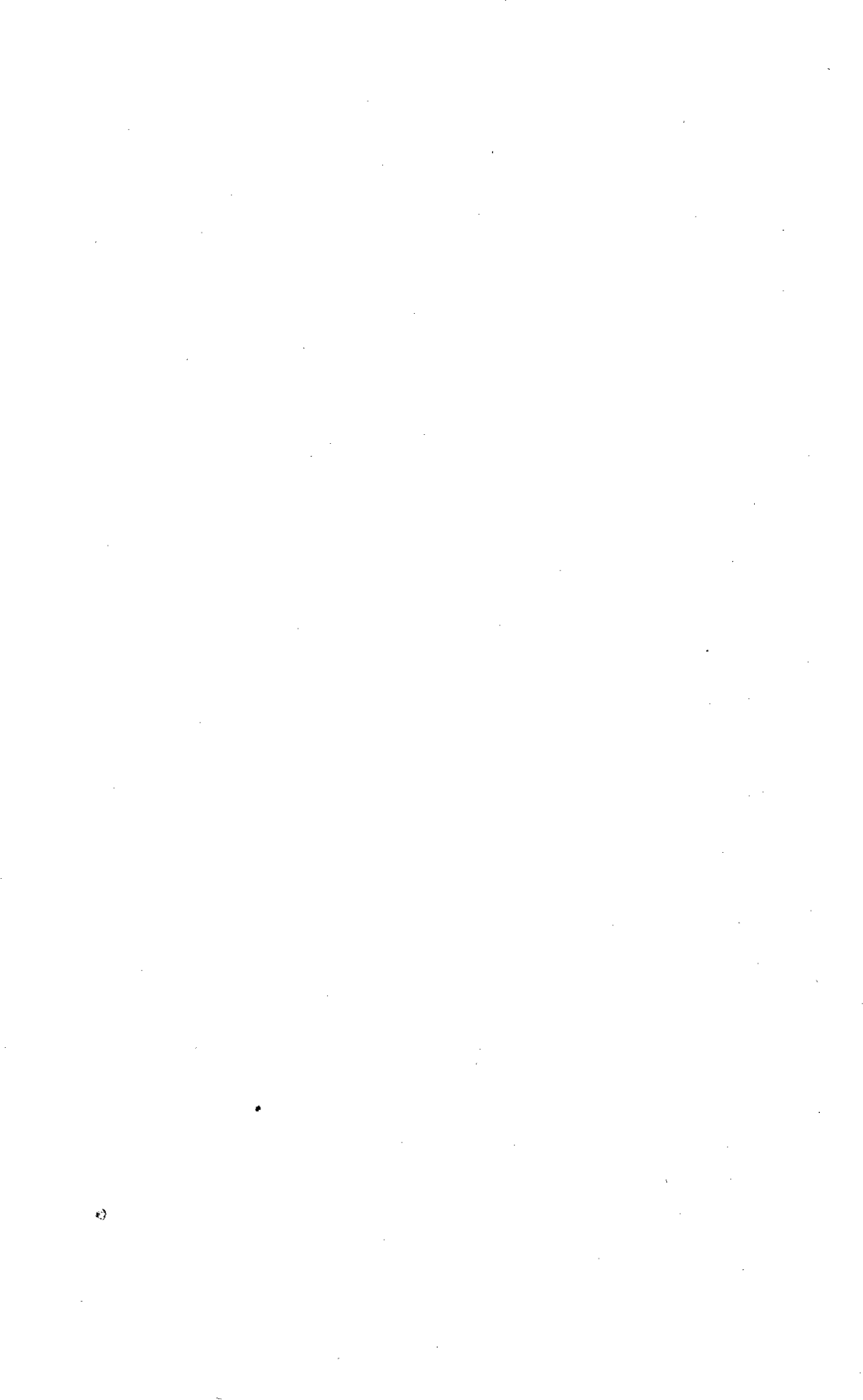
لا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي للكلمة، وعلى هذا يمكن لنا تعريف الاتخاذ بأنه اختيار مصحوب بنوع تملك ؛ لأنه يترتب على الاتخاذ تملك للمأخوذ، سواء أكان التملك معنوي أم مادي.

لقد وردت كلمة (الاتخاذ) بمختلف اشتقاقاتها اللغوية في القرآن الكريم (٢٧٢) مرة^(٢).

وهناك ألفاظ أخرى تفيد معنى الاجتباء نحو : الانتقاء، لكنها لم ترد في القرآن الكريم لذا لم أتناولها هنا.

(١) التزويق على مهمات التعاريف: ٣١.

(٢) المعجم المفهرس: ١٨ - ٢٠.



الفصل الأول

دراسة حكمة اجتناء واختيار الرسل

المَبْحَثُ الأوَّل : الحكمة من بعثة الرسل والأنبياء

المَبْحَثُ الثَّانِي : الحكمة من اجتناء الرسل



الْمَنْحَثُ الْأَوَّلُ

الحكمة من بعث الرسل

إن الاعتقاد ببعثة الرسل - عَلَيْهِمُ السَّلَام - ركن من أركان الإيمان، إذ يجب على كل مؤمن ومؤمنة أن يعتقد أن الله تَعَالَى أرسل رسلاً من البشر مبشرين بشوابه، ومنذرين بعقابه، قاموا بتبليغ أممهم بتبليغه من تنزيه لذاته، وتبيين لسلطانه القاهر على عباده، وتفصيل لأحكامه في فضائل أعمال وصفات يطالبهم بها، وفي نقائص فعال ينهاهم عنها، وأن يعتقد وجوب تصديقهم في أنهم يبلغون ذلك عن الله تَعَالَى، ووجوب الاقتداء بهم في سيرهم، والالتزام بما أمروا به، والكف عما نهوا عنه، وأن يؤمن بأنهم مؤيدون بالعناية الإلهية بما لا يعهد للعقول ولا للاستطاعة البشرية، وأن هذا الأمر الفائق لمعروف البشر هو المعجزة الدالة على صدق النبي في دعواه^(١).

وقد بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٣٣﴾﴾^(٢).

فهؤلاء النبيون يبشرون الناس بالخير والسعادة في الدنيا والآخرة إذا اتبعوا هدى الله، وينذرونهم بالخسران في الدنيا والعذاب في الآخرة إذا اتبعوا شهواتهم وأعرضوا عن أوامر الله.

والقرآن يدعو إلى الإيمان بالرسول جميعاً، قال الله جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿ءَأَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَّنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾^(٣).

فالإسلام بنصوص هذه الآيات وضع أساساً للتعارف والإخاء والوحدة بين

(١) يُنظَر: رسالة التوحيد، للشيخ مُحَمَّدُ عبده، دار المنار، مصر. (د. ت): ٩٧-٩٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١٣.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

شعوب الأرض ؛ لأن الناس متى آمنوا بجميع المرسلين سهل تفاهمهم على ما يبقى بينهم من خلاف.

إن هذه الميزة للإسلام اختص بها وجعلت التوفيق بينه وبين غيره من الأديان سهلاً ممكناً عندما أوجب على متبعيه الإيمان بأنبياهم جميعاً واحترامهم، وأن أهل كل دين يجدون احترام رسلهم في القرآن، بينما يجدون انتقاص رسلهم وأديانهم في الديانات الأخرى.

لقد اقتضت سنة الله تعالى في البشرية أن يرسل إلى كل أمة رسولاً من أنفسهم يسلك بهم الطريق الذي يؤدي بهم إلى ما فيه إسعادهم وخيرهم قال الله سبحانه : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(١)، وقال تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(٢).

وقد ذكر القرآن الكريم خمسة وعشرين رسولاً ؛ إلا أنه صرح بأن هناك رسلاً غيرهم، قال تبارك اسمه : ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾^(٣).

إن إرسال الرسل - عليهم السلام - ليس بممتنع عقلاً ؛ لأن الله عز وجل خالق الخلق ومالكهم، فمن له الخلق والأمر والملك، له أن يتصرف في ملكه ومماليكه كما يشاء، فجاز أن يأمرهم وينهاهم لينتفعوا بذلك، وينالوا خير الدنيا والآخرة، وهذا ما لا استحالة به أصلاً، فجاز إرسالهم، وإن إرسال الرسل - عليهم السلام - في الحكمة من الواجبات لوجهين :

أحدهما : إن شكر نعمة المنعم واجب عقلاً وشرعاً، والعقل لا يهتدي لمعرفة ذلك بطريق التفصيل إلا بالسمع، والسمع بإرسال الرسل فكان واجباً قضية للحكم.

والآخر : إن في بعث الرسل إثبات الحججة، وقطع الحججة للحكم وتحقيق ما وعد الله عز وجل بالجنة والنار ؛ لأنهم لو لم يبعثوا لثبت للكفار حجة في عدم إيمانهم، كما قال تعالى : ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(٤) فإذا كان بعثهم لهذه الحكمة، فيكون واجباً.

والمقصود بالوجوب أن من قضية الحكمة أن يوجد لا محالة ؛ لا أنه يجب

(١) سورة النحل : من الآية ٣٦.

(٢) سورة فاطر : من الآية ٢٤.

(٣) سورة النساء : من الآية ١٦٤.

(٤) سورة النساء : الآية ١٦٥.

على الله تعالى بإيجابه أو بإيجاب غيره عليه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً^(١).

لقد أخبر الله تعالى أنه بعث في كل أمة، وفي كل طائفة وقرن من الناس رسولاً بهذه الكلمة : ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصَّلٰوةَ﴾^(٢)، أي : اعبدوا الله وحده واتركوا عبادة ما سواه، فلهذا خلقت الخليقة وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، كما قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(٣).

وقال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾^(٤).

وهذه الآية هي معنى (لا إله إلا الله)، فإنها تضمنت النفي والإثبات كما تضمنته (لا إله إلا الله)، ففي قوله : (اعبدوا الله) الإثبات، وفي قوله : (اجتنبوا الطاغوت) النفي، فدللت الآية على أنه لا بد في الإسلام من النفي والإثبات، فيثبت العبادة لله وحده، وينفي عبادة ما سواه.

وطريقة القرآن في مثل هذا أن يقرن النفي بالإثبات، فينفي عبادة ما سوى الله ويثبت عبادته وهذا هو حقيقة التوحيد، والنفي المحض ليس بتوحيد، وكذلك الإثبات بدون النفي، فلا يكون التوحيد إلا متضمناً للنفي والإثبات، وهذا حقيقة لا إله إلا الله^(٥).

فالحكمة من إرسال الرسل : هو عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، وإن أصل دين الأنبياء واحد وهو الإخلاص في العبادة لله، وإن اختلفت شرائعهم، كما قال تعالى : ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾^{(٦)(٧)}.

(١) أصول الدين. لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي. (ت ٤٢٩هـ). الطبعة الأولى. مطبعة الدولة. استنبول. ١٣٤٦هـ. ١٩٢٨م : ١٢٠.

(٢) سورة النحل : من الآية ٣٦.

(٣) سورة الأنبياء : من الآية ٢٥.

(٤) سورة الرعد : من الآية ٣٦.

(٥) بدائع الفوائد. لأبي عبد الله مُحَمَّد بن أَبِي بَكْرٍ أَيُّوب الزرعي المعروف ب(ابن قيم الجوزية). (ت ٧٥١هـ). تَحْقِيق : هشام عَبْد الْعَزِيز عطا، وعادل عَبْد الحميد العدوي. الطبعة الأولى. مكتبة نزار مصطفى الباز. مكة المكرمة. ١٤١٦هـ. ١٩٩٦م : ١/١٤١.

(٦) سورة المائدة : من الآية ٤٨.

(٧) الفصل في الملل والأهواء والنحل. لأبي مُحَمَّد علي بن أَحْمَد بن سعيد بن حزم الظاهري. (ت ٥٤٨هـ). مكتبة الخانجي. القاهرة. (د. ت) : ١/٦٣.

هذا وإن مدار التكليف في الإسلام متضمن لمكارم الأخلاق، ومحاسن الأفعال، وصدق القول، والإحسان إلى الخليفة، وتكميل النفس وهجر الموبقات والسيئات، والتنزه عنها، مع تعريضه بذلك التكليف للشواب الجزيل الدائم، ومجاورة ربه في دار البقاء، وبها يفترق الإنسان عن غيره من المخلوقات، التي تأكل وتشرب وتنكح كالبهائم، فكان إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وتشريع الشرائع، وتقرير الأحكام ما يليق بالنفس الإنسانية، وتكريمها.

ولهذا سمى سبحانه إرسال الرسل، وتكليف الناس بالأحكام نعمة ومنة وفضلا ورحمة، وأخبر أن الفرح به خير من الفرح بالنعمة المشتركة بين الأبرار والفجار، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا﴾^(١) فنعمة الله هاهنا نعمته برسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - وما بعثه به من الهدى ودين الحق.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَزَكَّيَهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْل لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْل لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٣) وَعَآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ^(٤) ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ^(٥).

وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٦).

وقال: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(٧).

وقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٨).

وقال: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهَا﴾^(٩).

وقال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَنَعِمْنَا وَلَكِنِ اللَّهُ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾^(١٠) فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ^(١١).

وقال لرسوله: ﴿وَأَنزَلْنَا اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ

- | | |
|--------------------------------|----------------------------------|
| (١) سورة إبراهيم: من الآية ٢٨. | (٢) سورة آل عمران: الآية ١٦٤. |
| (٣) سورة الجمعة: الآيات ٢-٤. | (٤) سورة الأنبياء: من الآية ١٠٧. |
| (٥) سورة يونس: الآية ٥٨. | (٦) سورة المائدة: من الآية ٣. |
| (٧) سورة البقرة: من الآية ٢٣١. | (٨) سورة الحجرات: الآيات ٧-٨. |

وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا^(١).

وهل النعمة والفضل في الحقيقة إلا ذلك وتوابعه، وثمرته في القلوب والأبدان في الدنيا والآخرة، وهل في العقول السليمة والفترة المستقيمة أحسن من ذلك وأليق بكمال الرب وأسمائه وصفاته^(٢)؟

وكان في إرسال مُحَمَّد - صلى الله عليه وسلم - لما كان خاتم الرسل من الحكمة البالغة، والمنن السابغة ما لم يكن في رسالة رسول غيره - صلوات الله عليهم أجمعين -^(٣).

المَبْحَثُ الثَّانِي

الحكمة من اجتناء الرسل

إن الذي يتبادر إلى الذهن أن أول مبادئ الاضطفاء أو الاجتناء، أو الاختيار، هو التحقق بالعبودية لله تعالى، التي هي أسمى المقامات والمنازل، فالله تعالى حين يصطفي من خلقه رسلاً مع ثبوت التشريف لهذا المصطفى، إلا أن فيه تحقق كامل في مراتب العبودية.

وإن الله إذ يصطفي ويختار ويستخلص من خلقه رسله، إنما لفضيلة ذاتية في المصطفين المختارين، أو فضل ما اصطفاه الله تعالى.

وإن الله سبحانه وتعالى هو المنفرد بالخلق والاختيار من المخلوقات، والمراد بالاختيار الاجتناء والاضطفاء فهو اختيار بعد الخلق والاختيار العام اختيار قبل الخلق، فهو أعم وأسبق^(٤).

(١) سورة النساء: من الآية ١١٣.

(٢) يُنظَرُ: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل. لأبي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّد بن أَبِي بَكْرٍ المعروف بابن قيم الجوزية. (ت ٧٥١هـ). تَحْقِيق: مُحَمَّد بدر الدِّين أبو فراس النعساني الحلبي. دار الفكر للطباعة والنشر. بَيْرُوت. ١٣٩٨هـ: ٢٦٧.

(٣) الجواب الصَّحِيح لمن بدل دين المسيح. لأبي العباس أَحْمَد بن عَبْدِ الحليم بن تيمية الحارثي. (ت ٧٢٨هـ). تَحْقِيق: د. علي حسن ناصر، ود. عَبْدِ العَزِيزِ إِبراهيم العسكر، ود. حمدان مُحَمَّد. دار العاصمة. الرياض. ١٤١٤هـ: ٤٥١/٦.

(٤) يُنظَرُ: زاد المعاد في هُدَى خير العباد. لأبي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّد بن أَبِي بَكْرٍ أَيُّوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية. (ت ٧٥١هـ). تَحْقِيق: شُعْبُ الأرنؤوط. وعبد القادر الأرنؤوط. مؤسسة الرِّسَالَة. مكتبة المنار الإسلاميّة. بَيْرُوت. الكويت. الطَّبْعَة الرابعة عشر. ١٤٠٧هـ. ١٩٨٦م: ١/

ومن يتأمل أحوال الخلق يرى الاختيار والتخصيص فيه دالاً على ربوبيته تعالى ووحدانيته وكمال حكمته وعلمه وقدرته، وأنه الله الذي لا إله إلا هو، فلا شريك له يخلق كخلقه، ويختار كاختياره، ويدبر كتدبيره فهذا الاختيار والتدبير والتخصيص المشهود أثره في هذا العالم من أعظم آيات ربوبيته، وأكبر شواهد وحدانيته، وصفات كماله، وصدق رسله، فخلق الله السماوات سبعاً، فاختر العلياً منها فجعلها مستقر المقربين من ملائكته، واختصها بالقرب من كرسية ومن عرشه، وأسكنها من شاء من خلقه، فلها مزية وفضل على سائر السماوات، ولو لم يكن إلا قربها منه تبارك وتعالى. وهذا التفضيل والتخصيص مع تساوي مادة السماوات من آيين الأدلة على كمال قدرته وحكمته، وأنه يخلق ما يشاء ويختار^(١).

ومن هذا اختياره من الملائكة المصطفين منهم على سائرهم، وكذلك اختياره سبحانه للأنبياء من ولد آدم - عليه وعليهم الصلاة والسلام -، واختياره الرسل منهم، واختار منهم الخليلين إبراهيم ومحمداً - صلى الله عليهما وآلهما وسلم - ومن هذا اختياره سبحانه ولد إسماعيل من أجناس بني آدم، ثم اختار منهم بني كنانة من خزيمة، ثم اختار من ولد كنانة قريشاً، ثم اختار من قريش بني هاشم، ثم اختار من بني هاشم سيد ولد آدم محمد، وكذلك اختار أصحابه من جملة العالمين، واختار منهم السابقين الأولين، واختار منهم أهل بدر، وأهل بيعة الرضوان، واختار لهم من الدين أكمله، ومن الشرائع أفضلها، ومن الأخلاق أزكاها وأطيبها وأطهرها. واختار أمته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على سائر الأمم^(٢).

وظهر أثر هذا الاختيار في أعمالهم وأخلاقهم وتوحيدهم ومنازلهم في الجنة، ومقاماتهم في الموقف، ومن تفضيل الله لأمته واختياره لها أنه وهبها من العلم والحلم ما لم يهبه لأمة سواها، ومن هذا اختياره سبحانه وتعالى من الأماكن والبلاد خيرها وأشرفها، وهي البلد الحرام، فإنه سبحانه وتعالى اختاره لنبيه، وجعله مناسك لعباده، وأوجب عليهم الإتيان إليه من القرب والبعد من كل فج عميق، فلا يدخلونه إلا متواضعين متخشعين متذللين كاشفي رؤوسهم متجردين عن لباس أهل الدنيا وجعله حرماً آمناً لا يسفك فيه دم^(٣).

والاجتناء والاصطفاء لا يكون قاصراً على الرسل، فالدين أيضاً مما اصطفاه

(١) يُنظَر: زاد المعاد: ٤٢/١.

(٢) يُنظَر: الْمُضَدَّرُ نَفْسِهِ ٤٣/١-٤٤.

(٣) يُنظَر: زاد المعاد: ٤٦/١.

اللَّهُ تَعَالَى لَنَا رِعَايَةٌ لِمَصْلَحَتِنَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَيْنَهُ وَيَعْقُوبَ بَيْنِي إِنْ اللَّهُ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾^(١).

وهذا الذي أوصى به يعقوب - عَلَيْهِ السَّلَام - بنيه، نظير الذي أوصى به إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَام - بنيه من الحث على طاعة الله والخضوع له والإسلام، ويعني تعالى ذكره بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الَّذِينَ﴾، إن الله اختار لكم هذا الدين الذي عهد إليكم فيه واجتناءه لكم، ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، أي فلا تفارقوا هذا الدين وهو الإسلام أيام حياتكم، وذلك أن أحداً لا يدري متى تأتبه منيته، فلذلك قال لهم: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾؛ لأنكم لا تدرون متى تأتیکم مناياكم من ليل أو نهار فلا تفارقوا الإسلام فتأتیکم مناياكم، وأنتم سادرون غافلون عن الدين الذي اصطفاه لكم ربكم، فتموتوا وربكم ساخط عليكم فتهلكوا^(٢).

وَأَعْلَمَ اللَّهُ تَعَالَى أَن أَنْبِيَاءَهُمْ صِفْوَتُهُ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾^(٣).

وخص آدم ونوحاً بإعادة ذكر اصطفائهما، وذكر إبراهيم - عليه السلام - فقال: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾^(٤)، وذكر إسماعيل بن إبراهيم، فقال: ﴿وَأَذْكُرَ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾^(٥)، ثم أنعم الله عز وجل على آل إبراهيم وآل عمران في الأمم، ثم اصطفى محمداً - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من خير آل إبراهيم وأنزل كتبه قبل إنزال القرآن على محمد - صلى الله عليه وسلم - بصفة فضيلته وفضيلة من اتبعه، فقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرِيمٌ أَخْرَجَ شَطْرَهُ فَآذَنَهُ فَاسْتَقَلَّ فَاسْتَوَىٰ عَلَى سَوْفِهِ يُعْجِبُ الرُّزُقَ لِيُعْطِيَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٦﴾﴾^(٦)، وقال لأمته: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٢.

(٢) يُنظَرُ: الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ.. لأبي عَبْدِ اللَّهِ شمس الدين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن أَبِي بَكْر بن فَرَح الأنصاري الحَزْرَجِي القُرْطُبِي. (ت ٦٧١هـ). تَحْقِيق: أَحْمَد بن عَبْدِ الْعَلِيمِ البَرْدُونِي. الطَّبَعَةُ الثَّانِيَّة.

دار الشعب. القاهرة. ١٣٧٢هـ: ١/٥٦٠-٥٦١.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٣٣.

(٤) سورة النساء: من الآية ١٢٥.

(٦) سورة الفتح: الآية ٢٩.

(٥) سورة مريم: الآية ٥٤.

وَأَكْرَهُمُ الْفٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾^(١)، فضلهم بكيونتهم من أمته دون أمم الأنبياء قبله^(٢). وما يؤيد أن المصطفين لحمل الرسالة هم خيرة خلقه، قوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : ((إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم))^(٣)، وبهذا جاء النص القرآني: ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّلْجِدِينَ﴾^(٤).

ومع السمات العالية التي اتصف بها الرسل، إلا أن الاصطفاء في الحقيقة كان من غير سبب ظاهر، ولا وسيلة، فموسى - عَلَيْهِ السَّلَام - خرج ليقبس النار، فرجع وهو كليم الواحد القهار وأكرم الخلق عليه ابتداء منه سبحانه من غير سابقة استحقاق ولا تقدم وسيلة. وفي مثل هذا قيل :

أيها العبد كن لما لست ترجو منه صلاح أرجى لما أنت راجي
إن موسى أتى ليقبس ناراً من ضياء رآه والليل داجي
فانثنى راجعاً وقد كلمه الله وناجاه وهو خير مناجي^(٥)

وفي هذا السياق يبرز قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلٰٓئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفٰكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفٰكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعٰلَمِيْنَ﴾^(٦).

والمعنى : أن الله تَعَالَى اختارك واجتباك لطاعته، وما خصك به من كرامته، وطهر دينك من الريب والأدناس التي في أديان نساء بني آدم، واصطفاك على نساء

(١) سورة آل عمران: الآية ١١٠.

(٢) يُنظَرُ: أَحْكَامُ الْقُرْآن. لأبي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ. (ت ٢٠٤هـ). جمعه الإمام أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى الْبَيْهَقِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ. (ت ٤٥٨هـ) عرف الكتاب وكتب تقدمته: مُحَمَّدُ زَاهِدُ بْنُ الْحَسَنِ الْكُوْتَرِيُّ. (ت ١٣٧١هـ). حققه: عَبْدِ الْغَنِيِّ عَبْدِ الْخَالِقِ. دار الكتب العلمية. بَيْرُوت. ١٩٧٥م: ٤/٢.

(٣) صَحِيحُ مُسْلِمٍ. لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. (ت ٢٦١هـ). تَحْقِيقٌ: مُحَمَّدُ فُؤَادُ عَبْدِ الْبَاقِي. دار إحياء التُّراثِ الْعَرَبِيِّ. بَيْرُوت. (د.ت): ٤/١٧٨٢ رقم (٢٢٧٦) من حديث واثلة بن الأسقع. رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ..

(٤) سورة الشعراء: الآية ٢١٩.

(٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. لابن قيم الجوزية. (ت ٧٥١هـ). تَحْقِيقٌ: مُحَمَّدُ حَامِدُ الْفَقِي. الطَّبَعَةُ الثَّانِيَّة. دار الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ. بَيْرُوت. ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م: ٢/٤٥٧. والشعر دون نسبة.

(٦) سورة آل عمران: الآية ٤٢.

العالمين، يعني : اختارك على نساء العالمين في زمانك بطاعتك إياه ففضلك عليهم^(١).

ونحو هذا ما رواه عبد الله بن جعفر قال : ((سمعت علياً - رضي الله عنه - يقول : سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول خير نساؤها مريم ابنة عمران، وخير نساؤها خديجة))^(٢).

فالباحث في الموضوع لا يرى سبباً ظاهراً لهذا الاصطفاء إلا المشيئة الإلهية البحتة، نعم هناك خصال سامية جبل عليها المجتوبون، ولكن هل هذه الصفات توافرت بعد الاجتناء أم قبله؟ وهل كان يندر وجود مثل هذه الصفات في غيره أم لا؟ ثم أليس الله تعالى بقادر على أن يخلق مثل هذه الصفات في غيرهم؟

إن الجواب عن هذه التساؤلات يؤيد القول إن الاصطفاء هو تعبير عن مشيئة ربانية، وهي خارجة عن كسب العبد وإرادته، وإن كان بعضهم قد فضل على غيره بسبب من نسب، أو حسب، أو صلة من نوع ما، كما هو الحال في اصطفاء أولاد إبراهيم - عَلَيْهِمُ السَّلَام - أو أولاد يعقوب - عَلَيْهِمُ السَّلَام - أو المنزلة التي تبوأها الحسن والحسين - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - بصفتها سيداً شباب أهل الجنة^(٣) لقربهم من الرَّسُول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأن اجتناء مريم لقربتها من زكريا - عَلَيْهِمَا السَّلَام - إلا أن في اجتناء غيرهم لا يقف الإنسان على سبب ظاهر، أو أن السبب الظاهر قد يشترك فيه المئات من الناس، فلا يمكن الوقوف على سبب ظاهر واضح، وفصل الخطاب في ذلك قوله تعالى : ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾^(٤).

ومن اجتناء موسى - عَلَيْهِ السَّلَام - أو اجتناء أخيه هارون - عَلَيْهِ السَّلَام - بناء على طلب أخيه، أو اجتناء امرأة فرعون التي قال تعالى فيها : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف ب(تفسير الطَّبْرِيِّ). لأبي جعفر مُحَمَّد بن جَرِير بن يَزِيد ابن خالد الطَّبْرِيِّ. (ت ٣١٠هـ). دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت. ١٤٠٥هـ : ٢٦٢/٣.

(٢) صَحِيحُ البُخَارِيِّ. لأبي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل بن إِبراهيم بن الْمُغِيرَةَ بن بَرْدِزْبَةَ الجُعْفِيِّ. (١٩٤. ٢٥٦). تقديم : أَحْمَدُ مُحَمَّد شَاكِر. دار إحياء التُّرَاثِ العَرَبِيِّ. لُبْنَان طبعة مصورة على الطَّبْعَةِ السُّلْطَانِيَّةِ التي طبعت بالمطبعة الأميرية ببولاق مصر ١٣١١هـ - ١٣١٣هـ : ١٢٦٥/٣ رقم (٣٢٤٩).

(٣) من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - صَحِيحُ ابْنِ جِبَّانَ بترتيب ابن بلبان. لأبي حاتم مُحَمَّد بن جِبَّانَ بن أَحْمَد التميمي البستي. (ت ٣٥٤هـ). تَحْقِيقُ : شعيب الأرنؤوط. الطَّبْعَةُ الثانية. مؤسسة الرِّسَالَةِ. بيروت. ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م : ٤١٢/١٥ رقم (٦٩٥٩).

(٤) سورة آل عمران : من الآية ١٧٩.

لِلَّذِينَ آمَنُوا أَمَرَاتٍ فَرَعُونَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْرِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾^(١)، فمثل هذا الدعاء، أو الموقف الذي اتخذته امرأة فرعون قد لا يقارن بما وقفته بعض الصحابيات - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ - مثل نسيبة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - التي زادت عن رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالسيف، وجاهدت من أجل الإسلام خير جهاد، ولكنها لم ترتق إلى منزلة امرأة فرعون.

ومع أن مريم بنت عمران كانت قريبة زكريا - عَلَيْهِ السَّلَام - إلا أن بعض النساء كن اقرب إلى بعض الأنبياء مثل سارة، وهاجر، وبنات مدين، وغيرهن، إلا أن مريم اختصت بهذا الفضل، قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَتَ فَرْجَهَا فَتَنَّاكَا فِيهِ مِنْ زَوْجِنَا وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُ الْإِسْلَامِ وَكَانَتْ مِنَ الْمُقْسِمِينَ﴾^(٢).

والأمثلة والشواهد على ذلك كثيرة جداً، ولكنني أجد في قوله تعالى تفسير لسبب هذه الفضيلة: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَنِيُّ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ تَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ وَتُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَبِيدُ بِرَبِّكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣).

(١) سورة التحريم: الآية ١١.

(٢) سورة التحريم: الآية ١٢.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٢٦.

الفصل الثاني

دراسة آيات الاجتباء

ويتضمن ثلاثة مباحث :

المَبْحَثُ الأَوَّلُ : اجتباء الأنبياء والرسل - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

المَبْحَثُ الثَّانِي : اجتباء المؤمنين.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ : اجتباء الآيات والثمرات.

آيات الاجتباء

- ١ - قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَاتَّبِعُوا بِاللَّهِ وِرْثَةَ رَسُولِهِ وَلَئِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتِكُمْ فَاصْبِرُوا إِنَّ آيَاتِنَا لِلْمُقِيمِينَ الصَّالِحِينَ ﴿١٧٩﴾ (١).
- ٢ - وقال تعالى اسمه: ﴿وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٧٧﴾ (٢).
- ٣ - وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٣١﴾ (٣).
- ٤ - وقال تبارك وتعالى: ﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٣٢﴾ (٤).
- ٥ - وقال جل جلاله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَكَبَّرُوا ﴿٥٨﴾ (٥).
- ٦ - وقال عز وجل: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَاهُ ﴿١٣٣﴾ (٦).
- ٧ - وقال تبارك اسمه: ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٩﴾ (٧).
- ٨ - وقال الله سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَّبِعُوا فِيهِ كِبْرًا عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣٤﴾ (٨).
- ٩ - قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِن

- | | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| (١) سورة آل عمران: الآية ١٧٩. | (٢) سورة الأنعام: الآية ٨٧. |
| (٣) سورة يوسف: الآية ٦. | (٤) سورة النحل: الآية ١٢١. |
| (٥) سورة مريم: الآية ٥٨. | (٦) سورة طه: الآية ١٢٢. |
| (٧) سورة القلم: الآية ٥٠. | (٨) سورة الشورى: الآية ١٣. |

حَرَجَ نَمْلَةً أَيْبِكُمْ إِنْزِهِمْ هُوَ سَمَنَكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ رَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ (١).

١٠ - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أُنشِئُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّيكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٢١﴾﴾ (٢).

١١ - قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنْ نَجَّيْنَاكَ مِنَ الْهَدْيِ مَعَكَ نَخَظِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِئُ إِلَيْهِ تَمَرْتُ كُلِّ شَيْءٍ وَزَقَا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ (٣).

آيات الاختيار

١ - قوله تعالى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٢﴾﴾ (٤).

٢ - قوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا أَلِيمِينَ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَرَأَيْتُ أَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فَنَلْنَاكَ نُضِلُّ بِهَا مِنْ نَشَاءٍ وَتَهْدِي مَنْ نَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٩﴾﴾ (٥).

٣ - قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ وَآيَاتِهِمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاغٌ مُبِينٌ ﴿٢٣﴾﴾ (٦).

٤ - قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْغِيظُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ (٧).

٥ - يقول تعالى في إفحامه للمعانددين: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٧٧﴾﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَأَمْثَلًا يُحْزِنُونَ ﴿٧٨﴾﴾ (٨).

٦ - قوله تعالى: ﴿وَفَلَاكِهِمْ مِمَّا يَتَخَبَّزُونَ ﴿٦٠﴾﴾ وَلَمْ يَطَّرِ مِمَّا يَسْتَهْوُونَ ﴿٦١﴾﴾ (٩).

المَبَحْثُ الْأَوَّلُ

اجتباء الأنبياء والرسل - عَلَيْهِمُ السَّلَام -

إن أغلب الآيات القرآنية التي ورد فيها الاجتباء في القرآن الكريم ارتبط بذكر

- | | |
|------------------------------------|-----------------------------------|
| (١) سورة الحج: الآية ٧٨. | (٢) سورة الأعراف: الآية ٢٠٣. |
| (٣) سورة القصص: الآية ٥٧. | (٤) سورة طه: الآية ١٣. |
| (٥) سورة الأعراف: من الآية ١٥٥. | (٦) سورة الدخان: الآيتان ٣٢ - ٣٣. |
| (٧) سورة القصص: الآية ٦٨. | (٨) سورة القلم: الآيتان ٣٧ - ٣٨. |
| (٩) سورة الواقعة: الآيتان ٢٠ - ٢١. | |

الأنبياء والمرسلين - عَلَيْهِمُ السَّلَام - وكيف اجتباهم الله تَعَالَى للنبوّة أو للرسالة أو لكليهما معاً، إذ ورد اجتباء الأنبياء والمرسلين في سبع آيات من مجموع (١١) آية.

وهذه الآيات هي :

١ - قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تَوَيْمُوا وَتَوَقَّعُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ (١).

٢ - وقال تَعَالَى اسْمُهُ: ﴿وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَأَجْنِبَتِهِمْ وَهَدَيْتَهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾ (٢).

٣ - وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْآحَادِيثِ وَيُتِمُّ نَجْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ (٣).

٤ - وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١١١﴾﴾ (٤).

٥ - وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرَوْا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾﴾ (٥).

٦ - وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ (٦).

٧ - وقال تَبَارَكَ اسْمُهُ: ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٦﴾﴾ (٧).

وسأتناول كل آية من الآيات المباركة - حسب تسلسل ورودها - بالتحليل في مطلب مستقل إن شاء الله تَعَالَى.

المطلب الأول

الاطلاع على الغيب

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تَوَيْمُوا وَتَوَقَّعُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ (٨).

- | | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| (١) سورة آل عمران: الآية ١٧٦. | (٢) سورة الأنعام: الآية ٨٧. |
| (٣) سورة يوسف: الآية ٦. | (٤) سورة النحل: الآية ١٢١. |
| (٥) سورة مريم: الآية ٥٨. | (٦) سورة طه: الآية ١٢٢. |
| (٧) سورة القلم: الآية ٥٠. | (٨) سورة آل عمران: الآية ١٧٦. |

تحليل الألفاظ :

لِيَذَرَ : يقالُ : فلانٌ يَذُرُ الشيءَ ، أي : يَقْدِفُهُ لِقَلَّةِ لِقْدَادِهِ به - كَمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ - إِلَى أَمْثَالِهِ^(١).

يَعِيْرُ : المِيْرُ وَالتَّمْيِيْزُ الْفَضْلُ بَيْنَ الْمُتَشَابِهَاتِ ، يُقَالُ : مَا زَهُ يَمِيْرُهُ مِيْرًا وَمِيْرُهُ تَمْيِيْرًا ، وَالتَّمْيِيْرُ يُقَالُ تَارَةً لِلْفَضْلِ ، وَتَارَةً لِلْقُوَّةِ الَّتِي فِي الدِّمَاغِ ، وَبِهَا تُسْتَنْبِطُ الْمَعَانِي ، وَمِنْهُ يُقَالُ فُلَانٌ لَا تَمْيِيْرَ لَهُ ، وَيُقَالُ انْمَارٌ وَامْتَارٌ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَاتَّزُوا الْيَوْمَ ﴾^(٢) ، وَتَمْيِيْرٌ مَطَاوِعٌ مَارٌ ، أَي : انْفَصَلَ وَانْقَطَعَ ، قَالَ تَعَالَى اسْمُهُ : ﴿ تَكَادُّ تَمْيِيْرٌ مِنَ الْفَيْطِ ﴾^{(٣)(٤)}.

الْخَبِيْثُ : خَبَثَ الشَّيْءُ خَبَاثَةً وَخُبْنًا ، فَهُوَ الْمُخْبِثُ وَالْخَبِيْثُ : مَا يُكْرَهُ رَدَاءَةً وَخَسَاسَةً مَخْسُوسًا كَانَ أَوْ مَعْقُولًا ، وَأَصْلُهُ الرَّدِيُّ الدُّخْلَةُ الْجَارِي مَجْرَى خَبَثِ الْحَدِيدِ ، وَذَلِكَ يَتَنَاوَلُ الْبَاطِلَ فِي الْأَشْيَاءِ^(٥).

الطَّيْبُ : الطَّاءُ وَالْيَاءُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيْحٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الْخَبِيْثِ. مِنْ ذَلِكَ الطَّيْبُ : ضِدُّ الْخَبِيْثِ ، يُقَالُ سَبِيٌّ طَيِّبٌ ، أَي : طَيِّبٌ ، يُقَالُ : طَابَ شَيْءٌ يَطِيْبُ طَيِّبًا فَهُوَ طَيِّبٌ ، وَأَصْلُ الطَّيْبِ مَا تَسْتَلِذُّهُ الْحَوَاسُّ وَمَا تَسْتَلِذُّهُ النَّفْسُ ، وَالْخَبِيْثُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْأَعْمَالُ السَّيِّئَةُ^(٦).

لِيُظْلِعَكُمْ : طَلَعَ الشَّمْسُ طُلُوعًا وَمَظْلَعًا ، وَالْمَظْلِعُ مَوْضِعُ الطُّلُوعِ. وَعَنْهُ اسْتُعِيرَ طَلَعَ عَلَيْنَا فُلَانٌ وَاطَّلَعَ ، وَأُظْلِعَهُ عَلَى الشَّيْءِ : أَعْلَمَهُ^(٧).

الْعَيْبُ : الْعَيْبُ مَضْدَرٌ غَابَتِ الشَّمْسُ وَعَبَّرَهَا ، إِذَا اسْتَتَرَتْ عَنِ الْعَيْنِ ، يُقَالُ : غَابَ عَنِّي كَذَا ، وَاسْتُعْمِلَ فِي كُلِّ غَائِبٍ عَنِ الْحَاسَّةِ وَعَمَّا يَغِيْبُ عَنِ عِلْمِ الْإِنْسَانِ

(١) ينظر المفردات في غريب القرآن: ١٧٨؛ والقاموس المحيط: مادة (الذرة) ٥٠٨/١.

(٢) سورة يس: من الآية ٥٩. (٣) سورة الملك: من الآية ٨.

(٤) المفردات في غريب القرآن: ٤٧٨؛ ولسان العرب: مادة (ميز) ٤١٢/٥.

(٥) معجم مقاييس اللغة. لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا. (ت ٣٩٥هـ). تحقيق: عبد السلام هارون. دار الكتب العلمية. بيروت. (د. ت.): مادة (طيب) ٢/٢١٤؛ والمفردات في غريب القرآن: ٣٠٨.

(٦) العين. لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي. (ت ١٧٥هـ). تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي. الطبعة الأولى. دار الحرية للطباعة والنشر بغداد. طبعت الأجزاء من سنة ١٩٨٠ إلى ١٩٨٥م: مادة (خبث) ٤/٢٤٨؛ والمفردات في غريب القرآن: ١٤١.

(٧) المفردات في غريب القرآن: ٣٠٦؛ والقاموس المحيط: مادة (طلع) ٢/٩٦١.

بمعنى الغائب، ويُقَالُ للشَّيْءِ : غَيْبٌ وَغَائِبٌ باعتبارِه بالناس لا باللَّهِ تعالى، فإنه لا يَغِيْبُ عنه شيءٌ كما لا يَغْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ.

والغَيْبُ هنا ما لا يقعُ تحتَ الحَوَاسِّ وَلَا تَفْتَضِيهِ بِدَايَةِ العُقُولِ، وإنما يُعَلَّمُ بخَبَرِ الأنبياءِ - عليهم السلام - وَبِدَفْعِهِ يَقَعُ عَلَى الإنسانِ اسْمُ الإلْحَادِ^(١).

وَتَتَّقُوا : التقوى : أصلها من وقى، أي : منع وحمى، وهي جعل النفس في وقاية مما يخاف هذا تحقيقه، ثم يسمَّى الخوف تارة تقوى والتقوى خوفا حسب تسمية مقتضى الشيء بمقتضيه والمقتضى بمقتضاه، وصار التقوى في تعارف الشرع حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحظور، وبعض المباحات.

قال الله تعالى : ﴿فَمَنْ آتَقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢). ويقال : اتقى فلان بكذا : إذا جعله وقاية لنفسه^(٣).

قال النحاس التقوى أصلها من التوقي والتستر من أن يصيبه ما يهلك به^(٤).
القراءات القرآنية : يَمِيْرُ : (قرأ حمزة^(٥) والكسائي^(٦)، ويعقوب^(٧)،

(١) المُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ : ٣٦٦؛ وأساس البلاغة. لأبي القاسم جار الله محمود بن عُمَرُ الرَّمْخُسِي. (ت ٥٣٨هـ). تَحْقِيقُ : عَبْدُ الرَّحِيمِ مُحَمَّد. مطبعة أوفاند بالقاهرة. الطَّبَعَةُ الأُولَى.

١٩٥٣م. وهي طبعة مصورة على طبعة دار الكتب المصرية التي طبعت سنة ١٣٤١هـ : ٣٣١؛ والمُضْبَحُ المُتَبَرِّعُ فِي غَرِيبِ الشَّرْحِ الكَبِيرِ. لأخمد بن مُحَمَّد بن علي الفيومي المقرئ. (ت ٧٧٠هـ). تصحيح : مصطفى السقا. الطَّبَعَةُ الأُولَى. مطبعة مصطفى البابي الحلبي. مصر. ١٣٢٢هـ : ٢٧٢.

(٢) سورة الأعراف : الآية ٣٥. (٣) المفردات : ٥٣٠؛ وأساس البلاغة : ٥٠٧.

(٤) ينظر : معاني القرآن الكريم. لأبي جعفر أحمد بن مُحَمَّد بن إسماعيل المرادي النحاس. (ت ٣٣٨هـ). تَحْقِيقُ : مُحَمَّد علي الصابوني. الطَّبَعَةُ الأُولَى. جامعة أم القرى. مكة المكرمة. ١٤٠٩هـ / ١ / ٨١.

(٥) هو حمزة بن حبيب الزيات، أحد القراء السبعة، ولد سنة ٨٠ هـ، قرأ على الأعمش، توفي سنة ١٥٦ هـ؛ العبر في خبر من غير. لأبي عبد الله شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التُّرْكَمَانِي الدَّهَبِي. (ت ٧٤٨هـ). تَحْقِيقُ : د. صلاح الدين المنجد. الطَّبَعَةُ الثانية. مطبعة حكومة الكويت. ١٩٤٨م : ١١١/١ - ١١٨.

(٦) هو علي بن حمزة بن عبد الله أبو الحسن من ولد بهمن بن فيروز مولى بني أسد إمام الكوفيين في النحو واللغة وأحد القراء السبعة المشهورين، سمي الكسائي لأنه أحرَم في كساء، استوطن بغداد وهو من أهل الكوفة، سمع من سليمان بن أرقم وأبي بكر بن عباس والأصمعي، توفي سنة ١٨٩ هـ بالري، وقيل غير ذلك، ينظر بُغِيَّة الوَعَاة فِي طبقات اللغويين والنُّحَاة. لجلال الدين عَبْد الرَّحْمَنِ السُّيُوطِي. (ت ٩١١هـ). تَحْقِيقُ : مُحَمَّد أَبِي الفَضْلِ إِبْرَاهِيم. الطَّبَعَةُ الأُولَى. مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر. سنة ١٩٦٤م : ١٦٢/٢.

(٧) يعقوب : هو يعقوب بن إسحاق الحضرمي، قارئ أهل البصرة، توفي سنة ٢٠٥ هـ؛ تذكرة =

وخلف^(١)، والحسن^(٢)، والأعمش^(٣) : (يُمَيِّزُ)^(٤).

بعض الأوجه الإعرابية :

مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ ... حَتَّى :

كلام مستأنف لبيان أن الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى عالم بكل شيء، وهو لا يترك عباده على ما هم عليه من اختلاط في الأمر والتباس فيما يعانون من شؤون^(٥).

= الحُفَاظ. لأبي عَبْدِ اللَّهِ شمس الدِّين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عثمان بن قايماز التُّرْكَمَانِي الذَّهَبِي. (ت ٧٤٨هـ). دَارُ إِخِيَاءِ الثَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ. بَيْرُوت (د. ت). وهي الطَّبْعَةُ المصورة عَلَى الطَّبْعَةِ الثالثة بدائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن. ١٣٧٥هـ: ١/١٥٨.

(١) هو الإمام أبو مُحَمَّد خلف بن هاشم البزار الصلحي، نسبة إلى (فم الصلح) بأعمال واسط وقراءته في اختياره لم تخرج عن قراءة الكوفيين إلا في حرف واحد، ولد سنة (١٥٠هـ) وتوفي سنة (٢١٩هـ) ببغداد. يُنظَرُ لطائف الإشارات لفنون القراءات. للإمام شهاب الدِّين القسطلاني. (ت ٩٢٣هـ). تَحْقِيق: عامر السيد عثمان، و الدكتور عَبْدُ الصبور شاهين. طبع المجلس العلمي للشؤون الإسلامية ١٩٧٢م: ١/٩٨.

(٢) هو الإمام الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد، ولد سنة (٢١هـ)، سيد أهل زمانه، مولى الأنصار، ثقة فقيه عابد ناسك سيد التابعين في زمانه بالبصرة، روى عنه من القراء أبو عمرو بن العلاء، توفي سنة ١١٠ هـ تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ. لأبي الْفَضْلِ أَحْمَد بن علي بن حَجْر العَسْفَلَانِي الشَّافِعِي. (ت ٨٥٢هـ). الطَّبْعَةُ الْأُولَى. دَارُ الْفِكْرِ للطباعة والنشر. بَيْرُوت. ١٤٠٤هـ. ١٩٨٤م: ٢/٢٣٦.

(٣) الإمام العلم، سليمان بن مهران الأعمش، أبو محمد الأسدي، الكاهلي مولا هم الكوفي، اصله من أعمال الري، رأى أنسا. رضي الله عنه، قال يحيى بن القطان: هو علامة الإسلام، ولد سنة ٦١ هـ، وتوفي سنة ١٤٨ هـ؛ العبر في خبر من غير: ١/ ٩٤-٩٦.

(٤) العنوان في القراءات السبع. لأبي طاهر إسماعيل بن خلف بن سعيد الأنصاري المقرئ. (ت ٤٥٥هـ). تَحْقِيق: زهير زاهد، و خليل العطية. الطَّبْعَةُ الثانية. عالم الْكِتَاب. بَيْرُوت. لَبَّان. ١٤٠٦هـ. ١٩٨٦م: ٦٣؛ والنشر في القراءات العشر. لأبي الْخَيْرِ مُحَمَّد بن مُحَمَّد الدمشقي الشهير (ابن الجزري). (ت ٨٣٣هـ). الطَّبْعَةُ الثانية. صححه وراجعها علي مُحَمَّد الضباع. دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّة. بَيْرُوت. لَبَّان. ١٩٧٨ م: ٢/٢٤٤؛ وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر المسمى (منتهى الأمانى والمسرات في علوم القراءات). لِأَخْمَد بن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن مُحَمَّد بن عَبْد الغني الدمياطي الشَّافِعِي الشهير بالبناء. (ت ١١١٧هـ). الطَّبْعَةُ الْأُولَى. تَحْقِيق: د. شعبان مُحَمَّد إسماعيل. عالم الْكُتُب. بَيْرُوت. ١٤٠٧ هـ. ١٩٨٧م: ١٨٣.

(٥) إعراب الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وبيانه. لمحبي الدِّينِ درويش. الطَّبْعَةُ السابعة. دَارُ الْيَمَامَةِ للطباعة والنشر والتوزيع، ودار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق. بَيْرُوت. ١٤٢٣هـ. ٢٠٠٢م: ١/٥٨٢.

و (ما نافية، و (كان) فعل ماضٍ ناقصٍ، والله اسمها^(١).
و (ليذر) اللام هنا هي المسماة لام الجحود، وهي عند الكوفيين زائدة لتأكيد
النفي، وتعمل بنفسها النصب في المضارع. وخبر (كان) هو الفعل بعدها فتقول : ما
كان زيد يقوم، وما كان زيد ليقوم، إذا أكدت النفي^(٢).

ومذهب البصريين أنّ خبر كان محذوف، وأن النصب بعد هذه اللام بأن
مضمرة واجبة الإضمار، وأنّ اللام مقوية لطلب ذلك المحذوف لما بعدها، وأنّ
التقدير : ما كان الله مريداً ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه، أي : ما كان مريداً
لترك المؤمنين^(٣).

(وحتى) للغاية المجردة، والتقدير : إلى أن يميزها^(٤).

واعترض أنه مشكل على أن تكون غاية على ظاهر اللفظ، لأنه يكون المعنى :
لا يتركهم مختلطين إلى أن يميز، فيكون قد غيا نفي الترك إلى وجود التمييز، فإذا
وجد التمييز تركهم على ما هم عليه من الاختلاط، وصار نظير : ما أضرب زيدا
إلى أن يجيء عمرو، فمفهومه : إذا جاء عمرو ضربت زيدا، وليس المراد من الآية
هذا المعنى، وإنما هي غاية لما تضمنه الكلام السابق من المعنى الذي يصح أن
يكون غاية له^(٥).

المعنى العام : ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [آل عمران : ١٧٩].

المعنى : أنه تعالى يخلص ما بينكم بالابتلاء والامتحان، إلى أن يميز الخبيث
من الطيب.

(١) التبيان في إعراب القرآن. لأبي البقاء محب الدين عبد الله بن أبي عبد الله الحسين بن أبي البقاء
عبد الله بن الحسين العكبري. (ت ٦١٦ هـ). تحقيق: علي محمد البجاوي. دار إحياء الكتب
العربية. (د. ت) : ١/١٩٨.

(٢) البرهان في علوم القرآن. لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الرزكشي الشافعي.
(ت ٧٩٤ هـ). تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم. دار المعرفة. بيروت. ١٣٩١ هـ : ٤/٣٤٤.

(٣) البخر المحيط. لأبي عبد الله أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي.
الشهير بابن حيان وأبي حيان. (ت ٧٥٤ هـ). مطبعة السعادة. مصر. ١٣٢٩ هـ : ٣/١٢٦.

(٤) التبيان في إعراب القرآن : ١/١٩٨.

(٥) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. لأبي العباس شهاب الدين بن يوسف ابن السمين
الحلي. (ت ٧٥٦ هـ). تحقيق: الشيخ علي بن معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وجاد
مخلوف جاد، وزكريا عبد الحميد. الطبعة الأولى. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤١٤ هـ -
١٩٩٣ م : ١/٣٣٢.

اختلف المفسرون في المخاطب بقوله تعالى : (أنتم) في الآية على الأقوال الآتية :

القول الأول :

الخطاب في أنتم للمؤمنين.

قاله : مجاهد^(١) ، وابن جريج^(٢) ، وابن إسحاق^(٣).

والمعنى : على ما أتم عليه أيها المؤمنون من اختلاطكم بالمنافقين وإشكال أمرهم وإجراء المناق مجرى المؤمن ، ولكنه ميز بعضاً من بعض بما ظهر من هؤلاء وهؤلاء من الأقوال والأفعال^(٤).

القول الثاني :

الخطاب للكفار.

(١) هو الإمام شيخ القراء والمفسرين ، مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المكي ، مولى ابن أبي السائب من مخزوم ، علم من أعلام التابعين ، ومن كبار أصحاب ابن عباس ، ثقة حجة في الحديث ، إمام في التفسير والقراءات ، والفقه وسائر العلوم ، اخذ القراءة ، والتفسير ، والفقه عن ابن عباس ، أجمعت الأمة على إمامته والاحتجاج به ، من الطبقة الثالثة ، توفي سنة (١٠١) وقيل : (١٠٠) وقيل : ١٠٣ هـ وله ثلاث وثمانون سنة. ينظر الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة. لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الذهبي. (ت ٧٤٨ هـ). تحقيق : محمد عوامة. الطبعة الأولى. دار القبلة للثقافة الإسلامية ، مؤسسة علو. جدة. ١٤١٣ هـ. ٢٤٠/٢ م : ١٩٩٢.

(٢) هو أبو الوليد عبد الله بن عبد العزيز بن جريج الأموي مولاهم المكي ، ثقة فقيه فاضل إلا أنه يدلس ، توفي سنة ١٥٠ هـ ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. لأبي العباس شمس الدين أحمد ابن محمد بن أبي بكر بن خلكان. (ت ٦٨١ هـ). تحقيق : د. إحسان عباس الطبعة الأولى. دار الثقافة. بيروت. ١٩٦٨ م : ٣٩/٥.

(٣) هو محمد بن إسحاق بن يسار صاحب المغازي القرشي المطلبي مولاهم ، أحد الأئمة روى عن أبيه وأبان بن عثمان وأبان بن صالح وجعفر الصادق وخلق ، وعنه شعبة ويحيى الأنصاري وهما شيوخه وشريك وآخرون ، وثقه ابن معين وضعفه أخرى ، وقال ابن المديني : صالح ، وقال أحمد : حسن الحديث ، وقال ابن حجر : إمام المغازي صدوق يدلس ورمي بالتشيع والقدر ، من صغار الطبقة الخامسة. توفي سنة ١٥٠ هـ ، وقيل : ١٥١ هـ. ينظر طبقات الحفاظ. لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. (ت ٩١١ هـ). الطبعة الأولى. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤٠٣ هـ : ٧٥.

(٤) جامع البيان : ١٨٧/٤.

قاله : قتادة^(١)، والسدي^(٢).

والمعنى : على ما أنتم عليه أيها الكفار من اختلاطكم بالمؤمنين^(٣)

القول الثالث : قال الكفار في بعض جدلهم : أنت يا محمد تزعم في الرجل منا أنه من أهل النار، وأنه إذا تبعك من أهل الجنة، فكيف يصح هذا؟ ولكن أخبرنا بمن يؤمن منا، وبمن يبقى على كفره، فنزلت. ف قيل لهم : لا بد من التمييز. قاله السدي في رواية عنه^(٤).

القول الرابع :

الخطاب للكفار والمنافقين.

قاله ابن عباس^(٥) - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال أبو حيان : واليه ذهب

(١) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز السدوسي البصري، ولد سنة (٦١ هـ)، تابعي ثقة ثبت ومن أحفظ أهل زمانه للحديث، وأعلمهم بالقرآن، والفقه واللغة، والأنساب، وأيام العرب، كان يدلّس، ورماه ابن معين بالقدر، ومع ذلك احتج به أصحاب الصحيحين لا سيما إذا قال حدثنا، توفي سنة ١١٦ هـ، وقيل: ١١٧، وقيل: ١١٨، ينظر جلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني. (ت ٤٣٠هـ). الطبعة الرابعة. دار الكتاب العربي. بيروت. ١٤٠٥هـ: ٣٣٣/٢.

(٢) هو الإمام المفسر أبو محمد، إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الحجازي ثم الكوفي، ولقب بالسدي لأنه كان يقعد في سدة باب الجامع، خرج حديثه مسلم، وأصحاب السنن، توفي سنة ١٢٧ هـ؛ سير أعلام النبلاء. لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الذهبي. (ت ٧٤٨هـ). تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي. الطبعة التاسعة. مؤسسة الرسالة. بيروت. ١٤١٣هـ: ١٢٤/٥.

(٣) الدر المنثور. لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. (ت ٩١١هـ). دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت. ١٩٩٣م: ٣٩٣/٢.

(٤) العجائب في بيان الأسباب. لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي. (ت ٨٥٢ هـ). تحقيق: عبد الحكيم محمد الأئيس. الطبعة الأولى. دار ابن الجوزي. الدمام. ١٩٩٧م: ٧٩٨/٢.

(٥) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله. صلى الله عليه وسلم، وأحد العبادلة الأربعة، وحبر الأمة والصحابي الجليل، وترجمان القرآن، دعا له النبي صلى الله عليه وسلم. بعد ضمه إلى صدره بالتفقه في الدين ومعرفة التأويل، كف بصره بآخر عمره، ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين، وشهد مع علي الجمل وصفين. مات رسول الله. صلى الله عليه وسلم. وعمره ثلاث عشرة سنة، توفي بالطائف سنة ٦٨ هـ وقيل ٦٩ وقيل ٧٠ هـ. ينظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب. لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي. (ت ٤٦٣هـ). تحقيق: علي محمد الجاوي. الطبعة الأولى. دار الجيل. بيروت. ١٤١٢هـ: ٣٥٠/٢.

أكثر المفسرين^(١).

القول الخامس :

الخطاب للمؤمنين والكافرين.

قاله ابن كيسان^(٢)، وتابعه في ذلك الزمخشري.

قال ابن كيسان: المعنى ما يذركم على الإقرار حتى يختبركم بالشرائع والتكاليف^(٣).

أخذه الزمخشري والقول الذي قبله ونمقهما ببلاغته وحسن خطابه وأبدل الكافرين بالمنافقين.

فقال : فإن قلت : لمن الخطابُ في أنتم ؟

قلت : للمصدقين جميعاً من أهل الإخلاص والنفاق، كأنه قيل : ما كان الله يذر المخلصين منكم على الحال التي أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض، وأنه لا يعرف مخلصكم من منافقكم، لاتفاقكم على التصديق جميعاً حتى يميزهم منكم بالوحي إلى نبيه بإخباره بأحوالكم.

قال الزمخشري : ويجوز أن يراد لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب، بأن يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها إلا الخالص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الأرواح في الجهاد، وإنفاق الأموال في سبيل الله، فيجعل ذلك عياراً على عقائدكم، وشاهداً بضمائركم، حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال، لا من جهة الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها، فإن ذلك مما استأثر الله به^(٤).

(١) البُخْر المُحِيط : ١٢٦/٣.

(٢) هو محمد بن أحمد بن إبراهيم بن كيسان، كان حافظاً مذهب الكوفيين والبصريين لأنه أخذ العلم من المبرد وثلعب. ومن مصنفاته المهذب في النحو وغريب الحديث ومعاني القرآن في التفسير. وكانت وفاته سنة تسع وتسعين ومائتين في شهر ذي القعدة وفي القول الأصح سنة عشرين وثلاثمائة. طبقات المفسرين. لجلال الدين عَبْد الرَّحْمَنِ بن أَبِي بَكْر السيوطي. (ت ٩١١هـ). تَحْقِيق : علي مُحَمَّد عُمَر. الطَّبَعَةُ الأُولَى. مكتبة وهبة. القاهرة. ١٣٩٦هـ : ٥٩/١.

(٣) البُخْر المُحِيط : ١٢٦/٣.

(٤) الكشَّاف عن حقائق التَّنْزِيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. لأبي القاسم جار الله محمود بن عُمَر الزَّمْخَشَرِي الخُوَارِزْمِي. (ت ٥٣٨هـ). مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. مصر. ١٩٤٨م : ٢٣٣/١.

القول السادس : قيل : المعنى ما كان الله ليذر أولادكم الذين حكم عليهم بالإيمان على ما أنتم عليه من الشرك حتى يفرق بينكم وبينهم^(١).

القول السابع : قيل : كانوا يستهزؤون بالمؤمنين سراً فقال : لا يدعكم على ما أنتم عليه من الطعن فيهم والاستهزاء، ولكن يمتحنكم لتفتضحوا ويظهر نفاقكم عندهم، لا في دار واحدة، ولكن يجعل لهم داراً أخرى يميز فيها الخبيث من الطيب، فيجعل الخبيث في النار، والطيب في الجنة^(٢).

الترجيح : الذي ترجح لي أن الخطاب للمؤمنين والكافرين والمنافقين، وهو قول ابن كيسان والزمخشري معاً، أي : القول الخامس، لأن القرآن الكريم توجه بالخطاب إلى كل من المؤمنين والكافرين والمنافقين بالإيمان والتقوى، فهو للمؤمنين تذكير، وللكافرين والمنافقين تحذير.

حَتَّى يَمَيِّزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ :

اختلف المفسرون في المراد بالخبيث والطيب في الآية على الأقوال الآتية :

القول الأول : الخبيث الكافر، والطيب المؤمن، وتمييزه بالهجرة والجهاد. قاله أبو حيان^(٣).

القول الثاني : الطيب المؤمن، والخبيث المنافق، ميز بينهما يوم أحد. قاله مجاهد^(٤).

القول الثالث : الخبيث الكافر، والطيب المؤمن، وتمييزه بإخراج أحدهما من صلب الآخر.

قاله قتادة، والسدي^(٥).

(١) الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ : ٢٨٩/٤.

(٢) فَتْحُ الْقَدِيرِ الْجَامِعِ بَيْنَ فَنِي الرِّوَايَةِ وَالذَّرَائِعِ مِنْ عِلْمِ التَّفْسِيرِ. لِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ الشُّوْكَانِيِّ (ت ١٢٥٠هـ). دَارُ الْفِكْرِ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ. بَيْرُوتَ. (د. ت) : ٤٠٤/١.

(٣) الْبَحْرُ الْمُحِيطُ : ١٢٧/٣.

(٤) أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ الْمَعْرُوفِ بِتَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ. لِأَبِي سَعِيدِ نَاصِرِ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ابْنِ مُحَمَّدِ الشَّيرَازِيِّ الْبَيْضَاوِيِّ الشَّافِعِيِّ. (ت ٦٨٥هـ). تَحْقِيقُ : عَبْدِ الْقَادِرِ عِرْفَاتِ الْعِشَا حَسُونَةَ. دَارُ الْفِكْرِ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ. بَيْرُوتَ. ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م : ١٢١/٢.

(٥) زَادَ الْمَسِيرَ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ. لِأَبِي الْفَرَجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ الْمَعْرُوفِ بَابِنِ الْجَوْزِيِّ. (ت ٥٩٧هـ). الطَّبَعَةُ الثَّلَاثَةُ. الْمَكْتَبُ الْإِسْلَامِيُّ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ. بَيْرُوتَ. ١٤٠٤هـ - ١٩٩٠م : ١/

القول الرابع : تمييز الخبيث هو إخراج الذنوب من أحياء المؤمنين بالبلايا والرزايا^(١).

القول الخامس : الخبيث العاصي، والطيب المطيع، والألف واللام في الخبيث والطيب للجنس أو للعهد، إذ كان المعهود في ذلك الوقت أن الخبيث هو الكافر والطيب هو المؤمن كما قال تعالى: ﴿الْمَيِّتُ لِلْخَيْبِ﴾^(٢) الآية^(٣).
و﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]:

لَمَّا قَدِمَ أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَمِيزُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَلَيْسَ لَهُمْ تَمْيِيزُ ذَلِكَ، أَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَطْلُعُ أَحَدًا مِنَ الْمُخَاطَبِينَ عَلَى الْغَيْبِ.

واختلف المفسرون هنا في الأمر الذي يطالعونه على الأقوال الآتية :

القول الأول: أي : ليطلعكم على الغيب، فيمن يؤمن، ومن يبقى كافراً، ولكن هذا رسول مجتبي.

قاله السدي، وغيره^(٤).

القول الثاني: هي في أمر معركة أحد، أي : ليطلعكم على أنكم تهزمون، أو تكفون عن القتال.

قاله مجاهد، وابن جريج^(٥).

القول الثالث: ليطلعكم على المنافقين تصريحاً بهم، وتسمية بأعيانهم، ولكن بقرائن أفعالهم وأقوالهم^(٦).

الترجيح: الذي أميل إليه هنا هو عدم التخصيص، إذ أن الأقوال الثلاثة واردة جميعها، فالتعميم أولى.

(١) تفسير القرآن العظيم المسمى بتفسير ابن كثير. لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي. (ت ٧٧٤هـ). دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت. ١٤٠١هـ: ١/٤٣٣.

(٢) سورة النور: من الآية ٢٦.

(٣) البخر المٌحيط: ١٢٧/٣؛ وفتح القدير: ٨١/٢.

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. لأبي السعود مُحَمَّد بن مُحَمَّد العمادي. (ت ٩٨٢هـ). دار إحياء التراث العربي. بيروت. (د. ت): ٨٩/٢.

(٥) البخر المٌحيط: ١٢٧/٣.

(٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي. (ت ٤٦٨هـ). تحقيق: صفوان عدنان داوودي. الطبعة الأولى. دار القلم، والدار الشامية. دمشق، وبيروت. ١٤١٥هـ:

والمراد بالغيب هنا، هو ما غاب عن البشر مما هو في علم الله تعالى من الحوادث التي تحدث، ومن الأسرار التي في قلوب المنافقين، ومن الأقوال التي يقولونها إذا غابوا عن الناس.

واختلف المفسرون في سبب نزول الآية هنا على الأقوال الآتية :

القول الأول: روي أن بعض الكفار قال : لم لا يكون جميعنا أنبياء؟ فنزلت. قاله الزجاج^(١).

القول الثاني: قيل : قالوا : لِمَ لَمْ يُوْحَ إِلَيْنَا فِي أَمْرٍ مُّحَمَّدٌ؟ فنزلت^(٢).

القول الثالث: قيل : قالوا : نحن أكثر أموالاً وأولاداً، فهلا كان الوحي إلينا، فنزلت^(٣).

القول الرابع: قيل : كانت الشياطين يصعدون إلى السماء فيسترقون السمع، فيأتون بأخبارها إلى الكهنة قبل أن يبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنزلها الله بعد بعثته^(٤).

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَخْتَصِي بِمَنْ يُرِيدُ مِنْ رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

ولكن الله يصطفي من يشاء فيجعله رسولاً فيوحي إليه، أي: ليس الوحي من السماء لغير الأنبياء.

وظاهر الآية هو ما تقدم من أنه تعالى هو الذي يميز بين الخبيث والطيب، أخبر أنكم لا تدركون أنتم ذلك؛ لأنه تعالى لم يطلعكم على ما أكتته القلوب من الإيمان والنفاق، ولكنه تعالى يختار من رسله من يشاء فيطلعه على ذلك، فتطلعون عليه من جهة الرسول بإخباره لكم عن ذلك بوحي الله.

وهذا معنى ما روي أيضاً عن السدي أنه قال : حكم بأنه يظهر هذا التمييز^(٥).

ثم بيّن بهذه الآية أنه لا يجوز أن يجعل هذا التمييز في عوام الناس بأن

(١) معاني القرآن وإغرابه. لأبي إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج. (ت ٣١١هـ). الطبعة الأولى. تحقيق عبد الجليل عبده شلبي. عالم الكتب. بيروت. ١٤٠٨هـ. ١٩٨٨م: ١/٢١٨.

(٢) العجائب: ٧٩٩/٢.

(٣) جامع البيان: ٤٣٣/٤؛ والعجائب: ٧٩٩/٢.

(٤) البخر المحيط: ١٢٧/٣؛ العجائب: ٧٩٩/٢.

(٥) معالم التنزيل المعروف بـ(تفسير البغوي). لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي. (ت ٥١٦هـ). تحقيق: خالد العك، ومروان سوار. الطبعة الثانية. دار المعرفة. بيروت. ١٤٠٧هـ.

١٩٨٧م: ١/٣٧٧.

يتطلعهم على غيبه فيقولون : إنَّ فلاناً منافق، وفلاناً مؤمن، بل سنة الله تعالى جارية بأن لا يطلع عوام الناس، ولا سبيل لهم إلى معرفة ذلك إلا بالامتحان. فأما معرفة ذلك على سبيل الاطلاع على الغيب فهو من خواص الأنبياء، ولهذا قال تعالى : ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيخصهم بإعلام أن هذا مؤمن وهذا منافق^(١).

وهذه الأقوال كلها والتفاسير مشعرة بأنَّ هذا الغيب الذي نفى الله اطلاع الناس عليه راجع إلى أحوال المؤمنين والمنافقين، ويحتمل أن يكون ذلك على سبيل العموم، أي : ما كان الله ليجعلكم كلكم عالمين بالمغيبات من حيث يعلم الرسول حتى تصيروا مستغنين عنه، بل الله يخص من يشاء من عباده بذلك وهو الرسول، فتندرج أحوال المنافق والمؤمن في هذا العام^(٢).

ووقوع (لكنَّ) هنا لكون ما بعدها ضدّاً لما قبلها في المعنى. إذ تضمن اجتباء من شاء من رسله اطلاعه إياه على ما أراد تعالى من علم الغيب، فاطلاع الرسول على الغيب هو باطلاع الله تعالى بوحي إليه، فيخبر بأنَّ في الغيب كذا من نفاق هذا وإخلاص هذا فهو عالم بذلك من جهة الوحي، لا من جهة اطلاعه نفسه من غير واسطة وحي على المغيبات^(٣).

﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ وِرْسَالِهِ﴾ :

لما ذكر أنه تعالى يختار من رسله من يشاء فيطلعه على المغيبات أمر بالتصديق بالمجتبي والمجتبي ومن يشاء هو محمد - صلى الله عليه وسلم - إذ ثبتت نبوته بإطلاع الله إياه على المغيبات، وأخباره لكم بها في غير ما موطن.

وجمع في قوله : (ورسله) تنبيهاً على أنّ طريق إثبات نبوة جميع الأنبياء واحدة، وهو ظهور المعجز على أيديهم^(٤).

قال الزمخشري : بأن تقدروه حق قدره، وتعلمونه وحده مطلعاً على الغيوب، وأن ينزلوهم منازلهم بأن تعلموهم عباداً مجتبيين لا يعلمون إلا ما علمهم الله، ولا يخبرون إلا بما أخبر الله به من الغيوب، وليسوا من علم الغيب في شيء^(٥).

(١) البخر المُحيط : ١٢٨/٣.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. لأبي الثناء شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله الألويسي البغدادي. (١٢٧٠هـ). دار إحياء التراث العربي. بيروت (د. ت) : ٤/ ١٣٦.

(٣) الدر المصون : ١/ ٣٣٣.

(٤) البخر المُحيط : ١٢٨/٣.

(٥) الكشّاف : ١/ ٣٦٩.

﴿وَأَنْ تَوَدَّوْا أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

رتب حصول الأجر العظيم على الإيمان، والمعنى: الإيمان السابق، وهو الإيمان بالله ورسله، وعلى التقوى وهي زائدة على الإيمان وكأنها مرادة في الجملة السابقة فكأنه قيل: فأمنوا بالله ورسله واتقوا الله^(١).
ما يستفاد من الآية:

جاء الحديث عن اجتناب الرسل - عَلَيْهِمُ السَّلَام - في هذه الآية، في معرض الإفهام أن الغيب يطلعه الله تَعَالَى على من يشاء من رسله الذين يجتبيهم، إذ أن اجتناب الرسل - عَلَيْهِمُ السَّلَام - أمر إلهي، وإطلاع الخلق على الغيب أمر إلهي آخر، وكلا الأمرين مما ليس لكسب الناس إليه من سبيل.

المَطْلَبُ الثَّانِي

الترابط بين الاجتناب والهداية

قال تَعَالَى اسمه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢).

تحليل الألفاظ:

وَهَدَيْنَاهُمْ: الْهَدَايَةُ: دَلَالَةٌ بِلُطْفٍ، وَمِنْهُ الْهَدْيَةُ، وَخُصَّ مَا كَانَ دَلَالَةً بِهَدْيَةٍ وَمَا كَانَ إِعْطَاءً بِأَهْدِيَةٍ نَحْوُ: أَهْدَيْتُ الْهَدْيَةَ، وَهَدَيْتُ إِلَى الْبَيْتِ^(٣).

وَأَنْ قِيلَ: كَيْفَ جَعَلَتْ الْهَدَايَةَ دَلَالَةً بِلُطْفٍ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَعْتَوْهُمْ إِلَى صِرَاطٍ الْجَمِيمِ﴾^(٤)، و﴿وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ الشَّعِيرِ﴾^(٥)؟

قيل: ذلك اسْتُعْمِلَ فِيهِ اسْتِعْمَالُ اللَّفْظِ عَلَى التَّهَكُّمِ مُبَالَغَةً فِي الْمَعْنَى كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٦).

وَهَدَايَةُ اللَّهِ تَعَالَى لِلْإِنْسَانِ عَلَى أَرْبَعَةٍ أَوْجُوهُ:

الأول - الْهَدَايَةُ الَّتِي عَمَّ بِجِنْسِهَا كُلَّ مُكَلَّفٍ مِنَ الْعَقْلِ وَالْفِطْنَةِ وَالْمَعَارِفِ الضَّرُورِيَّةِ الَّتِي أَعَمَّ مِنْهَا كُلَّ شَيْءٍ بِقَدْرٍ فِيهِ حَسَبَ احْتِمَالِهِ كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾^(٧).

(١) الْبَحْرُ الْمُحِيطُ: ٣/ ١٢٨.

(٢) يُنظَرُ الْمَفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ: ٥٣٨ - ٨٣٩؛ وَالتَّهَادِيَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ: ٥/ ٢٥٢.

(٣) سُورَةُ الصَّافَاتِ: مِنْ آيَةِ ٢٣.

(٤) سُورَةُ الْحَجِّ: مِنْ آيَةِ ٤.

(٥) سُورَةُ طه: مِنْ آيَةِ ٥٠.

(٦) سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ: آيَةِ ٢٤.

(٧) سُورَةُ طه: مِنْ آيَةِ ٥٠.

الثاني - الهداية التي جعل للناس بدعائه إياهم على السنة الأنبياء وإنزال القرآن ونحو ذلك وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾^(١).

الثالث - التوفيق الذي يختص به من اهتدى وهو المعنى بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾^(٢).

الرابع - الهداية في الآخرة إلى الجنة المعنى بقوله تبارك اسمه: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِالْقَوْلِ﴾^(٣).

وهذه الهدايا الأربعة مترتبة، فإن من لم تحصل له الأولى لا تحصل له الثانية بل لا يصح تكليفه، ومن لم تحصل له الثانية لا تحصل له الثالثة والرابعة، ومن حصل له الرابع فقد حصل له الثالث التي قبلها ومن حصل له الثالث فقد حصل له اللذان قبله.

ثم ينعكس فقد تحصل الأولى ولا يحصل له الثاني ولا يحصل الثالث، والإنسان لا يقدر أن يهدي أحداً إلا بالدعاء وتعريف الطرق دون سائر أنواع الهدايا^(٤).

والى الأول أشار بقوله: ﴿وَأِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٥). والى سائر الهدايا أشار بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾^(٦).

وكل هداية ذكر الله عز وجل أنه منع منها الظالمين والكافرين فهي الهداية الثالثة، وهي التوفيق الذي يختص به المهتدون، والرابعة التي هي الثواب في الآخرة وإذخال الجنة نحو قوله عز وجل: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٧).

وكل هداية نفاها الله عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن البشر، وذكر أنهم غير قادرين عليها فهي ما عدا المختص من الدعاء وتعريف الطريق، وذلك كأعطاء العقول والتوفيق وإذخال الجنة، كقوله عز ذكره: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٨).

وفي أسماء الله تعالى «الهادي» هو الذي بصّر عباده وعرفهم طريق معرفته حتى

(١) سورة السجدة: من الآية ٢٤.

(٢) سورة محمد. صلى الله عليه وسلم: من الآية ١٧.

(٣) سورة محمد. صلى الله عليه وسلم: من الآية ٥.

(٤) يُنظر المفردات في غريب القرآن: ٥٣٨. ٨٣٩؛ والتأية في غريب الحديث والأثر: ٢٥٢/٥.

(٥) سورة الشورى: من الآية ٥٢. (٦) سورة القصص: من الآية ٥٦.

(٧) سورة آل عمران: الآية ٨٦. (٨) سورة البقرة: من الآية ٢٧٢.

أَقْرُوا بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَهَدَى كُلَّ مَخْلُوقٍ إِلَى مَا لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ فِي بَقَائِهِ وَدَوَامِ وجودِهِ^(١).

صِرَاطٌ : سِرَاطُ الطَّعَامِ وَالشَّيْءِ بِالْكَسْرِ سِرَاطٌ وَسِرَاطَانًا بَلَعَهُ، وَاسْتَرَطَهُ وَازْدَرَدَهُ ابْتَلَعَهُ، وَالْمَسْرُطُ وَالْمَسْرُطُ الْبُلْعُومُ وَالصَّادُ لُغَةً. وَالسَّرَطُ أَيْضًا الْبَلِيغُ الْمَتَكَلِّمُ وَهُوَ مِنْ ذَلِكَ، وَسَيْفٌ سُرَاطٌ سُرَاطِيٌّ قَاطِعٌ يَمُرُّ فِي الضَّرْبَةِ كَأَنَّهُ يَسْتَرِطُ كُلَّ شَيْءٍ يَلْتَمِسُهُ جَاءَ عَلَى لَفْظِ النَّسَبِ وَلَيْسَ بِنَسَبٍ كَأَحْمَرَ وَأَحْمَرِي^(٢).

وَالسَّرَاطُ الطَّرِيقُ الْمُسْتَسْهَلُ، وَأَصْلُهُ مِنْ سَرَطْتُ الطَّعَامَ فَقِيلَ سِرَاطٌ، تَصَوَّرَ أَنَّهُ يَبْتَلَعُهُ سَالِكُهُ، أَوْ يَبْتَلِعُ سَالِكُهُ^(٣).

مُسْتَقِيمٌ : الْاِسْتِقَامَةُ يُقَالُ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي يَكُونُ عَلَى خَطِّ مُسْتَوٍ وَبِهِ شَبَهٌ طَرِيقُ الْمَحَقِّ نَحْوُ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٤) (٥).

القراءات :

صِرَاطٌ : قَرَأَ قَنْبِلٌ^(٦)، وَابْنُ مَجَاهِدٍ^(٧)، وَرُوَيْسٌ^(٨) : سِرَاطٌ، وَهُوَ لُغَةٌ فِي الصِّرَاطِ^(٩).

(١) يُنْظَرُ الْمَفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ : ٥٣٨ - ٨٣٩؛ وَالنِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ : ٢٥٢/٥.

(٢) لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَةٌ (سِرَط) ٣١٣/٧.

(٣) الْمَفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ : ٢٣٠. (٤) سُورَةُ الْفَاتِحَةِ : الْآيَةُ ٦.

(٥) الْمَفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ : ٤١٦؛ وَالنِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ : ١٣٥/٤.

(٦) قَنْبِلٌ : مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَخْزُومِي، مَوْلَاهُمُ أَبُو عَمْرٍو مِنْ أَعْلَامِ الْقُرَاءِ، وَلِدَ سَنَةَ ١٩٥ هـ، كَانَ إِمَامًا مَتَقِنًا، أَنْتَهَتْ إِلَيْهِ مَشِيخَةُ الْإِقْرَاءِ بِالْحِجَازِ فِي عَصْرِهِ، تَوَفَّى سَنَةَ ٢٩١ بِمَكَّةَ. يَنْظُرُ الْأَعْلَامَ. قَامُوسُ تَرَاجِمِ الْأَشْهُرِ الرَّجَالِ وَالنِّسَاءِ مِنَ الْعَرَبِ وَالْمُسْتَعْرَبِينَ وَالْمُسْتَشْرَقِينَ. لِخَيْرِ الدِّينِ الزَّرْكَلِيِّ الدَّمَشْقِيِّ. (ت ١٤١٠ هـ ١٩٧٦ م). الطَّبَعَةُ الْخَامِسَةُ. دَارُ الْعِلْمِ لِلْمَلَايِين. بَيْرُوتَ. ١٩٧٩ م : ٦٢/٧.

(٧) ابْنُ مَجَاهِدٍ : أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى بْنِ الْعَبَّاسِ التَّمِيمِي، وَلِدَ سَنَةَ (٢٤٥ هـ - ٨٥٩ م)، تَوَفَّى سَنَةَ (٣٢٤ هـ - ٩٣٦ م)، كَبِيرُ الْعُلَمَاءِ بِالْقُرَاءَاتِ فِي عَصْرِهِ، مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ، كَانَ حَسَنَ الْأَدَبِ، رَفِيقُ الْخَلْقِ، فَطْنًا، جَوَادًا، لَهُ عِدَّةُ مَوْلَفَاتٍ مِنْهَا : كِتَابُ الْقُرَاءَاتِ الْكَبِيرِ، كِتَابُ الْيَأَاءَاتِ، كِتَابُ الْهَاءَاتِ، يَنْظُرُ الْأَعْلَامَ : ٢٦١/١.

(٨) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُتَوَكَّلِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ اللَّوْلُؤِيُّ، رُوَيْسُ الْمُقْرَئِ. قَرَأَ عَلَيْهِ يَعْقُوبُ، وَتَصَدَّرَ لِلْقُرَاءِ. قَرَأَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ التَّمَارِ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الزَّبِيرِيُّ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ. تَوَفَّى بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتِينَ. يُنْظَرُ مَعْرِفَةُ الْقُرَّاءِ الْكِبَارِ عَلَى الطَّبَقَاتِ وَالْأَعْصَارِ. لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ قَايِمَازِ التُّرْكَمَانِيِّ الدَّهْبِيِّ. (ت ٧٤٨ هـ). تَحْقِيقٌ : بِشَارِ عَوَادٍ مَعْرُوفٍ. وَشَعِيبُ الْأَرْنَؤُوطِ. وَصَالِحُ مَهْدِيِّ عَبَّاسِ الطَّبَعَةُ الْأُولَى. مُؤَسَّسَةُ الرَّسَالَةِ. بَيْرُوتَ. ١٤٠٤ هـ : ٢١٦/١.

(٩) إِتْحَافٌ فَضْلَاءِ الْبَشَرِ : ٢١٣.

وقرأ حمزة، وخلف بالإشمام^(١)(٢).

بعض الأوجه الإعرابية :

وَرَيْنُ : من هاهنا للتبعيض، قال الزجاج : المعنى هدينا هؤلاء وهدينا بعض آبائهم وذرياتهم^(٣).

المعنى العام :

واجتبتيناهم : قال مجاهد خلصناهم^(٤)، وقد تقدم بيان معنى الاجتناء لغة.

والمعنى أن الله تَعَالَى اجتنى بعض الأنبياء - عَلَيْهِمُ السَّلَام - فاجتنى آباءهم، وأبناءهم، وإخوانهم^(٥).

ما يستفاد من الآية :

اجتناء الأنبياء - عَلَيْهِمُ السَّلَام - في هذه الآية جاء مرتبطاً بالهداية، والهداية المقصودة بالآية هنا هي هداية توفيقية لا كسب للعبد فيها.

المَطْلَبُ الثَّالِثُ

اجتناء يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام -

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُرِيكَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبْنَائِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرْزُقَهُمْ وَإِنَّا لَنَرِيكَ عَلَيْهِمْ كَبِيرٌ﴾^(٦)

تحليل الألفاظ :

تَأْوِيلُ : التَّأْوِيلُ مِنَ الْأَوَّلِ، أَي : الرَّجُوعُ إِلَى الْأَصْلِ، وَمَنْهُ الْمَوْزُلُ لِلْمَوْضِعِ

(١) الإشمام: تهيئة الشفتين للتلفظ بالضم، ولكن لا يتلفظ به تنبيهاً على ضم ما قبلها، أو ضمة الحرف الموقوف عليه ولا يشعر به الأعمى. التحديد في الإقنات والتجويد، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ)، تحقيق: ... غانم قدوري حمد، الطبعة الأولى. دار الأنبار. الرمادي. ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٨ م : ٩٨.

(٢) إِنْخَافُ فَضْلَاءِ النَّسْرِ : ٢١٣.

(٣) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ : ٢٤١/١.

(٤) تفسير مجاهد. لأبي الحجاج مجاهد بن جبر المخزومي التابعي. (ت ١٠٤ هـ). تَحْقِيقُ : عُنْدَ الرَّحْمَنِ الظَّاهِرِ مُحَمَّدِ السُّورِيِّ. المنشورات العلمية. بَيْرُوت. (د. ت) : ٢١٩/١.

(٥) يُنظَرُ الْجَوَاهِرُ الْحَسَانُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ. لِعُنْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَخْلُوفِ الشَّعَالِيِّ. (ت ٦٠٨ هـ). مؤسسة الأعلمي للطبوعات. بَيْرُوت. (د. ت) : ٥٣٨/١.

(٦) سورة يوسف: الآية ٦.

الذي يُرْجَعُ إِلَيْهِ وذلك هو رَدُّ الشَّيْءِ إِلَى الْغَايَةِ الْمُرَادَةِ مِنْهُ عِلْمًا كَانَ أَوْ فِعْلًا، نَحْوُ: ﴿وَمَا يَكُم تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^(١)، وَهُوَ الْبَيَانُ أَيْضًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾^(٢)، أَي: بَيَانُهُ الَّذِي هُوَ غَايَتُهُ الْمَقْصُودَةُ مِنْهُ. كَمَا هُنَا أَيْضًا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٣) قِيلَ: أَحْسَنُ مَعْنَى وَتَرْجَمَةً، وَقِيلَ: أَحْسَنُ ثَوَابًا فِي الْآخِرَةِ^(٤).

الْأَحَادِيثُ: كُلُّ كَلَامٍ يَبْلُغُ الْإِنْسَانَ مِنْ جِهَةِ السَّمْعِ أَوْ الْوَحْيِ فِي يَقْظَتِهِ أَوْ مَنَامِهِ يُقَالُ لَهُ حَدِيثٌ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعُنْتِيِّ﴾^(٥)، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾^(٦)، أَي: مَا يُحَدِّثُ لَهُ الْإِنْسَانُ فِي نَوْمِهِ، وَكَذَلِكَ هُنَا، وَسَمَّى تَعَالَى كِتَابَهُ حَدِيثًا فَقَالَ: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾^{(٧)(٨)}.

نِعْمَتُهُ: النَّعِيمُ وَالنُّعْمَى وَالنُّعْمَاءُ وَالنُّعْمَةُ، الْحَفْظُ وَالِدَعَةُ وَالْمَالُ، وَهُوَ ضِدُّ الْبُؤْسَاءِ وَالْبُؤْسَى. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَبْدُلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾^(٩)، يَعْنِي فِي هَذَا الْمَوْضِعِ حُجْجَ اللَّهِ الدَّالَّةَ عَلَى أَمْرِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَجَمْعُ النَّعْمَةِ نِعْمٌ وَأَنْعَمَ كَشِدَّةٌ وَأَشْدُّ؛ وَالنُّعْمُ، بِالضَّمِّ، خِلَافُ الْبُؤْسِ. يُقَالُ: يَوْمَ نُنْعَمُ وَيَوْمَ بُؤْسٌ، وَالْجَمْعُ أَنْعَمٌ وَأَبُؤْسٌ. وَالنُّعْمُ: التَّرْفَةُ، وَالاسْمُ النَّعْمَةُ وَنِعْمَ الرَّجُلُ يَنْعَمُ نِعْمَةً، فَهُوَ نِعْمٌ بَيْنَ الْمَنْعَمِ، وَيَجُوزُ تَنْعَمُ، فَهُوَ نَاعِمٌ وَنِعْمٌ يَنْعَمُ^(١٠).

يَعْقُوبُ: يَعْقُوبُ: اسْمُ إِسْرَائِيلَ أَبِي يُوسُفَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - لَا يَنْصَرَفُ فِي الْمَعْرِفَةِ، لِلْعَجْمَةِ وَالتَّعْرِيفِ، لِأَنَّهُ غَيْرٌ عَنْ جِهَتِهِ، فَوَقَعَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ غَيْرَ مَعْرُوفِ الْمَذْهَبِ. وَسُمِّيَ يَعْقُوبُ بِهَذَا الْاسْمِ، لِأَنَّهُ وُلِدَ مَعَ عَيْصُو فِي بَطْنِ وَاحِدٍ. وُلِدَ عَيْصُو قَبْلَهُ، وَيَعْقُوبُ مَتَلَقَ بِعَقِبِهِ، خَرَجَا مَعًا، فَعَيْصُو أَبُو الرُّومِ^(١١).

إِبْرَاهِيمَ: إِبْرَاهِيمَ: اسْمُ أَعْجَمِي وَفِيهِ لُغَاتٌ: إِبْرَاهَامُ وَإِبْرَاهِمُ وَإِبْرَاهِيمُ، بِحَذْفِ الْيَاءِ، وَتَصْغِيرِ إِبْرَاهِيمَ: أَبِيرُهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْأَلْفَ مِنَ الْأَصْلِ لِأَنَّ بَعْدَهَا أَرْبَعَةَ

(١) سورة آل عمران: من الآية ٧.

(٢) سورة الأعراف: من الآية ٥٣.

(٣) سورة النساء: من الآية ٥٩.

(٤) المُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ: ٣١؛ مُخْتَارُ الصَّحَاحِ: مَادَةٌ (أَوَّل) ١٣.

(٥) سورة العاشية: الآية ١.

(٦) سورة يوسف: من الآية ١٠١.

(٧) سورة الطور: من الآية ٣٤.

(٨) المُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ: ١١٠؛ مُخْتَارُ الصَّحَاحِ: مَادَةٌ (حَدِث) ٥٣.

(٩) سُورَةُ الْبَقَرَةِ: مِنَ الْآيَةِ ٢١١.

(١٠) يَنْظُرُ الْمَفْرَدَاتُ: ٤٩٩؛ لِسَانُ الْعَرَبِ: مَادَةٌ (نَعْم) ٥٧٩/١٢.

(١١) لِسَانُ الْعَرَبِ: مَادَةٌ (عَقَب) ٥٩٤/١.

أحرف أصول، والهمزة لا تُلحق ببنات الأربعة زائدة في أولها، وذلك يُوجب حذف آخره وكذلك القول في إسماعيل وإسرافيل، وهذا قول المبرّد، وبعضهم يتوهم أن الهمزة زائدة إذا كان الاسم أعجمياً فلا يُعلم اشتقاقه، فيصغره على بُرَيْهِمِ وَسُمَيْعِيلِ وَسُرَيْفِيلِ، وهذا قول سيبويه وهو حسن، والأول قياسٌ، ومنهم من يقول بُرَيْهٌ بَطْرَحِ الهمزة والميم^(١).

وَإِسْحَاقَ: إِسْحَاقُ: اسم نبي من بني إسرائيل، فإن أردت به الاسم الأعجمي لم تصرفه في المعرفة لأنه غُيِّرَ عن جهته فوق في كلام العرب غير معروف المذهب وإن أردت المصدر من قولك أسحقه السفر إسحاقاً أي أبعدته صرفته لأنه لم يتغير^(٢).
بعض الأوجه الإعرابية:

﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ [يوسف: ٦].

(كذلك) في موضع نصب نعت لمصدر محذوف، أي: كما اجتباك ربك واختارك لهذه الرؤية العظيمة، يجتبيك لأمر عظام، والكاف مفعول (يجتبيك) و(ربك) فاعل^(٣).

﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾:

و(يعلمك) كلام مستأنف، كأنه قيل: وهو يعلمك^(٤).

﴿وَرُبِّيذٌ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ﴾:

عطف على (يعلمك) و (نعتمته) مفعول به، و (عليك) جار ومجرور متعلقان بـ(نعتمته)، أو بـ(يتم)، و (على آل يعقوب) عطف عليه^(٥).

﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبُوبِكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

(كما أتمها) نعت لمصدر محذوف، أي: إتماماً مثل إتمامها على أبوبك، و(على أبوبك) متعلقان بـ(أتمها) و(من قبل) حال، و(إبراهيم) بدل من (أبوبك)، أو عطف بيان، و(إسحاق) عطف على (إبراهيم)، و(إن) واسمها وخبرها^(٦).

المعنى العام:

﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ [يوسف: ٦]:

الاجتباء هنا: هو اختيار معالي الأمور للمجتبي، وهذا ثناء من الله تعالى على يوسف - عليه السلام - وتعدد فيما عدده من النعم التي أتاه الله تعالى من التمكين

(١) لِسَانَ الْعَرَبِ: مادة (برهم) ٨٤/١٢. (٢) مُنْخَارِ الصَّحَاحِ: مادة (سحق) ١٢٢.

(٣) إِغْرَابُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَبَيَانُهُ: ٥٠١/٣. (٤) إِغْرَابُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَبَيَانُهُ: ٥٠١/٣.

(٥) إِغْرَابُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَبَيَانُهُ: ٥٠١/٣. (٦) إِغْرَابُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَبَيَانُهُ: ٥٠١/٣.

في الأرض، وتعليم تأويل الأحاديث^(١).

قال القرطبي: " أجمعوا أن الاجتباء في تأويل الرؤيا. وهي معجزة له، فإنه لم يلحق فيها خطأ، وكان يوسف - عليه السلام - أعلم الناس بتأويلها "

﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾:

اختلف المفسرون في المراد بالأحاديث هنا على الأقوال الآتية:

أي أحاديث الأمم والكتب ودلائل التوحيد، فهو إشارة إلى النبوة وهو المقصود بقوله: ﴿وَيُؤْتِيكَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾، أي: بالنبوة.

وقيل بإخراج إخوتك إليك.

وقيل بإنجائك من كل مكروه^(٢).

الترجيح: الذي يبدو موافقاً للسياق القرآني هو القول الأول، إذ أن إخراج الأخوة، أو الإنجاء من المكروه، ليس من تأويل الأحاديث بشيء.

﴿وَيُؤْتِيكَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾:

اختلف المفسرون في معنى إتمام النعمة هنا على أقوال:

القول الأول: قيل: كما أكرمك بالرؤيا فكذاك يجتبيك ويحسن إليك بتحقيق الرؤيا^(٣).

القول الثاني: السجود لك^(٤).

قاله مقاتل^(٥).

القول الثالث: بالنبوة. قاله الحسن^(٦).

(١) جامع البيان: ١٥٣/١٢؛ الجامع لأحكام القرآن: ١٢٨/٩.

(٢) جامع البيان: ١٥٣/١٢؛ والجامع لأحكام القرآن: ١٢٨/٩.

(٣) جامع البيان: ١٥٣/١٢؛ وزاد المسير: ١٨١/٤؛ والجامع لأحكام القرآن: ١٢٨/٩؛ وفتح القدير: ٥/٣.

(٤) جامع البيان: ١٥٣/١٢؛ والجامع لأحكام القرآن: ١٢٨/٩.

(٥) هو الإمام مقاتل بن سليمان، من الزيدية مولا هم الخراساني، له كتاب التفسير الكبير، ولم يذكر ابن النديم تاريخ وفاته، وذكره الذهبي مع ترجمة مقاتل بن حيان، وقد حدث عن الشعبي وعكرمة، كان بحراً في التفسير ورمي بالتجسيم، وهو متروك الحديث عند بعضهم، توفي سنة ١٥٠هـ؛ ينظر الفهرست. لأبي الفرج محمد بن أبي إسحاق النديم البغدادي. (ت ٣٨٥هـ). الطبعة الأولى. دار المعرفة. بيروت. ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م: ٢٥٣.

(٦) جامع البيان: ١٥٣/١٢؛ والجامع لأحكام القرآن: ١٢٨/٩.

﴿كَمَا أْتَمَّهَا عَلَىٰ أَبِيكَ مِن قَبْلُ إِبرَاهِيمَ﴾:

كما أتمها على إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَام - بالخلة وإنجائه من النار، وإسحاق بالنبوة، وقيل من الذبح قاله عكرمة^(١).

وأعلمه الله تعالى بقوله: (وعلى آل يعقوب) أنه سيعطى بني يعقوب كلهم النبوة قاله عكرمة وجماعة من المفسرين^(٢).

﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

إن ربك عليم بما يعطيك، حكيم في فعله بك^(٣).

المَطْلَبُ الرَّابِعُ

اجتناء إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَام -

ورد عدد من الآيات القرآنية المباركة التي أشارت إلى اجتناء إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَام - وقد جاء الحديث عن اجتنائه في عدد من الآيات، منها الآية التي عرضتها عند الحديث عن يوسف - عَلَيْهِ السَّلَام - في المطلب السابق.

ومن ذلك قوله قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي بَيَانِ فَضْلِهِ وَاجْتِنَائِهِ: ﴿إِنَّ إِبرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَا يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٦﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ آجِنَةً وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢٧﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٨﴾﴾^(٤).

تحليل الألفاظ:

﴿أُمَّةً﴾:

الأم بإزاء الأب، ويقال لكل ما كان أصلاً لوجود شيء، أو تربيته أو إصلاحه

(١) هو أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله البربري مولى ابن عباس تابعي فقيه عالم بالسنة والتفسير أحد فقهاء مكة وأوعية العلم فيها تكلم فيه لرأيه لا لحفظه حيث كان يرى رأي الخوارج وقد وثقه جماعة واعتمده البخاري أما مسلم فتجنبه وكذلك الإمام مالك فلم يرويا له توفي بالمدينة سنة ١٠٥هـ، وقيل: سنة ١٠٧هـ. ينظر ميزان الاعتدال في نقد الرجال. لأبي عبد الله شمس الدين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عثمان بن قايماز التُّرْكَمَانِي الدَّهْلَبِي. (ت ٧٤٨هـ). تَحْقِيقُ: الشَّيْخُ عَلِيُّ مُحَمَّد مَعْوُض، وَالشَّيْخُ عَادِلُ أَحْمَدُ عَبْدُ الْمَوْجُودِ. الطَّبَعَةُ الْأُولَى. دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ. بِيْرُوت. ١٩٩٥م: ٩٣ / ٣.

(٢) جامع البيان: ١٥٣/١٢؛ والجامع لأحكام القرآن: ١٢٨/٩.

(٣) جامع البيان: ١٥٣/١٢؛ وزياد المسير: ١٨١/٤؛ والجامع لأحكام القرآن: ١٢٨/٩.

(٤) سورة النحل: الآيات ١٢٠-١٢٢.

- أو مبدئه أم^(١)، قال الخليل : كل شيء ضم إليه سائر ما يليه يسمى أم^(٢).
- قال ابن السكن : هذا مثل قول العرب : فلان رحمة، وفلان علامة ونسابة، ويقصدون بهذا التأنيث قصد التناهي في المعنى الذي يصفونه، والعرب قد توقع الأسماء المبهمة على الجماعة وعلى الواحد، كقوله : ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾^(٣).
- وإنما ناداه جبريل وحده^(٤).
- والأمة على ثمانية أوجه :
- ١ - الجماعة - كقوله تعالى : ﴿أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُوتُ﴾^(٥).
 - ٢ - وأتباع الأنبياء - عليهم السلام - كما يقال : نحن من أمة مُحَمَّد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
 - ٣ - والجامع للخير والمقتدى به، كما في هذه الآية.
 - ٤ - والدين والملة كقوله : ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾^(٦).
 - ٥ - والحين والزمان كقوله : ﴿إِنَّ أُمَّةً مَّعْدُودَةً﴾^(٧).
 - ٦ - والقامة، يقال : فلان حسن الأمة، أي : القامة.
 - ٧ - والمنفرد بدين لا يشركه فيه أحد، قال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «يعث زيد بن عمرو ابن نفيل أمة وحده»^(٨).

- (١) بصائر ذوي التمييز. لأبي الطاهر مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادي الصَّدِيقِي الشيرازي. (ت ٨١٧هـ). تَحْقِيقٌ : مُحَمَّد علي النجار. القاهرة. ١٣٩٠هـ-١٩٦٩م : ١١١/٢.
- (٢) العين : مادة (أم) ٤٣٣/٨.
- (٣) سورة آل عمران : من الآية ٣٩.
- (٤) المخصص. لأبي الحَسَن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده. (ت ٤٥٨هـ). دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت. (د. ت) : ١٨١/١٣ ؛ زَاد المَسِيرُ : ٥٠٣/٤.
- (٥) سورة القصص : من الآية ٢٣.
- (٦) سورة الزخرف : من الآية ٢٢.
- (٧) سورة هود : من الآية ٨.
- (٨) سُنَن النَّسَائِي الكبرى. أبو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَد بن شُعَيْب بن عَلِي بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِي. (٢١٥هـ-٣٠٣هـ). تحقيق د. عَبْد الغفار سليمان البنداري. وسيد كسروي حسن. الطبعة الأولى. دار الكُتُب العلمية. بيروت. ١٤١١هـ-١٩٩١م : ٥٤/٥ رقم (٨١٨٧)، الْمُسْتَدْرَك عَلَى الصَّحِيحَيْنِ : ٣/٢٣٨ رقم (٤٩٥٦) قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. والحديث حسن. يُنظَرُ : مَجْمَع الزَّوَائِدِ وَمُنْبَعِ الْفَوَائِدِ. لنور الدين علي بن أَبِي بَكْرِ الهَيْثَمِي. (ت ٨٠٧هـ). الطَّبَعَةُ الْأُولَى. دار الريان للتراث. بَيْرُوت، ودار الكُتَاب الْعَرَبِيَّة. القاهرة. ١٤٠٧هـ : ٤١٨/٩.

٨ - والأم : يقال هذه أمة زيد، أي : أم زيد^(١).

﴿قَانِتًا﴾:

القنوت : لزوم الطاعة مع الخضوع، وفسر بكل واحد منهما في قوله تعالى : ﴿وَقَوْمًا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾^(٢)، وقوله تعالى : ﴿كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾^(٣)، قيل : خاضعون، وقيل : طائعون، وقيل : ساكتون أي في صلاتهم^(٤)، ومن ذلك (قانتاً) في هذه الآية.

﴿حَنِيفًا﴾ : الحنف : هو ميل عن الضلال إلى الاستقامة، والحنيف هو المائل إلى ذلك، كما في هذه الآية، وجمعه حنفاء، قال عز وجل : ﴿وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾^(٥) ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ﴾^(٥)، وتحنف فلان، أي : تحرى طريق الاستقامة، وسمت العرب كل من حج أو اختن حنيفاً، تسيهاً أنه على دين إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَام^(٦).

﴿وَلَوْ يَكُّ﴾ : قال الزجاج : أصلها لم يكن، وإنما حذف النون عند سيبويه لكثرة استعمال هذا الحرف، وذكر البصريون أنها إنما احتملت الحذف ؛ لأنه اجتمع فيها كثرة الاستعمال، وأنها عبارة عن كل ما يمضي من الأفعال وما يستأنف، وأنها قد أشبهت حروف اللين، وأنها تكون علامة كما تكون حروف اللين علامة، وأنها غنة تخرج من الأنف، فلذلك احتملت الحذف^(٧).

القراءات :

- ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ : قرأ ابن عامر، وابن ذكوان، وهشام : (إبراهيم)^(٨).
 ﴿أَجَبَلَهُ﴾ : قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وورش بالإمالة^(٩).

- (١) الثَّبِيان فِي تَفْسِيرِ غَرِيبِ الْقُرْآن. لشهاب الدِّين أَحْمَدُ بن مُحَمَّد الهائم المصري (ت ٨١٥هـ) تحقيق: د. فتحي أنور الدابولي. الطَّبْعَةُ الْأُولَى. دار الصَّحَابَةِ للتراث بطنطا. القاهرة. ١٩٩٢م: ١٠٨/١.
- (٢) سورة البقرة: من الآية ٢٣٨. (٣) سورة الروم: من الآية ٢٦.
- (٤) الْمُفْرَدَات: ٤١٣؛ التَّهَابِيَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَر: ٦٨/١؛ لِسَانِ الْعَرَبِ: مَادَةٌ (قنت) ٢٧/١٢.
- (٥) سورة الحج: الآيتان ٣٠-٣١.
- (٦) الْمُفْرَدَات: ١٣٣؛ التَّهَابِيَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَر: ٤٥١/١؛ لِسَانِ الْعَرَبِ: مَادَةٌ (حنف) ٥٨/٩.
- (٧) يُنظَرُ: مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ لِلزَّجَاج: ٧١/٢.
- (٨) النَّشْرُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشِير: ٢٢١/٢.
- (٩) إِتْحَافُ قُضَلَاءِ الْبَشَر: ٢٨١؛ غَيْثُ النِّعَمِ فِي الْقِرَاءَاتِ السَّبْع. لعلي النوري الصفاقسي. (ت ١١١٨هـ). مطبوع بذييل كتاب سراج القاري الْمُبْتَدِي وتذكار المقرئ المنتهي. الطَّبْعَةُ الْأُولَى. المكتبة التجارية الكُبَيْرَى بمصر ١٣٥٢هـ - ١٩٣٤م: ٢٧٢.

قرأ الأزرق بالتقليل^(١).

﴿وَهَدِنَاهُ﴾: قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وورش بالإمالة^(٢).

قرأ الأزرق بالتقليل^(٣).

﴿الذَّنْبِ﴾: قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وورش بالإمالة^(٤).

بعض الأوجه الإعرابية :

﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِيهِ﴾: انتصب بدلاً من قوله : (أمة قانتاً)، أي : أنه خبر رابع

لـ(كان) والأول (أمة)، والثاني (قانتاً)، والثالث (حنيفاً)^(٥).

من القضايا البلاغية :

الالتفات^(٦) في قوله تعالى : ﴿وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ

الصَّالِحِينَ ﴿٢٢٦﴾﴾.

في هذه الآية التفت الخطاب عن الغيبة إلى التكلم لزيادة الاعتناء بشأنه^(٧).

المعنى العام :

﴿إِنَّ إِيْرَاهِيْمَ كَانَتْ أُمَّةً﴾:

الأمة الرجل الجامع للخير، وقال ابن وهب، وابن القاسم عن مالك قال :

(١) إِنْحَافٌ فُضِّلَءِ الْبَشْرِ : ٢٨١.

(٢) إِنْحَافٌ فُضِّلَءِ الْبَشْرِ : ٢٨١؛ عَيْثُ النَّفْعِ : ٢٧٢.

(٣) إِنْحَافٌ فُضِّلَءِ الْبَشْرِ : ٢٨١.

(٤) عَيْثُ النَّفْعِ : ٢٧٢.

(٥) زَادَ الْمَسِيْرُ : ٥٠٤/٤؛ إِغْرَابُ الْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ وَبَيَّانُهُ : ٣١٣/٤.

(٦) الالتفات: العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التكلم أو عكس ذلك.

وقيل: نقل الكلام من أسلوب إلى آخر، أعني من التكلم أو الخطاب، أو الغيبة إلى آخر منها بعد التعبير بالأول. هذا هو المشهور. وقال السكاكي: إما ذلك أو التعبير بأحدهما فيما حقه التعبير بغيره.

وله فوائد منها: تطرية الكلام، وصيانة السمع عن الضجر والملال لما جيلت عليه النفوس من حب التنقلات والسامة من الاستمرار على منوال واحد وهذه فائدته العامة.

ينظر: الإتيان في علوم القرآن. لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (ت ٩١١هـ). بهامشه إعجاز القرآن للباقلاني. الطبعة الثالثة. شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. مصر. ١٩٥١م: ٢/٢٢٩؛ البلاغة العربية المعاني والبيان والبديع. د. أحمد مطلوب.

جامعة بغداد. ١٩٨٠ م: ٢٦٣.

(٧) زَادَ الْمَسِيْرُ : ٥٠٤/٤؛ إِغْرَابُ الْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ وَبَيَّانُهُ : ٣١٣/٤.

بلغني أن عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : يرحم الله معاذاً كان أمة قانتاً، فقيل له : يا أبا عبد الرحمن، إنما ذكر الله عز وجل بهذا إبراهيم - عليه السلام - فقال ابن مسعود : إن الأمة الذي يعلم الناس الخير، وإن القانت هو المطيع^(١).

للمفسرين في المراد بالأمة هاهنا ثلاثة أقوال :

أحدها - أن الأمة الذي يعلم الخير، قاله ابن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - والفراء، وابن قتيبة.

والثاني - أنه المؤمن وحده في زمانه، روى هذا المعنى الضحاك عن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - وبه قال مجاهد.

والثالث - أنه الإمام الذي يقتدى به، قاله قتادة ومقاتل وأبو عبيدة وهو في معنى القول الأول^(٢).

﴿فَإِنَّا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ :

القانت هو المطيع كما تقدم من قول ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(٣).

وقال الشافعي : معلماً^(٤).

﴿وَهَدَنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ :

قال مقاتل : والمراد بالصرراط المستقيم هاهنا الإسلام^(٥).

﴿وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ :

فيها سبعة أقوال :

أحدها : إنه الذكر الحسن، قاله ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - .

والثاني : النبوة، قاله الحسن.

والثالث : لسان صدق، قاله مجاهد.

والرابع : اجتماع الكل على ولايته، فكلهم يتولونه ويرضونه، قاله قتادة.

والخامس : إنها الصلاة عليه مقرونة بالصلاة على مُحَمَّد - صلى الله عليه

وسلم - في التشهد قاله مقاتل بن حيان.

والسادس : الأولاد الأبرار على الكبر، حكاه الثعلبي.

(١) معاني القرآن للتخاسي : ٤/ ١١٠؛ الجامع لأحكام القرآن : ١٠/ ١٩٧-١٩٨.

(٢) زاد المسير : ٤/ ٥٠٣.

(٣) زاد المسير : ٤/ ٥٠٣.

(٤) أحكام القرآن للشافعي : ١/ ٤٢.

(٥) زاد المسير : ٤/ ٥٠٤.

والسابع : بقاء ضيافته وزيارة قبره - عَلَيْهِ السَّلَام - (١).

يخبر تعالى عما فضل به خليله - عليه الصلاة والسلام - وخصه به من الفضائل العالية والمناقب الكاملة، فقال : «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً» أي : إماماً جامعاً لخصال الخير، هادياً مهتدياً، «فَأَنبَأَ اللَّهُ»، أي : مديماً لطاعة ربه، مخلصاً له الدين. «حَنِيفًا» مقبلاً على الله بالمحبة، والإنابة، والعبودية، معرضاً عن سواه. وهذا من ترغيب الناس في الإتيان بمثل فعله، وتعظيم الفعل أيضاً حتى أن فعله سجية لكل مؤمن (٢).

وتذكير مشركي العرب بإبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَام - ودعوتهم إلى اتباع ملته ؛ لأنه كان أباهم، وباني البيت الذي به عزهم (٣).

«وَلَوْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» في قوله وعمله، وجميع أحواله ؛ لأنه إمام الموحدين الحنفاء.

«شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ»، أي : آتاه الله في الدنيا حسنة، وأنعم عليه بنعم ظاهرة وباطنة، فقام بشكرها. فكان نتيجة هذه الخصال الفاضلة أن «اجْتَنَبَهُ رَبُّهُ»، واختصه بخلته، وجعله من صفوة خلقه، وخيار عباده المقربين. فظاهر الآية يشير إلى أن الاجتناب كان محصلة لما جبل عليه إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَام - من خصال حميدة، أهلته لمنزلة الاجتناب (٤).

«وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» في علمه وعمله، فعلم بالحق، وآثره على غيره. «وَوَاعَيْتَهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً» : رزقاً واسعاً، وزوجة حسناء، وذرية صالحين، وأخلاقاً مرضية. «وَوَاعَاهُ فِي الآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ» الذين لهم المنازل العالية، والقرب العظيم من الله تعالى، و(من) بمعنى مع، أي : مع الصالحين ؛ لأنه كان في الدنيا أيضاً مع الصالحين (٥).

ما يستفاد من الآية :

في هذه الآيات دليل على جواز اتباع الأفضل للمفضول، لما تقدم في الأصول

(١) يُنظَرُ: جَامِعُ النَّبِيَّانِ: ١٤/١٩٠؛ زَادَ الْمَسِيرُ: ٤/٥٠٤؛ الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ: ١٠/١٩٨؛

تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ: ٢/٥٩١؛ الدر المثور: ٥/١٧٦؛ فتح القدير: ٣/٢٠٤.

(٢) رُوحُ الْمَعَانِي: ٦/١٧٦.

(٣) الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ: ١٠/١٩٧.

(٤) جَامِعُ النَّبِيَّانِ: ١٤/١٩٠؛ الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ: ١٠/١٩٨؛ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ: ٢/٥٩١.

(٥) جَامِعُ النَّبِيَّانِ: ١٤/١٩٠؛ الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ: ١٠/١٩٨؛ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ: ٢/٥٩١.

والعمل به ؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - أفضل الأنبياء - عليهم السلام - وقد أمر بالاعتداء بهم، فقال: ﴿فِيهِدَهُمْ آفْتِدَةً﴾^(١)، وقال هنا: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾^{(٢)(٣)}.

المطلب الخامس

اجتناء آدم - عَلَيْهِ السَّلَام -

أورد القرآن الكريم اجتناء آدم - عَلَيْهِ السَّلَام -، ولعل ما يميز هذا الاجتناء - كما سنلاحظ - أنه جاء على خلاف النمط الذي جرى عليه اجتناء الأنبياء من قبل، فقد حصل بعد وقوع آدم - عَلَيْهِ السَّلَام - في الذنب وتوبته، جاء ذلك في معرض سرد القرآن الكريم لقصة إخراجه من الجنة في سورة (طه)، وهي قصة موسعة نسبياً بالمقارنة مع القصص الأخرى الواردة في سائر السور.

والمقصد الرئيس لذكر آدم - عَلَيْهِ السَّلَام - في هذه السورة هو تبيان السبب الذي أدى إلى إخراجه من الجنة، وقد مهد لذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾^(٤).

ثم عرض القرآن الكريم الأمر الإلهي للملائكة بالسجود لآدم - عَلَيْهِ السَّلَام - وتحذيره وحواء من إبليس، وما أعد الله تعالى لهما في الجنة من نعيم مقيم، ولكن إبليس نجح باستدراج آدم وحواء، وإغرائهما بالأكل من الشجرة التي ادعى أنها شجرة الخلد، وكانت النتيجة أن: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾^(٥) ثم أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَأَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ^(٦).

وفيما يأتي عرض تحليلي لهاتين الآيتين :

تحليل الألفاظ :

وَعَصَى : عَصَى عِضْيَانًا إِذَا خَرَجَ عَنِ الطَّاعَةِ، وَأَصْلُهُ أَنْ يَتَمَنَّعَ بِعَصَاهُ، وَيُقَالُ فِيمَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ : (فَلَانَ شَقَّ الْعَصَا)^(٦).

(١) سورة الأنعام: من الآية ٩٠. (٢) سورة إبراهيم: من الآية ١٢٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١٩٩/١٠. (٤) سورة طه: الآية ١١٥.

(٥) سورة طه: الآيتان ١٢١-١٢٢.

(٦) ينظر المُفْرَدَات: ٣٣٧، مجمع الأمثال. لأبي الفَاضِل أَحْمَد بن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن إِبْرَاهِيم الميداني النيسابوري. (ت ٥١٨هـ). تَحْقِيق: مُحَمَّد محيى الدِّين عَبْد الحميد. دار المَعْرِفَة. بِيْرُوت.

(د.ت.): ٣٦٤/١؛ مُخْتَار الصَّحَاح: مادة (عصو) ١٨٤.

آدَمَ : الأَدَمُ : جمع أَدِيم، وقد يجمع على أَدِمَّة، وربما سمي وجه الأرض أَدِيمًا، والأَدَمَةُ باطن الجلد الذي يلي اللحم والبشرة ظاهرها، والأَدَمَةُ السمرة، والأَدَمُ من الناس الأسمر والجمع أَدَمَان، وآدم أفعل والألف فيه مبدلة من همزة هي فاء الفعل لأنه مشتق من أديم الأرض أو من الأدمة، ولا يجوز أن يكون وزنه فاعلا، إذ لو كان كذلك لانصرف مثل عالم وخاتم، والتعريف وحده لا يمنع، وقال الجواليقي : ليس بأعجمي، وخالفه آخرون^(١).

وفي تسمية آدم قولان^(٢) :

أحدهما : لأنه خلق من أديم الأرض، قاله ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - وابن جبير، والزجاج^(٣).

والثاني : أنه من الأدمة في اللون، قاله الضحّاك، والنضر بن شميل، وقطرب. قال الزمخشري : واشتقاقهم آدَمَ من الأَدِمَّة، ومن أديم الأرض نحو، اشتقاقهم يعقوب من العقب، وإدريس من الدرّس، وإبليس من الإبلّاس، وما آدم إلا اسم أعجمي، واقرب أمره أن يكون على فاعل كآزر وعازر وعابر وشالّخ وأشبه ذلك^(٤). وهذا ما رجحه السمين الحلبي وغيره. إذ قال : إنه اسم أعجمي غير مشتق ووزنه فاعل ونظائره نحو آزر وشالّخ، وإنما منع من الصرف للعلمية والعجمة^(٥).

فَعَوَى : العَيَّى : جَهْلٌ مِّنْ اغْتِقَادٍ فَاسِدٍ، وذلك أَنَّ الْجَهْلَ قد يكونُ مِنْ كَوْنِ الْإِنْسَانِ غَيْرَ مُعْتَقِدٍ اغْتِقَاداً لا صَالِحاً ولا فَاسِداً، وقد يكونُ مِنْ اغْتِقَادِ شَيْءٍ فَاسِداً وهذا النَّحْوُ الثَّانِي يُقَالُ لَهُ عَيَّى. قال تعالى : ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا عَوَى﴾^(٦). وقوله

(١) ينظر المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم. لأبي منصور موهوب بن أحمد بن مُحَمَّد بن الخضر الجواليقي. (ت ٥٤٠هـ). تحقيق وشرح : أحمد مُحَمَّد شاكر دار الكتب المصرية. القاهرة. ١٣٦١هـ : ٩/١؛ التبيان في إعراب القرآن : ٤٩/١؛ أنوار التنزيل : ٢٨٤/١؛ مختار الصحاح : مادة (أدم) ٤؛ لسان العرب : مادة (أدم) ٨/١٢.

(٢) ينظر جامع البيان : ٢٠٤/١؛ معالم التنزيل : ٦١/١؛ زاد المسير : ٦٣/١؛ الدر المنثور : ١٢١/١.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ١١٢.

(٤) ينظر : الكشف ١/ ٢٧٢، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المعروف بتفسير النسفي. لعبد الله بن أَحْمَد بن محمود النسفي. (ت ٧١٠هـ). دار الكتاب العربي. طبع بهامش تفسير الخازن. مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان. (د. ت) : ٤٠/٤١، إرشاد العقل السليم ١/ ٨٤، روح المعاني ١/ ٢٢٣.

(٥) الدرّ المصون ١/ ١٨١، إعراب القرآن وبيانه ١/ ٨٦.

(٦) سورة النجم : الآية ٢.

في هذه الآية: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾، أي: جهل، وقيل: معناه خاب نحو قول الشاعر:

* وَمَنْ يَغْوِ لَا يَعْدِمُ عَلَى الْعَيِّ لَأِيْمًا^(١) *

وقيل: معنى غوى فسد عينه من قولهم: غوي الفصيل، وغوى نحو هوي وهوى^(٢).

القراءات:

وَعَصَى: قرأ حمزة، والكسائي، وورش بالإمالة^(٣).

آدم: وردت عدة قراءات عن ورش، فقد روي عنه أنه قرأها بالقصر والتطويل مع الفتح في (عصى)، وقرأها بالتطويل مع التقليل في (عصى)، وقرأها بالتوسط مع التقليل في (عصى)^(٤).

فَغَوَى: قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وورش بالإمالة^(٥).

قرأ أبو عمرو، والأزرق، وورش بالتقليل^(٦).

ثُمَّ اجْتَبَاهُ: حمزة، والكسائي، وورش بالإمالة^(٧).

وهَدَى: قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وورش بالإمالة^(٨).

قرأ أبو عمرو، والأزرق، وورش بالتقليل^(٩).

القضايا البلاغية:

قسم النحويون ضمير الغيبة إلى أقسام أحدها: وهو الأصل، أن يعود إلى شيء سبق ذكره في اللفظ بالمطابقة كما في هذه الآية: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾^(١٠).

(١) هذا عجز بيت؛ وشطره:

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره

وهو للمرقش، والبيت في لسان العرب: مادة (غوي) ١٥/١٤٠.

(٢) المفردات: ٣٦٩؛ لسان العرب: مادة (غوي) ١٥/١٤٠.

(٣) حيث النفع: ٢٩٢. (٤) المضدر نفسه: ٢٩٢.

(٥) التيسير في القراءات السبع. لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني. (ت ٤٤٤هـ). تحقيق: أوتو برترزل. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٩٩٦م: ١٥٣.

(٦) النشر في القراءات العشر: ٤٨/٢.

(٧) التيسير: ١٥٣. (٨) التيسير: ١٥٣.

(٩) النشر في القراءات العشر: ٤٨/٢.

(١٠) البرهان في علوم القرآن: ٢٥/٤.

المعنى العام :

﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾:

في معنى الغواية في هذه الآية قولان :

أحدهما : ضل طريق الخلود حيث أراده من قبل المعصية.

والثاني : فسد عليه عيشه ؛ لأن معنى الغي الفساد^(١).

ونقل ابن الجوزي عن ابن الأنباري قوله : وقد غلط بعض المفسرين فقال :

معنى غوى أكثر مما أكل من الشجرة حتى بشم، كما يقال : غوى الفصيل إذا أكثر من لبن أمه فبشم فكاد يهلك، وهذا خطأ من وجهين :

أحدهما : أنه لا يقال من البشم غوى يغوي، وإنما يقال غوي يغوى.

والثاني : أن قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾^(٢) يدل على أنهما لم يكثرا ولم

تأخر عنهما العقوبة حتى يصلا إلى الإكثار^(٣).

وقال ابن قتيبة : فنحن نقول في حق آدم عصى وغوى، كما قال الله عز

وجل : ولا نقول آدم عاص وغاوا، كما تقول لرجل قطع ثوبه وخاطه : قد قطعه

وخاطه، ولا تقول هذا خياط حتى يكون معاوداً لذلك الفعل معروفاً به^(٤).

﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ فبادرا إلى التوبة والإنابة، وقالوا : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن

لَنَا تَقَفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٥). فاجتبه ربه واختاره، ويسر له التوبة

﴿فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾، فكان بعد التوبة أحسن منه قبلها ؛ لأنه صار من المجتبيين.

ورجع كيد العدو عليه، وبطل مكروه، فتمت النعمة عليه وعلى ذريته.

ما يستفاد من الآية :

وجوب القيام بحقوق الله تعالى والاعتراف بها، وأن يكون بني آدم على حذر

دائم من هذا العدو المرابط الملازم لهم ليلاً ونهاراً، كما قال تعالى : ﴿يَبْقَىٰ آدَمَ لَا

يَفْنَدَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾^(٦).

يقول ابن تيمية : " من قال إن آدم - عليه الصلاة والسلام - ما عصى فهو

مكذب للقرآن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، فإن الله تعالى قال : ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ

(١) يُنظَرُ: زَادَ الْمَسِيرُ: ٣٢٩/٥ - ٣٣٠.

(٢) سورة الأعراف: من الآية ٢٢. (٣) يُنظَرُ: زَادَ الْمَسِيرُ: ٣٢٩/٥ - ٣٣٠.

(٤) تاويل مشكل القرآن. لأبي مُحَمَّد عَبْدَ اللَّهِ بن مسلم المعروف بابن قُتَيْبَةَ. (ت ٢٧٦). تَحْقِيقُ:

أَحْمَدُ صَقْر. الطَّبَعَةُ الثَّلَاثَةُ. المكتبة العلمية. المدينة المنورة. ١٩٨١م: ٢١٤/١.

(٥) سورة الأعراف: الآية ٢٣. (٦) سورة الأعراف: من الآية ٢٦.

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِمَا أُجِيبَتْهُ رَبُّهُ فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٣٦﴾، والمعصية هي مخالفة الأمر الشرعي، فمن خالف أمر الله الذي أرسل فيه رسله، وأنزل به كتبه فقد عصاه، وإن كان داخلاً فيما قدره الله وقضاه، وهؤلاء ظنوا أن المعصية هي الخروج عن قدر الله، فإن لم تكن المعصية إلا هذا فلا يكون إبليس وفرعون وقوم نوح وقوم عاد وثمود وجميع الكفار عصاة أيضاً؛ لأنهم داخلون في قدر الله تعالى " (١).

المَطْلَبُ السَّادِسُ

اجتناء يونس - عَلَيْهِ السَّلَام -

ترد قصة يونس في القرآن الكريم في عدة مواضع، منها سورة القلم، التي بين فيها القرآن سبب اجتنائه، والقارئ يقف على ترابط في الاجتناء بين قصتي آدم ويونس - عَلَيْهِمَا السَّلَام - فكلاهما اجتبيا بعد أن خالفاً أمراً وجه لهما. وقد تقدم بيان مقصود ذلك بالنسبة لآدم - عَلَيْهِ السَّلَام - أما بالنسبة ليونس - عَلَيْهِ السَّلَام - فهذا ما سأتناوله في هذا المطلب.

مهَّد القرآن الكريم لمسألة الاجتناء بقوله تَبَارَكَ اسْمُهُ: ﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ رِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَتْهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ (٢).

سبب النزول :

روي «أنه - صلى الله تعالى عليه وسلم - أراد أن يدعو على ثقيف لما آذوه حين عرض - عليه الصلاة والسلام - نفسه على القبائل بمكة، فنزلت» (٣).

(١) دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية. لأبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ). الطبعة الثانية. تحقيق: د. محمد السيد الجليند. مؤسسة علوم القرآن. دمشق. ١٤٠٤هـ: ٣٦٩/٢.

(٢) سورة القلم: الآيات ٤٨ - ٥٠.

(٣) الكشاف: ٤ / ٥٩٦؛ مفاتيح الغيب المعروف ب(التفسير الكبير)، و(تفسير الرازي). لأبي عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل الشافعي المذهب الرازي. (ت ٦٠٦هـ). الطبعة الثالثة. المطبعة البهية المصرية. ميدان الأزهر. مصر. (د. ت): ٨ / ٢٧٧. البحر المحيط: ٨ / ٣١٧؛ اللباب في علوم الكتاب. لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي. (ت ٨٨٠هـ). الطبعة الأولى. تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض. شارك في تحقيقه: د. محمد سعد رمضان حسن، ود. محمد المتولي الدسوقي الحرب. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٩٩٨م: ١٩ / ٣٠٨. إرشاد العقل السليم: ٩ / ١٩.

وقيل : أراد - عليه الصلاة والسلام - ان يدعو على الذين انهزموا بأحد حين اشتد بالمسلمين الأمر فنزلت^(١).

وعليه تكون الآية مدنية.

تحليل الألفاظ :

﴿مَكْظُومٌ﴾:

الكظم : مخرج النفس، يقال : أخذ بكظمه، والكظوم : احتباس النفس، ويعبر به عن السكوت كقولهم : فلان لا يتنفس : إذا وصف بالمبالغة في السكوت، وكظم فلان : حبس نفسه.

ومعنى المكظوم في الآية، أي : مملوء غيظاً على قومه، إذ لم يؤمنوا لما دعاهم إلى الإيمان، وهو من كظم السقاء، إذا ملأه^(٢).

ومن استعماله بهذا المعنى قول ذي الرمة :

وَأَنْتَ مِنْ حُبِّ مَيِّ مُضْمِرٍ حُزْنًا عَازِي الْفُؤَادِ قَرِيحُ الْقَلْبِ مَكْظُومٌ^(٣)

﴿تَدَارِكُهُ﴾:

الدرك كالدرج، لكن الدرج يقال اعتباراً بالصعود، والدرك اعتباراً بالنزول، ويقال يلحق الإنسان من تبعة : درك، ويقال : ما لحقتك من درك فعلي خلاصه، قال تعالى : ﴿لَا تَخَافْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾^(٤)، أي : تبعة. وأدرك : بلغ أقصى الشيء، وأدرك الصبي : بلغ غاية الصبا، والتدارك في الإغاثة والنعمة أكثر، كما في هذه الآية^(٥).

﴿تَبَدُّهُ﴾:

تَبَدُّهُ : ألقاه، وبابه ضرب، وتَبَدُّهُ شُدُّهُ للكثرة، والتَّبَدُّ أَيضًا : طرحك الشيء

(١) يُنْظَرُ الْمَصَادِرُ نَفْسَهَا.

(٢) الْمَفْرَدَاتُ : ٤٣٢ ؛ لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَةٌ (كظم) ١٢ / ٥٢٠.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (المعروف بتفسير ابن عطية). لأبي مُحَمَّد عَبْدَ الْحَقِّ بْنِ عطية الغرناطي الأندلسي. (ت ٥٤١هـ). تَحْقِيقُ : عَبْدُ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمِ الْأَنْصَارِيِّ، وَالسَّيِّدُ عَبْدُ الْعَالِ السَّيِّدِ إِبْرَاهِيمِ. الطَّبَعَةُ الْأُولَى. مُوسَسَةُ دَارِ الْعُلُومِ. الدُّوْحَةُ. ١٤٠٤هـ. ١٩٨٤م : ١٥ / ٥٤. البحر المحيط : ٨ / ٣١٧. الدر المصون : ٦ / ٣٥٩، والبيت ليس في ديوانه.

(٤) سورة طه : من الآية ٧٧.

(٥) يُنْظَرُ : الْمَفْرَدَاتُ : ١٦٧ ؛ الْفَائِقُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ. لِمَحْمُودِ بْنِ عُمَرَ الزَّمْخَشَرِيِّ. (ت ٥٣٨هـ). تَحْقِيقُ : عَلِيُّ مُحَمَّدَ الْجَبَاوِيِّ. وَمُحَمَّدُ أَبِي الْفَضْلِ إِبْرَاهِيمِ. الطَّبَعَةُ الثَّانِيَّةُ. دَارُ الْمَعْرِفَةِ. لُبْنَانُ. (د. ت : ١ / ٤٢٦ ؛ مُخْتَارُ الصَّحَاحِ : مَادَةٌ (درك) ٨٥.

من يدك أمامك أو وراءك. يقال : نَبَذْتُ الشَّيْءَ أَنْبَذُهُ نَبْذًا إِذَا أَلْقَيْتَهُ مِنْ يَدِكَ، وَنَبَذْتَ الشَّيْءَ أَيضًا إِذَا رَمَيْتَهُ وَأَبْعَدْتَهُ ؛ وَكُلُّ طَرِحٍ نَبْذٌ ؛ نَبَذَهُ يَنْبِذُهُ نَبْذًا^(١).

﴿بِالْعَرَاءِ﴾ :

عَرَاءُ مِنَ الْأَمْرِ : خَلَّصَهُ وَجَرَّدَهُ. وَيُقَالُ : مَا تَعَرَّى فُلَانٌ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ، أَي : مَا تَخَلَّصَ. وَالْمَعَارِي : الْمَوَاضِعُ الَّتِي لَا تُنْبِتُ. وَالْعَرَاءُ - مَمْدُودًا - هُوَ مَا اتَّسَعَ مِنْ فِضَاءِ الْأَرْضِ ؛ وَقَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ : هُوَ الْمَكَانُ الْفِضَاءُ لَا يَسْتَتِرُ فِيهِ شَيْءٌ، وَقِيلَ : هِيَ الْأَرْضُ الْوَاسِعَةُ. وَمِنْ ذَلِكَ مَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾^(٢)، وَجَمَعَهُ أَعْرَاءٌ ؛ قَالَ ابْنُ جَنِيٍّ : كَسَرُوا فَعَالًا عَلَى أَفْعَالٍ حَتَّى كَانَهُمْ إِنَّمَا كَسَرُوا فَعَلًا، وَمِثْلُهُ جَوَادٌ وَأَجَوَادٌ وَعِيَاءٌ وَإِغِيَاءٌ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : إِنَّمَا قِيلَ لَهُ عَرَاءٌ ؛ لِأَنَّهُ لَا شَجَرَ فِيهِ وَلَا شَيْءَ يُعْطِيهِ، وَقِيلَ : إِنَّ الْعَرَاءَ وَجْهَ الْأَرْضِ الْخَالِي ؛ وَأَنْشُدُ :

وَرَفَعْتُ رِجْلًا لَا أَحَافَ عِشَارَهَا وَنَبَذْتُ بِالْبَلَدِ الْعَرَاءِ ثِيَابِي

وقال الزجاج : العراء على وجهين : مقصور، وممدود، فالمقصور الناحية، والممدود المكان الخالي. والعراء : ما استوى من ظهر الأرض وجهر. والعراء : الجهراء، مؤنثة غير مصروفة. والعراء : مذكر مصروف، وهما الأرض المستوية المضحرة وليس بها شجر ولا جبال ولا آكام ولا رمال، وهما فضاء الأرض، والجماعة الأعراء. يقال : وَطَّنَا عَرَاءَ الْأَرْضِ وَالْأَعْرِيَةَ. وَقَالَ ابْنُ شَمِيلٍ : الْعَرَاءُ مِثْلُ الْعَقْوَةِ، يُقَالُ : مَا بَعَرَانَا أَحَدٌ، أَي : مَا بَعَقَوْنَا أَحَدًا^(٣).

﴿مَذْمُومٌ﴾ :

الذَّمُّ ضِدُّ الْمَدْحِ، وَقَدْ ذَمَّهُ مِنْ بَابِ رَدٍ، فَهُوَ ذَمِيمٌ، وَيُقَالُ : ذَمَمْتَهُ أَذَمْتُهُ ذَمًّا، فَهُوَ مَذْمُومٌ وَذَمِيمٌ، قَالَ تَعَالَى : ﴿مَذْمُومًا مَذْحُورًا﴾^(٣). وَقِيلَ : ذَمَمْتَهُ أَذَمْتَهُ عَلَى قَلْبٍ إِحْدَى الْمِيَمِينَ تَاءً. وَالذَّمَامُ : مَا يَذُمُّ الرَّجُلَ عَلَى إِضَاعَتِهِ مِنْ عَهْدٍ، وَكَذَلِكَ الْمَذْمَةُ.

- (١) يُنظَرُ : الْمُفْرَدَاتُ : ٤٨٠ ؛ لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (نَبَذَ) ٣/ ٥١١ ؛ مُخْتَارُ الصَّحَاحِ : مَادَّةُ (نَبَذَ) ٢٦٨ .
- (٢) يُنظَرُ : الْمَجْمَلُ . لِأَبِي الْحَسَنِ أَحْمَدَ بْنِ فَارِسَ بْنِ زَكَرِيَا . (ت ٣٩٥هـ) . تَحْقِيقُ : مُحَمَّدٌ مَحْيِي الدِّينِ عَبْدُ الْحَمِيدِ . مَطْبَعَةُ السَّعَادَةِ . مِصْرَ . ١٩٤٧ م ٣/ ٦٦٤ ؛ وَالْمَقْصُورُ وَالْمَمْدُودُ . لِأَبِي زَكَرِيَا يَحْيَى بْنِ زِيَادِ الْفَرَّاءِ . (ت ٢٠٧هـ) . دَارُ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ . ١٩٥٥ : ٢١ ؛ كِتَابُ الْأَفْعَالِ . لِأَبِي الْقَاسِمِ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرِ السَّعْدِيِّ . (ت ٥١٥هـ) . الطَّبَعَةُ الْأُولَى . عَالَمُ الْكُتُبِ . بَيْرُوتَ . ١٩٨٣ م : ١/ ٢٥١ ؛ لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (عَرَى) ٤٤/١٥ .
- (٣) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ : مِنَ الْآيَةِ ١٨ .

قال الشاعر :

وَتَرَى الذَّمِيمَ عَلَى مَرَايِنِهِمْ يَوْمَ الْهَيْجِ كَمَا زِنِ النَّمْلِ^(١)
وقيل : لي مذمة فلا تهتكها، وأذهب مذمتهم بشيء، أي : أعطهم شيئاً لما لهم
من الذمام^(٢).

القراءات :

﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ :

قرأ أبو عمرو، والدوري بالإدغام^(٣).

﴿نَادَى﴾ :

قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وورش بالإمالة^(٤).

قرأ الأزرق، وورش بالتقليل^(٥).

﴿تَذَكَّرْهُمْ﴾ :

قرأ الحسن، والأعرج، والأعمش : (تَذَارَكُهُ)^(٦). وأصله تتداركه، فأبدل التاء
دالا، وأدغمت الدال في الدال، والمراد حكاية الحال الماضية على معنى لولا ان
كان يقال فيه : تتداركه^(٧).

قرأ ابن مسعود، وابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - : (تداركته)^(٨).

(١) البيت بلا نسبة في الاشتقاق. لأبي بكرٍ مُحَمَّد بن الحَسَن بن دريد الأزدي القحطاني. (ت
٣٢١هـ). تحقيق وشرح : عبد السلام مُحَمَّد هارون. مطبعة السنة المَحْمَدية. القاهرة. ١٩٨٥م :
١٨١. وهو للحادرة الذبياني، في جمهرة اللغة. لأبي بكرٍ مُحَمَّد بن الحَسَن الأزدي البصري بن
دريد. (ت ٣٢١هـ). مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد. الدكن. ١٣٤٥هـ : ٨٠/١.

(٢) مجمل اللغة : ٣٥٤/٢؛ المَفْرَدَات : ١٨١؛ أساس البلاغة : ١٤٥.

(٣) غَيْث النَّفْع : ٤٢١.

(٤) إِنْخَافُ فَضْلَاءِ الْبَشَرِ : ٤٢١؛ غَيْث النَّفْع : ٣٧٢.

(٥) إِنْخَافُ فَضْلَاءِ الْبَشَرِ : ٤٢١.

(٦) إِرْغَابِ الْقُرْآنِ لِلنَّحَاسِ : ٤٩٣/٣؛ الْمُحْتَسَبُ فِي تَبْيِينِ وَجْهِهِ شَوَازِ الْقِرَاءَاتِ وَالْإِيضَاحِ عَنْهَا.
لأبي الفتح عثمان ابن جني. (ت ٣٩٢هـ). تحقيق : علي النجدي ناصف، والدكتور عبد الحلیم
النجار، والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي. الطَّبَعَةُ الْأُولَى. لجنة إحياء التُّرَاثِ الْإِسْلَامِيِّ.
القاهرة. ١٩٦٦م : ٣٢٦/٢.

(٧) يُنْظَرُ : الكشاف : ٥٩٦/٤.

(٨) مَعَانِي الْقُرْآنِ. لأبي زكريا يحيى بن زياد القراء. (ت ٢٠٧هـ). الجزء الأول. تحقيق : أحمد يوسف
نجاتي، ومُحَمَّد علي النَّجَّار. الطَّبَعَةُ الْأُولَى. دار الكتب المصرية. ١٩٥٥. ١٩٥٦م. بالقاهرة. =

﴿نَمَّةٌ﴾:

قريء - دون نسبة - (رحمة)^(١). وتذكير الفعل على القراءتين، لأن الفاعل مؤنث مجازي مع الفصل بالضمير^(٢).

﴿فَأَجَبْتُهُ﴾:

قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وورش بالإمالة^(٣).

قرأ الأزرق، وورش بالتقليل^(٤).

بعض الأوجه الإعرابية :

﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾:

الجملة حال من ضمير نادى، وعليها يدور النهي لا على النداء، فإنه أمر مستحسن، ولذا لم يذكر المنادى، وإذ منصوب بمضاف محذوف، أي: لا يكن حالك كحال، وقت ندائه، أي: لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة، فتبتلى بنحو بلائه - عليه السلام -^(٥).

﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾:

في موضع الحال من مرفوع نبذ، وعليها يعتمد جواب (لولا)؛ لأن المقصود امتناع نبذه مذموماً، وإلا فقد حصل النبذ فدلّ على أن حاله كانت على خلاف الذم، والغرض أن حالة النبذ والانتهاه كانت مخالفة لحاله^(٦) والابتداء لقوله

الطبعة الثانية. تحقيق ومراجعة: مُحَمَّد علي النجار. الدار المصرية للتأليف والترجمة مطابع سجل العرب بالقاهرة. ١٩٦٦م. الطبعة الثالثة. تحقيق: الدكتور عَبْد الفتاح إسماعيل سُليبي. ومراجعة علي النجدي ناصف. مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٧٢ - ١٩٧٣م: ٣/١٧٨.

(١) مَفَاتِيحُ الْعَيْبِ: ٩٨/٣٠.

(٢) المحرر الوجيز: ١٥/٥٤ - ٥٥؛ مَفَاتِيحُ الْعَيْبِ: ٨/٢٧٦؛ إرشاد العقل السليم: ٩/١٩؛

اللباب في علوم الكتاب: ١٩/٣٠٧.

(٣) إِنْخَافُ فَضْلَاءِ الْبَشَرِ: ٤٢١؛ عَيْثُ النَّفْعِ: ٣٧٢.

(٤) إِنْخَافُ فَضْلَاءِ الْبَشَرِ: ٤٢١.

(٥) ينظر المحرر الوجيز: ١٥/٥٤؛ البحر المحيط: ٨/٣١٧؛ الدر المصون: ٦/٣٥٩؛ اللباب

في علوم الكتاب: ١٩/٣٠٦.

(٦) فتوح الْعَيْبِ فِي الْكُشْفِ عَنْ قَنَاقِ الرَّيْبِ. للعلامة شرف الدِّين الحسين بن مُحَمَّد بن عَبْد اللَّهِ

الطبيي. (ت ٥٧٤٣هـ). مخطوط في دَار المخطوطات برقم (٢٣٨٩): الورقة ١٤؛ البحر المحيط:

٨/٣١٧؛ الدر المصون: ٦/٣٥٩.

سبحانه: ﴿فَالنَّمَةُ الْخَوْتُ وَهُوَ مَلِيٌّ﴾^(١)، وقال أبو السعود: إن الجملة الشرطية استئناف وارد لبيان كون المنهي عنه أمراً محذوراً مستتبعا للغائلة^(٢).

﴿فَاجْتَبَهُ رَبُّكَ﴾:

عطف على مقدر، أي: فتداركته نعمة من ربه^(٣).

من القضايا البلاغية:

﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾:

فيها مجاز مرسل^(٤)؛ لأن اللوم في الحقيقة سبب للذم، فالعلاقة سببية، قال الرازي: وهو مذموم على كونه فاعلاً للذنب، قال: والجواب على ثلاثة أوجه:

الأول: إن كلمة (لولا) دالة على أن هذه المذمومية لم تحصل.

الثاني: لعل المراد من المذمومية ترك الأفضل، فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين.

الثالث: لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة^(٥).

والذي يبدو لي أن القول بالمجاز أولى من هذه التأويلات البعيدة.

المعنى العام:

﴿فَأَصْبَرَ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾:

وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم^(٦).

﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْخَوْتُ﴾:

هو يونس - عليه السلام - كما أنه المراد من ذي النون إلا أنه فرق بين (ذي) وصاحب، بأن (ذي) أبلغ من صاحب، قال ابن حجر لاقتضائها تعظيم المضاف إليها، والموصوف بها بخلافه^(٧).

(١) سورة الصافات: الآية ١٤٢. (٢) إرشاد العقل السليم: ١٩ / ٩.

(٣) فتوح الغيب: الورقة ١٤؛ البحر المحيط: ٨ / ٣١٧؛ الدر المصون: ٦ / ٣٥٩.

(٤) المجاز المرسل: هو الكلام المستعمل في غير المعنى الذي وضع له لعلاقة غير المتشابه مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، ينظر تنبيه الوسنان إلى علم البيان. للدكتور عبد الرزاق عبد الرحمن السعدي. دار الأنبار للطباعة والنشر. بغداد. ١٩٩٧م: ٢٩.

(٥) مفاتيح الغيب: ٨ / ٢٧٧.

(٦) إرشاد العقل السليم: ١٩ / ٩.

(٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري. لأحمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني. (ت ٨٥٢هـ). الطبعة الأولى. دار المعرفة. بيروت. ١٣٧٩هـ: ٤٥١ / ٦.

ومن ثم قال سبحانه في معرض مدح يونس - عليه السلام - ﴿وَذَا النُّونِ﴾^(١)،
والنهي عن اتباعه، ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾، إذ النون لكونه جعل فاتحة سورة أفخم
وأشرف من لفظ الحوت^(٢).

﴿إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾:

نادى يونس - عَلَيْهِ السَّلَام - في بطن الحوت وهو مكظوم، أي: مملوء غيظاً
على قومه، إذ لم يؤمنوا لما دعاهم إلى الإيمان.

﴿لَتَيْدٌ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾:

لنبت بالأرض الخالية من الأشجار، أي في الدنيا^(٣).

وقيل: بعراء القيامة^(٤) لقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْتَجِيبِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلِئْتِ فِي
بَطْنِهِ إِلَيْكَ يَوْمَ يُعْتَوْنَ ﴿١٤٤﴾﴾^(٥).

والراجع هو القول الأول. إذ المقول الثاني بعيد^(٦).

﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾:

فاجتباها، أي: اصطفاه بأن ردّ عز وجل إليه الوحي، وأرسله إلى مائة ألف أو
يزيدون.

وقيل: استنباها، إن صح أنه لم يكن نبياً قبل هذه الواقعة، وإنما كان رسولاً
لبعض المرسلين في أرض الشام.

وقيل: هو توفيقه للتوبة وقبولها منه^(٧).

﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾:

أي: من الكاملين في الصلاح بأن عصمه سبحانه من أن يفعل فعلاً يكون تركه
أولى^(٨).

ما يستفاد من الآية:

في هذه الآية ترتب الاجتباء بعد مخالفة أمر إلهي أيضاً، وفي هذا درس كبير

(١) سورة الأنبياء: الآية ٨٧. (٢) إرشاد العقل السليم: ١٩/٩.

(٣) ينظر المفردات: ٣٣٦؛ إرشاد العقل السليم: ١٩/٩؛ اللباب في علوم الكتاب: ٣٠٧/١٩.

(٤) نقل القول دون نسبة، صاحب البحر المحيط: ٣٠٧/٨.

(٥) سورة الصافات: الآيتان ١٤٣-١٤٤.

(٦) ينظر إرشاد العقل السليم: ١٩/٩. اللباب في علوم الكتاب: ٣٠٧/١٩.

(٧) المحرر الوجيز: ١٥/٥٤؛ إرشاد العقل السليم: ١٩/٩.

(٨) إرشاد العقل السليم: ١٩/٩.

لكل إنسان أن باب التوبة مفتوح لا يحول بين العبد وبينه حائل وإنَّ الله تعالى ينعم برضاه ومواهبه على عبده إن علم منهم صدق التوبة وصدق التوجه إليه سبحانه. وإنَّ اجتناب آدم، ويونس - عَلَيْهِمَا السَّلَام - بعد مخالفتها يعلمنا أنه بالإمكان اجتناب المؤمنين بعد وقوعهم في الذنب أيضًا، وإنَّ الترفي في المقامات الربانية أمر وهيب، لا يمنع منه إلا التعرض للنفحات الإلهية «إن لربكم في أيام دهركم نفحات، فتعرضوا لها، لعل أحدكم أن يصيبه منها نفحة لا يشقى بعدها أبدًا»^(١).

المطلب السابع

اجتناب ذرية الأنبياء - عَلَيْهِم السَّلَام -

أرجأت ذكر هذه الآية إلى هذا الموضع، وإن كان سياقها يقتضي إيرادها قبله؛ لأنها أجملت ذكر عدد من الأنبياء - عَلَيْهِم السَّلَام - فرأيت أن أختم هذا المبحث بذكرهم جميعاً - عَلَيْهِم السَّلَام -

وسبق هذه الآية أن بين القرآن الكريم فضائل إبراهيم، وموسى، وإدريس، ثم ختم ذلك بقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَكَبُّوا وَسَبَّحُوا﴾^(٢).

تحليل الألفاظ :

﴿ذُرِّيَّةٌ﴾:

الذُّرِّيَّةُ : أصلها الصَّغَارُ مِنَ الأَوْلَادِ، وإنَّ كَانَ قد يَقَعُ عَلَى الصَّغَارِ والكِبَارِ معاً في التَّعَارُفِ، وَيُسْتَعْمَلُ للوَاحِدِ والجمعِ، وأصلُه الجمعُ. وفي الذُّرِّيَّةِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ :
 قيلَ : هو من ذَرَأَ اللهُ الخَلْقَ فَتَرَكَ هَمْزُهُ نحو رَوِيَّةٍ وَبَرِيَّةٍ.
 وقيلَ : أصلُه ذُرْوِيَّةٌ.

(١) الكتاب المُصَنَّفُ في الأحاديث والآثار. لأبي بكر عبد الله بن مُحَمَّد بن أبي شَيْبَةَ الكوفي. (ت ٢٣٥هـ). تَحْقِيقُ: كمال يوسف الحوت. الطَّبَعَةُ الأُولَى. مكتبة الرشد. الرياض. ١٤٠٩هـ: ٧/

١١١ رقم (٣٤٥٩٤) رواه موقوفاً على أبي الدرداء، مَجْمَعُ الرِّوَايَةِ: ٢٣١/١٠ وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير بنحوه، وفيه من لم أعرفهم، ومن عرفهم وثقوا.

(٢) سورة مريم: الآية ٥٨.

وَقِيلَ : هُوَ فُعْلِيَّةٌ مِنَ الدَّرِّ نَحْوَ فُؤْمِرِيَّةٍ^(١).

﴿حَمَلْنَا﴾ :

الحَمَلُ معنَى وَاجِدُ اغْتَبِرَ فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ فَسُوِّيَ بَيْنَ لَفْظِهِ فِي فِعْلٍ وَفُرُقَ بَيْنَ كَثِيرٍ مِنْهَا فِي مَصَادِرِهَا، فَقِيلَ فِي الْأَثْقَالِ الْمَحْمُولَةِ فِي الظَّاهِرِ كَالشَّيْءِ الْمَحْمُولِ عَلَى الظَّهْرِ حَمْلٌ، وَفِي الْأَثْقَالِ الْمَحْمُولَةِ فِي الْبَاطِنِ حَمْلٌ كَالْوَلَدِ فِي الْبَطْنِ وَالْمَاءِ فِي السَّحَابِ وَالثَّمَرَةِ فِي الشَّجَرَةِ تَشْبِيهًا بِحَمْلِ الْمَرْأَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْحَمَلُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ. وَالْأَصْلُ فِي ذَلِكَ الْحَمْلُ عَلَى الظَّهْرِ. فَاسْتَعِيرَ لغيره^(٢).

﴿خَرَّوْا﴾ :

مَعْنَى خَرَّ : سَقَطَ سُقُوطًا يُسْمَعُ مِنْهُ خَرِيرٌ، وَالْخَرِيرُ يُقَالُ لِصَوْتِ الْمَاءِ وَالرَّيْحِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَسْقُطُ مِنْ عُلُوٍّ. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ اسْتَعْمَلَ الْخَرَّ تَنْبِيهًا عَلَى اجْتِمَاعِ أَمْرَيْنِ : السُّقُوطِ، وَخُصُوصِ الصَّوْتِ مِنْهُمُ بِالتَّسْبِيحِ، وَقَوْلُهُ مِنْ بَعْدِهِ : ﴿وَسَخَّرُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(٣)، فَتَنْبِيهٌ أَنَّ ذَلِكَ الْخَرِيرَ كَانَ تَسْبِيحًا بِحَمْدِ اللَّهِ لَا بِشَيْءٍ آخَرَ^(٤).

القراءات :

﴿ثُلَا﴾ :

قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَحَمْزَةٌ، وَقَتِيبةٌ وَوَرشٌ، وَشِيبَةُ، وَأَبُو جَعْفَرٍ، وَشَبَلُ بْنُ عَبَادٍ، وَأَبُو حَيوَةَ، وَابْنُ ذَكْوَانَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ الْعَجَلِي : (يتلى)، لِأَنَّ التَّأْنِيثَ غَيْرَ حَقِيقِي^(٥).

قَرَأَ حَمْزَةً، وَالْكَسَائِي، وَوَرشٌ بِالْإِمَالَةِ^(٦).

﴿وَبِكَا﴾ :

قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَحَمْزَةٌ، وَالْكَسَائِي وَيَحْيَى،

(١) يُنظَرُ : معاني القرآن للنحاس ٣٩٩/١؛ الخصائص. لأبي الفتح عثمان بن جني. (ت ٣٩٢هـ).

تَحْقِيقٌ : مُحَمَّدٌ عَلِي النجاري. عالم الكتب. بيروت. (د. ت) : ٨٦/٣ المُفْرَدَات : ١٧٨.

(٢) يُنظَرُ : معاني القرآن للنحاس ٣٩٩/١؛ الخصائص لابن جني ٨٦/٣؛ المُفْرَدَات : ١٧٨.

(٣) سورة السجدة : من الآية ١٥.

(٤) يُنظَرُ : أساس البلاغة : ٣٥٤؛ النهاية ٤٤٢/١؛ بصائر ذوي التمييز : ٥٠٢/٢.

(٥) البخر المحييط : ٢٠٠/٦؛ إرشاد العقلي السليم : ٢٧١/٥؛ غيث النفع : ٢٨٥.

(٦) غيث النفع : ٢٨٥.

والأعمش : (وَبِكْيًا)، وقد كسر الباء هنا ليتبع الكسر الكسر وليكون أخف في عمل اللسان^(١).

بعض الأوجه الإعرابية :

﴿مِن ذُرِّيَّتِهِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ﴾ :

بدل منه بإعادة الجار، ويجوز أن تكون كلمة (من) فيه للتبعيض لأن المنعم عليهم أعم من الأنبياء، وأخص من الذرية^(٢).

﴿إِذَا نُنَادِي عَلَىٰ مِمَّنْ ءَأَيْتُكَ الرَّحْمٰنِ﴾ :

جملة (إِذَا تَتْلَىٰ عَلَيْهِم) وجوابها استثنائية لا محل لها من الإعراب إِذَا أعربنا (الذين) خيراً، وَإِذَا أعربنا (الذين) بدلاً فتكون هي الخبر.

﴿خَرَوْا سُجَّدًا وَبِكْيًا﴾ :

جملة (خروا) لا محل لها من الإعراب، لأنها جواب (إِذَا)، والواو في (خروا) فاعل^(٣).

(سجداً وبكياً) انتصبا على الحال، ويكون (بكياً) جمع باك. وقيل : (بكياً) نصب على المصدر وليس بجمع باك، تقديره : خروا سجداً، وبكوا بكياً، وأصله في الوجهين بكويًا على فاعول، ثم أدمجت الواو في الياء وكسر ما قبلها ليصح سكون الياء، ولأنه أخف^(٤).

المعنى العام :

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ﴾ :

يعني الذين ذكرهم من الأنبياء في هذه السورة، أي : أنعم عليهم بفنون النعم الدينية والدنيوية حسبما أشير إليه مجملاً، و (من النبيين) بيان للموصول^(٥).

(١) مشكل إعراب القرآن. لأبي مُحَمَّد مكي بن أَبِي طالب القيسي. (ت ٤٣٧هـ). تَحْقِيق : د. حاتم صالح الضامن. الطَّبَعَةُ الأُولَى. دار الحرية للطباعة. بَغْدَاد. ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م : ٢ / ٤٥٦؛ حجة القراءات. لأبي زرعَة عَبْدِ الرَّحْمٰن بن مُحَمَّد بن زنجلة. (ت ٥٩٠هـ). تَحْقِيق : سعيد الأفغاني. الطَّبَعَةُ الثانية. مؤسسة الرسالة. بَيْرُوت. ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م : ٢٣٥؛ إِتْحَافٌ فُضَّلَاءِ البَسْرَةِ : ٢٩٨؛ غَيْثُ النَّعْم : ٢٨٥.

(٢) إِزْشَادُ العَقْلِ السَّلِيم : ٢٧١/٥. (٣) إِعْرَابُ القرآنِ الكَرِيمِ وَبَيَانُهُ : ٦٢١/٤.

(٤) يُنظَرُ : مشكل إعراب القرآن : ٢ / ٤٥٦؛ إِعْرَابُ القرآنِ الكَرِيمِ وَبَيَانُهُ : ٦٢١/٤.

(٥) إِزْشَادُ العَقْلِ السَّلِيم : ٢٧١/٥.

﴿وَمِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ﴾:

يعني إدريس - عَلَيْهِ السَّلَام - وقيل إنه أراد بقوله من ذرية آدم إدريس وحده وأراد بقوله وممن حملنا مع نوح إبراهيم وحده وأراد بقوله ومن ذرية إبراهيم إسمايل وإسحاق ويعقوب وأراد بقوله ومن ذرية إسرائيل موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى .

﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾:

أي ومن ذرية من حملنا معه خصوصاً، وهم من عدا إدريس - عليه السلام - فإن إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَام - كان من ذرية سام بن نوح (١).

﴿وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ﴾:

يريد إسمايل، وإسحاق، ويعقوب - عَلَيْهِمُ السَّلَام - (٢).

﴿وَإِسْرَائِيلَ﴾:

إسرائيل عطف على إبراهيم، أي: ومن ذرية إسرائيل، وهم موسى، وهارون، وزكريا، ويحيى، وعيسى - عَلَيْهِمُ السَّلَام -.

﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾:

أي: ومن جملة من هديناهم إلى الحق واجتبيناهم للنبوة والكرامة (٣).

﴿وَأَجْتَبَيْنَاهُ﴾:

أي: واصطفينا.

﴿إِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ ءَأَبْنُكَ الرَّحْمَنُ خَرُوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾:

سجداً: حال مقدره، المعنى: خروا مقدرين السجود؛ لأن الإنسان في حال خروجه لا يكون ساجداً. فقد بين الله تعالى أن الأنبياء - عَلَيْهِمُ السَّلَام - كانوا إذا سمعوا آيات الله سجدوا وبكوا من خشية الله. وهذا استئناف مسوق لبيان خشيتهم من الله تعالى وإخباتهم له، مع حالهم من علو الرتبة وسمو الطبقة في شرف النسب، وكمال النفس والزلفى من الله عز سلطانه (٤).

(١) زَادَ الْمَسِيرُ: ٢٤٤/٥؛ إِزْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: ٢٧١/٥.

(٢) زَادَ الْمَسِيرُ: ٢٤٤/٥؛ فَتَحَ الْقَدِيرُ: ٣ / ٣٣٩.

(٣) زَادَ الْمَسِيرُ: ٢٤٤/٥.

(٤) زَادَ الْمَسِيرُ: ٢٤٥/٥؛ إِزْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: ٢٧١/٥.

ما يستفاد من الآية :

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ إِبرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ﴾ :

فيه دليل على أن أولاد البنات من الذرية^(١).

﴿إِذَا نُنَادَى عَلَيْهِمْ ءآيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ :

قال رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ نَزَلَ بِحُزْنٍ، فَإِذَا قَرَأْتُمُوهُ فَابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكُوا، وَتَغْنُوا بِهِ، فَمَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِهِ فَلَيْسَ مِنَّا»^(٢).
وقالوا : ينبغي أن يدعو الساجد في سجده بما يليق بآياتها^(٣).

المَبْحَثُ الثَّانِي

اجتناء المؤمنين

المَطْلَبُ الأوَّل

الترابط بين الاجتناء والمشيمة الإلهية

في هذا المطلب ذكر الله تَعَالَى الاجتناء مقروناً بالمشيمة الإلهية، ومقروناً بالهداية، ولأنني تناولت سابقاً الهداية، فسأركز في هذا المطلب على العلاقة بين المشيمة الإلهية والاجتناء.

قال الله سُبحَانَهُ : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقْبِلُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾^(٤).

تحليل الألفاظ :

﴿شَرَعَ﴾ :

الشرعُ : نهجُ الطريقِ الواضحِ، يقالُ : شرَعْتُ له طريقاً، والشرعُ مصدرٌ، ثم جعلَ اسماً للطريقِ النهجِ، فقيلَ له : شرعٌ وشرعٌ وشرِيعَةٌ، واستعيرَ ذلك للطريقة الإلهية.

(١) إرشاد العَقْلِ السَّلِيمِ : ٢٧١/٥.

(٢) سُنَنُ ابْنِ مَاجَهَ. لأبي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ الْقَزْوِينِي. (ت ٢٧٣هـ). تَحْقِيقُ : مُحَمَّدُ فُؤَادُ عَبْدُ الْبَاقِي. دَارُ الْفِكْرِ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ. بَيْرُوت. (د.ت) : ١/ ٤٢٤ رقم (١٣٣٧) من حديث سعد بن أبي وقاص. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وهو حديث حسن. يُنظَرُ : فَتْحُ الْبَارِي : ٧١/٩.

(٣) إرشاد العَقْلِ السَّلِيمِ : ٢٧١/٥. (٤) سورة الشورى : الآية ١٣.

قال تعالى : ﴿شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾^(١) ، فذلك إشارة إلى أمرين :

أحدهما : ما سَخَّرَ اللَّهُ تعالى عليه كلَّ إنسانٍ مِنْ طَرِيقٍ يَتَحَرَّاهُ مِمَّا يَعُودُ إِلَى مَصَالِحِ الْعِبَادِ وَعِمَارَةِ الْبِلَادِ ، وَذَلِكَ الْمُشَارُ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تعالى : ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾^(٢) .

الثاني : ما قَيَّضَ لَهُ مِنَ الدِّينِ وَأَمْرِهِ بِهِ لِيَتَحَرَّاهُ اخْتِيَارًا مِمَّا تَخْتَلِفُ فِيهِ الشَّرَائِعُ وَيَعْتَرِضُهُ النَّسْخُ ، وَدَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تعالى : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبَعهَا﴾^(٣) .

قال ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : الشَّرْعَةُ مَا وَرَدَ بِهِ الْقُرْآنُ ، وَالْمِنْهَاجُ مَا وَرَدَ بِهِ السُّنَّةُ .

وقوله هنا : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ﴾ فإشارة إلى الأصول التي تتساوى فيها المللُ ، فَلَا يَصِحُّ عَلَيْهَا النَّسْخُ كَمَعْرِفَةِ اللَّهِ تعالى ونحو ذلك من نحو ما دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ : ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٤) . وَسُمِّيَتِ الشَّرِيعَةُ شَرِيعَةً تَشْبِيهَا بِشَرِيعَةِ الْمَاءِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ مِنْ شَرَعٍ فِيهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ الْمَصْدُوقَةِ رَوِي وَتَطَهَّرَ^(٥) .

﴿أَوْحِيَانًا﴾ :

أضلُّ الْوَحْيِ الْإِشَارَةُ السَّرِيعَةُ ، وَلِتَضْمُنَ الشَّرْعَةَ قِيلَ : أَمْرٌ وَحْيٌ وَذَلِكَ يَكُونُ بِالْكَلَامِ عَلَى سَبِيلِ الرَّمْزِ وَالتَّعْرِيفِ ، وَقَدْ يَكُونُ بِصَوْتٍ مُجَرَّدٍ عَنِ التَّرْكِيبِ وَبِإِشَارَةِ بَعْضِ الْجَوَارِحِ ، وَبِالْكِتَابَةِ ، وَقَدْ حُوِّلَ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تعالى عَنِ زَكَرِيَّا : ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾^(٦) ، فَقَدْ قِيلَ : رَمَزَ ، وَقِيلَ : اعْتَبَارًا ، وَقِيلَ : كَتَبَ ، وَعَلَى هَذِهِ الْوُجُوهِ تَحْمِلُ الْآيَاتُ الَّتِي لَا تَتَعَلَقُ بِجَبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَالْمَرَادُ هُنَا ، الْكَلِمَةُ الْإِلَهِيَّةُ الَّتِي تُلْقَى إِلَى أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ وَحْيًا^(٧) .

(١) سورة المائدة : من الآية ٤٨ . (٢) سورة الزخرف : من الآية ٣٢ .

(٣) سورة الجاثية : من الآية ١٨ . (٤) سورة النساء : من الآية ١٣٦ .

(٥) يُنظَرُ : العين : مادة (شرع) ١/٢٥٢ ؛ الْمُفْرَدَات : ٢٥٨ ؛ النكت والعيون (المسمى : تفسير

الماوردي) . لأبي الحسن علي بن حبيب البصري . (ت ٤٥٠هـ) . الطبعة الأولى . تحقيق : خضر

مُحَمَّدُ خَضِر . مطابع مهوي . الكويت . ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م : ١/٥١ ؛ بصائر ذوي التمييز : ٣/

٣٠٩ .

(٦) سورة مريم : الآية ١١ .

(٧) يُنظَرُ : الْمُفْرَدَات : ٥١٥ ؛ لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَّةُ (وحي) ١٥/٣٨٢ .

﴿وَصِيَانًا﴾:

الْوَصِيَّةُ : التَّقَدُّمُ إِلَى الْغَيْرِ بِمَا يَعْمَلُ بِهِ مُقْتَرِنًا بِوَعْظٍ مِنْ قَوْلِهِمْ أَرْضٌ وَاصِيَّةٌ مُتَّصِلَةٌ النَّبَاتِ، وَيُقَالُ : أَوْصَاهُ وَوَصَّاهُ، وَتَوَاصَى الْقَوْمُ إِذَا أَوْصَى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ (١).

﴿أَقِيَامًا﴾:

الْقِيَامُ عَلَى أَنْوَاعٍ، مِنْهَا : قِيَامٌ بِالشَّخْصِ إِمَّا بِتَسْخِيرٍ أَوْ اخْتِيَارٍ، وَقِيَامٌ لِلشَّيْءِ هُوَ الْمُرَاعَاةُ لِلشَّيْءِ وَالْحِفْظُ لَهُ، وَقِيَامٌ هُوَ عَلَى الْعَزْمِ عَلَى الشَّيْءِ. فَمِنْ الْقِيَامِ بِالتَّسْخِيرِ : ﴿قَائِدٌ وَحَصِيدٌ﴾ (٢).

وَمِنْ الْقِيَامِ الَّذِي هُوَ بِالِاخْتِيَارِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيثٌ ءَأَنَاءَ آئِيلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ (٣).

وَمِنْ الْمُرَاعَاةِ لِلشَّيْءِ قَوْلُهُ : ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ (٤).

وَمِنْ الْقِيَامِ الَّذِي هُوَ الْعَزْمُ قَوْلُهُ : ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ (٥)، أَيْ : يُدِيمُونَ فِعْلَهَا وَيُحَافِظُونَ عَلَيْهَا (٦).

﴿كَبِيرًا﴾:

الْكَبِيرَةُ : مُتَعَارَفَةٌ فِي كُلِّ ذَنْبٍ تَعْظُمُ عُقُوبَتُهُ وَالْجَمْعُ الْكِبَائِرُ، قَالَ تَعَالَى : ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِنْتِهَاءِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّغَمَ﴾ (٧)، وَتُسْتَعْمَلُ الْكَبِيرَةُ فِيمَا يَشُقُّ وَيَضْعُبُ نَحْوُ : ﴿وَإِنَّمَا لِكَبِيرَةٍ إِلَّا عَلَى الْفَاحِشِينَ﴾ (٨)، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾، ففِيهِ تَبْيِيهُ عَلَى عِظَمِ ذَلِكَ مِنْ بَيِّنِ الذُّنُوبِ، وَعِظَمِ عُقُوبَتِهِ (٩).

﴿يُنِيبٌ﴾:

نَابَهُ يَنْوِبُهُ نَوْبًا، وَانْتَابَهُ : إِذَا قَصَدَهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ. وَالْإِنَابَةُ : الرَّجُوعُ إِلَى اللَّهِ بِالتَّوْبَةِ، يُقَالُ : أَنْابَ يُنِيبُ إِنَابَةً فَهُوَ مُنِيبٌ، إِذَا أَقْبَلَ وَرَجَعَ (١٠).

(١) يُنظَرُ: الْمُفْرَدَات: ٥٢٥؛ مُخْتَارِ الصَّحَاح: مَادَّة (وَصِي) ٣٠٢.

(٢) سُورَةُ هُودٍ: مِنْ الْآيَةِ ١٠٠. (٣) سُورَةُ الزُّمَرِ: مِنْ الْآيَةِ ٩.

(٤) سُورَةُ النِّسَاءِ: مِنْ الْآيَةِ ١٣٥. (٥) سُورَةُ الْمَائِدَةِ: مِنْ الْآيَةِ ٥٥.

(٦) يُنظَرُ: الْمُفْرَدَات: ٤١٦-٤١٧؛ لِسَانِ الْعَرَبِ: مَادَّةُ (قَوْم) ٤٩٧/١٢.

(٧) سُورَةُ النُّجُومِ: مِنْ الْآيَةِ ٣٢. (٨) سُورَةُ الْبَقَرَةِ: مِنْ الْآيَةِ ٤٥.

(٩) يُنظَرُ: الْعَيْنِ: مَادَّةُ (كَبِير) ٣٦١/٥؛ الْمُفْرَدَات: ٤٢٠.

(١٠) يُنظَرُ: الْعَيْنِ: مَادَّةُ (نُوب) ٣٧٩/٨؛ الْمُفْرَدَات: ٥٠٧؛ الْمَصْبَاحُ الْمُنِيرُ: ٦٩٧/٢.

القراءات :

﴿وَمُوسَى﴾:

قرأ حمزة، والكسائي، وأبو عمرو، وورش بالإمالة^(١).

﴿وَعِيسَى﴾:

قرأ حمزة، والكسائي، وأبو عمرو، وورش بالإمالة^(٢).

بعض الأوجه الإعرابية :

﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾:

(أن) مصدرية، أو مخففة من الثقيلة، لما في (شرع) من معنى العلم، والمصدر إما منصوب على أنه بدل من مفعول (شرع) والمعطوفين عليه، أو مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف، أو مبتدأ خبره محذوف، والجملة جواب عن سؤال نشأ من إبهام المشروع. وقيل: هو مجرور على أنه بدل من ضمير (به)، ولا يلزمه بقاء الموصول بلا عائد؛ لأنه المبدل منه في نية الطرح حقيقة. وجوز كونه بدلاً من (الدين)، ويجوز كون (أن) مفسرة، فقد تقدمها ما يتضمن معنى القول دون حروفه، والخطاب في (أقيموا)^(٣).

من القضايا البلاغية :

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾:

عبر بـ(الذي) التي هي أصل الموصلات، وذلك هو السرفي تقديم الذي أوحى إليه - عليه الصلاة والسلام - على ما بعده مع تقدمه عليه زماناً، وتقديم توصية نوح - عليه السلام - للمسارعة إلى بيان كون المشروع لهم ديناً قديماً. وتوجيه الخطاب إليه - عليه الصلاة والسلام - بطريق التلوين، للتشريف والتنبية على أنه تعالى شرعه لهم على لسانه صلى الله تعالى عليه وسلم^(٤).

المعنى العام :

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾:

إيذان بأنما شرع سبحانه لهم صادر عن كمال العلم والحكمة كما أن بيان نسبه إلى المذكورين - عليهم الصلاة والسلام - تنبيه على كونه ديناً قديماً أجمع عليه الرسل، والخطاب لأمة - عليه الصلاة والسلام - أي: شرع لكم من الدين ما وصى

(٢) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ: ٣٤٦.

(١) عَيْثُ النَّفْعِ: ٣٤٦.

(٣) يُنْقَرُ: إِزْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: ٢٥/٨؛ رُوحُ الْمَعَانِي: ٢٥/٢١.

(٤) يُنْقَرُ: رُوحُ الْمَعَانِي: ٢٥/٢١.

به نوحاً - عَلَيْهِ السَّلَام - ومن بعده من أرباب الشرائع وأولي العزم من مشاهير الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، وأمرهم به أمراً مؤكداً^(١).

وتخصيص المذكورين بالذكر لما أشير إليه من علو شأنهم وعظم شهرتهم، ولاستمالة قلوب الكفرة إلى الاتباع لاتفاق كل على نبوة بعض، واختصاص اليهود بموسى - عليه السلام - والنصارى بيسى - عليه السلام - وإلا فما من نبي إلا وهو مأمور بما أمروا به من إقامة دين الإسلام، وهو التوحيد، وما لا يختلف باختلاف الأمم وتبدل الأعصار من أصول الشرائع والأحكام، كما ينبئ عنه التوصية، فإنها معربة عن تأكيد الأمر، والاعتناء بشأن المأمور به^(٢).

ومعنى (شرع لكم)، أي: بين وأوضح من الدين (ما وصى به نوحاً) وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه تحليل الحلال وتحريم الحرام، قاله قتادة.

والثاني: تحريم الأخوات والأمهات، قاله الحكم.

والثالث: التوحيد وترك الشرك^(٣).

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾:

أي من القرآن وشرائع الإسلام، قال الزجاج: المعنى وشرع الذي أوحينا إليك.

والمراد بإيحاته إليه - صلى الله تعالى عليه وسلم - إما ما ذكر في صدر السورة الكريمة ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٤)، وفي قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾^(٥) الآية وإما ما يعمهما وغيرهما مما وقع في سائر المواقع التي من جملتها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَن اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٦)، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾^(٧)، وغير ذلك^(٨).

وإيثار الإيحاء على ما قبله وما بعده من التوصية لمراعاة ما وقع في الآيات المذكورة، ولما في الإيحاء من التصريح برسالته - عليه الصلاة والسلام - القامع

(١) يُنظَرُ: رُوحَ الْمَعَانِي: ٢٥/٢٠.

(٢) يُنظَرُ: رُوحَ الْمَعَانِي: ٢٥/٢١؛ فَتْحُ الْقَدِيرِ: ٤/٥٢٩.

(٣) يُنظَرُ: زَادَ الْمَسِيرُ: ٧/٢٧٥. (٤) سورة الشورى: الآية ٣.

(٥) سورة الشورى: من الآية ٧. (٦) سورة النحل: الآية ١٢٣.

(٧) سورة الكهف: من الآية ١١٠. (٨) يُنظَرُ: رُوحَ الْمَعَانِي: ٢٥/٢٠.

لإنكار الكفرة، والالتفات إلى نوال عظمة لإظهار كمال الاعتناء بإيحائه. وفي ذلك إشعار بأن شريعته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هي الشريعة المعتنى بها غاية الاعتناء^(١).

﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِمْ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾:

أي شرع لكم ما وصى به إبراهيم وموسى وعيسى - عَلَيْهِمُ السَّلَام -

﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾:

تفسير قوله: ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِمْ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾، وجائز أن يكون تفسيراً لما وصى به نوحاً، ولقوله: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ ولقوله تعالى: ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِمْ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾، فيكون المعنى: شرع لكم ولمن قبلكم إقامة الدين، وترك الفرقة، وشرع الاجتماع على اتباع الرسل.

وقال مقاتل: (أن أقيموا الدين): يعني التوحيد.

أي: دين الإسلام الذي هو توحيد الله تعالى وطاعته، والإيمان بكتبه ورسوله ويوم الجزاء، وسائر ما يكون العبد به مؤمناً، والمراد بإقامته تعديل أركانه وحفظه من أن يقع فيه زيغ والمواظبة عليه. والجملة جواب عن سؤال نشأ من إبهام المشروع، كأنه قيل: وما ذاك؟

فقيل: هو أن أقيموا الدين^(٢).

﴿وَلَا تَنفَرُوا فِيهِ﴾:

أي لا تختلفوا. واختار غير واحد من المفسرين على أنه شامل للنبي - صلى الله عليه وسلم - وأتباعه، وللأنبياء، والأمم قبلهم.

واختلفت الأقوال في المراد بالدين هنا:

القول الأول: أن ضمير (فيه) للدين، أي: ولا تتفرقوا في الدين الذي هو عبارة عما تقدم من الأصول بأن يأتي به بعض ولا يأتي بعض ويأتي بعض ببعض منه دون بعض، وهو مراد مقاتل - كما تقدم - أي: لا تختلفوا فيه.

القول الثاني: قال مجاهد: لم يبعث نبي إلا أمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإقرار بالله تعالى وطاعته سبحانه - وذلك إقامة الدين^(٣).

القول الثالث: قال ابن العربي: لم يكن مع آدم - عليه السلام - إلا بنوه ولم يفرض له الفرائض ولا شرعت له المحارم، وإنما كان منبهاً على بعض الأمور

(١) يُنظَرُ: إِزْشَادِ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: ٢٥/٨؛ رُوحِ الْمَعَانِي: ٢٥/٢٥.

(٢) رُوحِ الْمَعَانِي: ٢٥/٢١؛ فَتْحِ الْقَدِيرِ: ٥٣٠/٤.

(٣) أَحْكَامِ الْقُرْآنِ لابن عَرَبِي: ٧٤/٤.

مقتصراً على بعض ضروريات المعاش، واستمر الأمر إلى نوح - عليه السلام - فبعثه الله تعالى بتحريم الأمهات والبنات، ووظف عليه الواجبات، وأوضح له الأدب في الديانات، ولم يزل ذلك يتأكد بالرسول ويتناصر بالأنبياء واحداً بعد واحد، وشريعة أثر شريعة حتى ختمه سبحانه بخير الممل على لسان أكرم الرسل^(١).

فمعنى الآية : شرعنا لكم ما شرعنا للأنبياء ديناً واحداً في الأصول وهي التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج والتقرب بصالح الأعمال والصدق والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وصله الرحم وتحريم الكبر والزنا والإيذاء على الحيوان واقتحام الدنئات وما يعود بخرم المرءات فهذا كله مشروع ديناً واحداً وملة متحدة لم يختلف على السنة الأنبياء وإن اختلفت أعدادهم. ومجمل الخطاب أن اجعلوا الدين قائماً، أي : دائماً مستمراً من غير خلاف فيه ولا اضطراب^(٢).

﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ﴾:

أي عظم على مشركي مكة.

﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾:

أي ما تدعوهم إليه يا محمد من التوحيد.

﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾:

أي أن الله تعالى يصطفي إليه من يشاء اصطفاؤه، ويخصه سبحانه بفيض إلهي يتحصل له منه أنواع النعم، ويهدي إليه عز وجل بالإرشاد والتوفيق من يقبل إليه تعالى شأنه^(٣).

ما يستفاد من الآية :

المسألة الأولى :

أنواع الوحي

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾:

هذه الآية تسلط الضوء على أشكال الوحي حسبما دل عليه قوله تعالى :

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذنيه مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ عَدِيمٍ﴾^(٤)، وهذه الأشكال هي :

إما برسول مشاهد ترى ذاته ويسمع كلامه، كتبليغ جبريل - عليه السلام - للنبي

(٢) الْمُضَدَّرُ نَفْسِهِ: ٢١/٢٥.

(١) رُوحُ الْمَعَانِي: ٢١/٢٥.

(٤) سورة الشورى: الآية ٥١.

(٣) الْمُضَدَّرُ نَفْسِهِ: ٢١/٢٥.

- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في صورة معينة.

وإما بسماع كلام من غير معاينة كسماع موسى - عَلَيْهِ السَّلَام - كلام الله.

وإما بإلقاء في الروح كما ذكر - عليه الصلاة والسلام - : «إن روح القدس نفث في روعي»^(١).

وإما بالإلهام نحو: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أُمُومَاتٍ أَنْ تُزْمِيزَهُ﴾^(٢).

وإما بتسخير نحو قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ﴾^(٣)

أو بمنام كما قال - عليه الصلاة والسلام - : «انقطع الوحي وبقيت المبشرات رؤيا المؤمن»^(٤).

فالإلهام والتسخير والمنام دل عليه قوله: ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾^(٥)، وسماع الكلام معاينة دل عليه قوله: ﴿أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ﴾^(٦) وتبليغ جبريل في صورة معينة دل عليه قوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ﴾^(٧).

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾^(٨)، فذلك لمن يدعي شيئاً من أنواع ما ذكر من الوحي، أي نوع ادعاه من غير أن يحصل له.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(٩).

فهذا الوحي هو عام في جميع أنواعه، وذلك أن معرفة وحدانية الله تعالى، ومعرفة وجوب عبادته ليست مقصورة على الوحي المختص بأولي العزم من الرسل، بل يعرف ذلك بالعقل والإلهام كما يعرف بالسمع^(١٠).

إذاً القصد من الآية تنبيه أنه من المحال أن يكون رسول لا يعرف وحدانية الله

(١) الجامع. لمُعَمَّر بن راشد الأزدي. (ت ١٥١هـ). تَحْقِيق: حبيب الأعظمي. المكتب الإسلامي.

الطبعة الثانية. (منشور بهامش كتاب الْمُصَنَّف للصنعاني ج ١٠). بَيْرُوت. ١٤٠٣هـ: ١٢٥/١١.

(٢) سورة القصص: من الآية ٧. (٣) سورة النحل: من الآية ٦٨.

(٤) سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ: ٥٣٣/٤ رقم (٢٢٧٢) قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

(٥) سورة الشورى: من الآية ٥١. (٦) سورة الشورى: من الآية ٥١.

(٧) سورة الشورى: من الآية ٥١. (٨) سورة الأنعام: من الآية ٩٣.

(٩) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.

(١٠) يُنظَر: الْمُفْرَدَات: ٥١٥؛ فَتْحُ الْبَارِي: ١٩/١؛ عَوْنُ الْمُعْبُود: ١١٧/١١.

ووجوب عبادته، وقوله تعالى: ﴿إِلَى الْخَوَارِجِ﴾^(١)، فذلك وحي بوساطة عيسى - عليه السلام -.

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾^(٢)، فذلك وحي إلى الأمم بوساطة الأنبياء.

ومن الوحي المختص بالنبي - عليه الصلاة والسلام -: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٣)، وغير ذلك من الآيات.

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ﴾^(٤)، فوحيه إلى موسى بوساطة جبريل - عليهما السلام - ووجيه تعالى إلى هرون بوساطة جبريل وموسى - عليهما السلام -.

وقوله تعالى اسمه: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾^(٥) فذلك وحي إليهم بوساطة اللوح والقلم فيما قيل.

وقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهُ﴾^(٦)، فإن كان الوحي إلى أهل السماء فقط، فالموحي إليهم محذوف ذكره، كأنه قال أوحى إلى الملائكة لأن أهل السماء هم الملائكة ويكون كقوله: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَكَةِ﴾^(٧)، وإن كان الموحي إليه هي السموات، فذلك تسخير عند من يجعل السماء غير حي، ونطق عند من جعله حيا،

وقوله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾^(٨)، فقريب من الأول^(٩).

المسألة الثانية:

الاختلاف في الدين

﴿أَنْ آمَنُوا الَّذِينَ وَلَا نَنفَرُوا فِيهِ﴾:

أيشمل النهي عن الاختلاف في الدين في هذه الآية الأصول والفروع، أم الفروع فقط؟

الراجع عند المفسرين أن النهي لا يشتمل عن الاختلاف في الفروع فإنها

(١) سورة المائدة: من الآية ١١١. (٢) سورة الأنبياء: من الآية ٧٣.

(٣) سورة الأنعام: من الآية ١٠٦. (٤) سورة يونس: من الآية ٨٧.

(٥) سورة الأنفال: من الآية ١٢. (٦) سورة فصلت: من الآية ١٢.

(٧) سورة الأنفال: من الآية ١٢. (٨) سورة الزلزلة: الآية ٥.

(٩) يُنظَرُ: الْمُفْرَدَاتُ: ٥١٥؛ كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية. لأبي العباس أحمد بن

عبد الحلیم بن تيمية الحراني. (ت ٧٢٨هـ). الطَّبَعَةُ الثَّانِيَةُ. تَحْقِيقٌ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن مُحَمَّد بن

قاسم العاصمي النجدي. مكتبة ابن تيمية. السعودية. (د.ت): ١٢٦/٤.

ليست من الأصول المرادة هنا، ولم يتحدَّ بها النبيون كما يؤذن بذلك قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَمَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جُنُودٌ﴾^(١).

وبعض المفسرين أدخل بعض الفروع في أصول الدين المرادة هنا من الدين، قال مجاهد: لم يبعث نبي إلا أمر بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإقرار بالله تعالى، وطاعته سبحانه، وذلك إقامة الدين^(٢).

المطلب الثاني

العلاقة بين الجهاد والاجتباء

بين القرآن الكريم العلاقة بين الجهاد والاجتباء، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ بَلَّةَ أَيْكُمْ إِيْرَاهِيمُ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾^(٣) (٧٨).

تحليل الألفاظ :

﴿وَجَاهِدُوا﴾:

الْجُهْدُ وَالْجُهْدُ : الطَّاقَةُ وَالْمَشَقَّةُ، وَقِيلَ : الْجُهْدُ بِالْفَتْحِ الْمَشَقَّةُ، وَالْجُهْدُ : الْوَاسِعُ، وَقِيلَ : الْجُهْدُ لِلْإِنْسَانِ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَأَسْمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾^(٤)، أَي : حَلَفُوا وَاجْتَهَدُوا فِي الْحَلْفِ أَنْ يَأْتُوا بِهِ عَلَى أْبْلَغِ مَا فِي وَسْعِهِمْ.

وَالْاجْتِهَادُ أَخَذَ النَّفْسَ بِبَذْلِ الطَّاقَةِ وَتَحْمَلِ الْمَشَقَّةِ، يُقَالُ : جَهَدْتُ رَأْيِي وَأَجْهَدْتُهُ أَنْعَبْتُهُ بِالْفِكْرِ، وَالْجِهَادُ وَالْمُجَاهَدَةُ : اسْتِفْرَاحُ الْوَسْعِ فِي مُدَافَعَةِ الْعَدُوِّ.

وَالْجِهَادُ ثَلَاثَةٌ أَضْرِبُ : مُجَاهَدَةُ الْعَدُوِّ الظَّاهِرِ، وَمُجَاهَدَةُ الشَّيْطَانِ وَمُجَاهَدَةُ النَّفْسِ، وَتَدْخُلُ ثَلَاثَتُهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾^(٥).

(١) سورة المائدة: من الآية ٤٨.

(٢) يُنظَرُ: الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ: ٩٠/١٥؛ رُوحُ الْمَعَانِي: ٢٥/٢٢.

(٣) سورة الحج: الآية ٧٨.

(٤) سورة الأنعام: من الآية ١٠٩.

(٥) الْمُفْرَدَاتُ: ١٠١؛ الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ: مادة (جهد) ١/٣٥١.

﴿حَرَجٌ﴾:

أصل الحَرَج والحَرَج مُجْتَمَعُ الشَّيْءِ وَتُصَوَّرُ مِنْهُ ضَيْقٌ مَا بَيْنَهُمَا فَقِيلَ لِلضَّيْقِ حَرَجٌ وَلا إِيَّاهُ حَرَجٌ، وَالْحَرَجُ وَالْحَرَجُ وَالْحَرَجُ وَالْمُتَحَرِّجُ: الكافُ عَنِ الإِثْمِ. وَقَوْلُهُمْ: رَجُلٌ مُتَحَرِّجٌ، كَقَوْلِهِمْ: رَجُلٌ مُتَأْتِمٌ وَمُتَحَوِّبٌ وَمُتَحَنِّتٌ، يُلْقِي الحَرَجَ وَالْحَنَّتَ وَالْحَوِّبَ وَالإِثْمَ عَنِ نَفْسِهِ^(١).

﴿مِلَّةٌ﴾:

المِلَّةُ كَالدِّينِ، وَهُوَ اسْمٌ لِمَا شَرَعَ اللهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ عَلَى لِسَانِ الأنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - لِيَتَوَصَّلُوا بِهِ إِلَى جِوَارِ اللهِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الدِّينِ أَنَّ المِلَّةَ لَا تُضَافُ إِلاَّ إِلَى النَّبِيِّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - الَّذِي تُسْنَدُ إِلَيْهِ، وَلَا تَكَادُ تُوجَدُ مُضَافَةً إِلَى اللهِ، وَلَا إِلَى أَحَادِ أُمَّةِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلَا تُسْتَعْمَلُ إِلاَّ فِي حَمَلَةِ الشَّرَائِعِ دُونَ أَحَادِهَا لَا يَقَالُ مِلَّةُ اللهِ وَلَا يَقَالُ مِلَّتِي وَمِلَّةُ زَيْدٍ كَمَا يَقَالُ دِينُ اللهِ وَدِينُ زَيْدٍ، وَلَا يَقَالُ الصَّلَاةُ مِلَّةُ اللهِ. وَأَصْلُ المِلَّةِ مِنَ أَمَلْتُ الكِتَابَ، وَتَقَالُ المِلَّةُ اغْتِيَابًا بِالشَّيْءِ الَّذِي شَرَعَهُ اللهُ، وَالدِّينُ يَقَالُ اعْتِبَارًا بِمَنْ يُقِيمُهُ إِذْ كَانَ مَعْنَاهُ الطَّاعَةُ^(٢).

﴿شَهِيدًا﴾:

الشُّهُودُ وَالشَّهَادَةُ الحُضُورُ مَعَ المُشَاهَدَةِ إِمَّا بِالْبَصَرِ أَوْ بِالْبَصِيرَةِ وَقَدْ يَقَالُ لِلحُضُورِ مُفْرَدًا، لَكِنِ الشُّهُودُ بِالْحُضُورِ المُجَرَّدِ أَوْلَى وَالشَّهَادَةُ مَعَ المُشَاهَدَةِ أَوْلَى وَيَقَالُ: شَهِدْتُ كَذَا، أَي: حَضَرْتُهُ وَشَهِدْتُ عَلَى كَذَا، وَقَدْ يَعْبَرُ بِالشَّهَادَةِ عَنِ الحُكْمِ، وَعَنِ الإِقْرَارِ. وَشَهَادَةُ اللهِ تَعَالَى بِوَحْدَانِيَّتِهِ هِيَ إِيجَادُ مَا يَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ فِي العَالَمِ وَفِي نَفْسِنَا. وَشَهَادَةُ أَوْلِي العِلْمِ كَأَطْلَاعِهِمْ عَلَى تِلْكَ الحُكْمِ وَإِقْرَارِهِمْ بِذَلِكَ، وَهَذِهِ الشَّهَادَةُ تُخْتَصُّ بِأَهْلِ العِلْمِ، فَأَمَّا الجُهَالُ فَمُبْعَدُونَ مِنْهَا. وَأَمَّا الشَّهِيدُ فَقَدْ يَقَالُ لِلشَّاهِدِ وَالْمُشَاهِدِ لِلشَّيْءِ^(٣).

﴿وَأَعْتَصِمُوا﴾:

العَصَمُ: الإِمْسَاكُ، وَالإِعْتِصَامُ الإِسْتِمْسَاكُ، وَالتَّمَسُّكُ بِالشَّيْءِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٤)، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي هَذِهِ الآيَةِ^(٥).

(١) المُفْرَدَات: ١١٢؛ لِسَانُ العَرَبِ: مَادَّةُ (حَرَج) ٢/٢٣٣.

(٢) يَنْظُرُ المَفْرَدَات: ٤٧١؛ لِسَانُ العَرَبِ: مَادَّةُ (مَلَل) ١١/٦٢٨؛ المِضْبَاحُ المُنِيرُ: ٣٤٤.

(٣) يَنْظُرُ المَفْرَدَات: ٢٦٧-٢٦٨؛ المِضْبَاحُ المُنِيرُ: ١٩٥.

(٤) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: مِنَ الآيَةِ ١٠٣.

(٥) يُنْظَرُ: العَيْنُ: مَادَّةُ (عَصَم) ١/٣١٣؛ المُفْرَدَات: ٣٣٦-٣٣٧؛ تَفْسِيرُ غَرِيبِ القُرْآنِ. لِأَبِي مُحَمَّدٍ

عَبْدُ اللهِ بْنِ مُسْلِمِ ابْنِ قُتَيْبَةَ الدِّينُورِيِّ. (ت ٢٧٦هـ). تَحْقِيقُ: أَحْمَدُ صَفَرُ. مَطْبَعَةُ البَابِيِّ الحَلْبِيِّ.

مِصر. ١٣٢٩ هـ: ٢٠٤؛ لِسَانُ العَرَبِ: مَادَّةُ (عَصَم) ١٢/٤٠٨.

﴿مَوْلَاكُمْ﴾:

﴿فَنِعْمَ الْوَلَاءُ وَالنَّوَالِي أَنْ يَخْضَلَ شَيْتَانٌ فَصَاعِدًا حُضُولًا لَيْسَ بَيْنَهُمَا مَا لَيْسَ مِنْهُمَا، وَاسْتَعَارَ ذَلِكَ لِلْقُرْبِ مِنْ حَيْثُ الْمَكَانُ، وَمِنْ حَيْثُ النَّسَبَةُ، وَمِنْ حَيْثُ الدِّينُ، وَمِنْ حَيْثُ الصِّدَاقَةُ وَالنُّصْرَةُ وَالْإِعْتِقَادُ، وَالْوَلَايَةُ النَّصْرَةُ، وَالْوَلَايَةُ تَوَلَّى الْأَمْرَ، وَقِيلَ: الْوَلَايَةُ وَالْوَلَايَةُ نَحْوُ الدَّلَالَةِ وَالِدَلَالَةِ، وَحَقِيقَتُهُ تَوَلَّى الْأَمْرَ. وَالْوَالِيُّ وَالْمَوْلَى يُسْتَعْمَلَانِ فِي ذَلِكَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُقَالُ فِي مَعْنَى الْفَاعِلِ، أَي: الْمَوْلَى، وَفِي مَعْنَى الْمَفْعُولِ أَي الْمَوْلَى، يُقَالُ لِلْمُؤْمِنِ هُوَ وَلِيُّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَمْ يَرِدْ مَوْلَاهُ، وَقَدْ يُقَالُ: اللَّهُ تَعَالَى وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ وَمَوْلَاهُمْ، فَمِنْ الْأَوَّلِ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾. وَمِنْ الثَّانِي قَوْلُهُ: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿١٣﴾ (٢)(١).

﴿فَنِعْمَ﴾:

النَّعِيمُ وَالتَّعْمَى وَالتَّعْمَاءُ وَالتَّعْمَةُ، الْحَفْضُ وَالِدَّعَةُ وَالْمَالُ، وَهُوَ ضِدُّ الْبِئْسَاءِ وَالبُّؤْسِ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَبْدَلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾ (٣)، يَعْنِي فِي هَذَا الْمَوْضِعِ حُجَّجَ اللَّهُ الدَّلَالَةَ عَلَى أَمْرِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَجَمْعُ النَّعْمَةِ نِعْمٌ وَأَنْعَمَ كَشِدَّةٌ وَأَشْدُّ؛ وَالتَّعْمُ، بِالضَّمِّ، خِلَافُ البُّؤْسِ. يُقَالُ: يَوْمٌ نِعْمٌ وَيَوْمٌ بُّؤْسٌ، وَالْجَمْعُ أَنْعَمٌ وَأَبُّؤْسٌ. وَالتَّعْنَمُ: التَّرَفُّهُ، وَالاسْمُ النَّعْمَةُ وَنِعْمَ الرَّجُلُ يَنْعَمُ نِعْمَةً، فَهُوَ نِعَمٌ بَيْنَ الْمَنْعَمِ، وَيَجُوزُ تَنْعَمُ، فَهُوَ نَاعِمٌ وَنِعَمَ يَنْعَمُ (٤).

﴿التَّصِيرِ﴾:

النُّصْرُ وَالنُّصْرَةُ: الْعَوْنُ، وَنُصْرَةُ اللَّهِ لِلْعَبْدِ ظَاهِرَةٌ، وَنُصْرَةُ الْعَبْدِ لِلَّهِ هُوَ نُصْرَتُهُ لِعِبَادِهِ وَالْقِيَامُ بِحِفْظِ حُدُودِهِ وَرِعَايَةِ عُهُودِهِ وَاعْتِنَاقِ أَحْكَامِهِ وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ. وَالتَّصِيرُ: النَّاصِرُ - كَمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ - وَالْجَمْعُ أَنْصَارٌ مِثْلُ شَرِيفٍ وَأَشْرَافٍ (٥).

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٢.

(٢) يُنظَرُ: غَرِيبُ الْحَدِيثِ. لِأَبِي عَبِيدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَامِ الْهَرَوِيِّ. (ت ٢٢٤هـ). تَحْقِيقٌ: د. مُحَمَّدُ عَبْدُ الْمَعِيدِ خَانَ. الطَّبَعَةُ الْأُولَى. دَارُ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ. بَيْرُوتَ. ١٣٩٦هـ: ١٤١٢-١٤١٣هـ؛ الْمَفْرَدَات: ٥٣٣ - ٥٣٤.

(٣) سُورَةُ الْبَقَرَةِ: مِنْ الْآيَةِ ٢١١.

(٤) يَنْظُرُ الْمَفْرَدَات: ٤٩٩؛ لِسَانُ الْعَرَبِ: مَادَةُ (نعم) ٥٧٩/١٢.

(٥) يُنظَرُ: مَجَازُ الْقُرْآنِ: ٤٦/٢؛ الْمَفْرَدَات: ٤٩٥؛ لِسَانُ الْعَرَبِ: مَادَةُ (نصر) ٢١٠/٥.

القراءات :

﴿ أَحَبَّكُمْ ﴾ :

قرأ حمزة، والكسائي، وورش بالإمالة^(١).

﴿ هُوَ سَمَنَكُمْ ﴾ :

قرأ أُبَيٌّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : (الله سماكم المسلمين من قبل) ، أي : من قبل نزول القرآن وذلك في الكتب السماوية كالطورا والإنجيل^(٢).

قرأ الأزرق بالتقليل^(٣).

﴿ مَوْلَانَا ﴾ :

قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وورش بالإمالة^(٤).

قرأ الأزرق بالتقليل^(٥).

﴿ الْمَوْلَانَا ﴾ :

قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وورش بالإمالة^(٦).

قرأ الأزرق بالتقليل^(٧).

بعض الأوجه الإعرابية :

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ :

أي : جهاداً فيه حقاً حقاً، وحذف حرف الجر وأضيف جهاد إلى ضميره تعالى

على حد قوله :

* ويوم شهدناه سليماً وعامراً^(٨) *

(١) يُنظَرُ: غَيْثُ النَّفْعِ: ٢٩٨.

(٢) ينظر مُخْتَصَرُ شَوَازِ الْقُرْآنِ (كِتَابُ الْقِرَاءَاتِ الشَّاذَةِ) مِنْ كِتَابِ الْبَدِيعِ. لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ خَالَوَيْهِ. (ت ٣٧٠هـ). عني بنشره برجستراسر. دَارُ الْهَجْرَةِ. (د. ت): ٩٧؛ الْكَشَافُ: ٢٤/٣؛ الْبَحْرُ الْمَحِيطُ: ٣٩١/٦.

(٣) إِنْحَافُ فُضْلَاءِ الْبَشَرِ: ٣١٧.

(٤) إِنْحَافُ فُضْلَاءِ الْبَشَرِ: ٣١٧؛ غَيْثُ النَّفْعِ: ٢٩٨.

(٥) إِنْحَافُ فُضْلَاءِ الْبَشَرِ: ٣١٧.

(٦) إِنْحَافُ فُضْلَاءِ الْبَشَرِ: ٣١٧؛ غَيْثُ النَّفْعِ: ٢٩٨.

(٧) إِنْحَافُ فُضْلَاءِ الْبَشَرِ: ٣١٧.

(٨) صدر بيت عجزه:

وفي الكشف الإضافة تكون لأدنى ملابسة واختصاص، فلما كان الجهاد مختصاً بالله تعالى من حيث أنه مفعول لوجهه سبحانه، ومن أجله صحت إضافته إليه، وأياً ما كان فنصب (حق) على المصدرية^(١).

وقال أبو البقاء: إنه نعت لمصدر محذوف، أي: جهاداً حق جهاده، وفيه أنه معرفة يوصف به النكرة^(٢).

وقال الآلوسي: " ولا أظن أن أحداً يزعم أن الإضافة إذا كانت على الإتساع لا تفيد تعريفاً، فلا يتعرف بها المضاف، ولا المضاف إليه " ^(٣).

﴿مَلَّةَ أَيِّكُمْ إِتْرَاهِيمَ﴾:

نصب على المصدرية بفعل دل عليه ما قبله من نفي الحرج بعد حذف مضاف، أي: وسع دينكم توسعة أييكم^(٤)، أو على الاختصاص بتقدير: أعني بالدين ونحوه، وإليهما ذهب الزمخشري^(٥).

ونقل أبو حيان عن الحوفي^(٦) ^(٧)، وقال أبو البقاء: نصب على الإغراء بتقدير اتبعوا أو الزموا، أو نحوه^(٨).

وقال الفراء نصب بنزع الخافض، أي: كلمة أييكم^(٩).

و (إبراهيم) منصوب بمقدر، أو مجرور بالفتح على أنه بدل، أو عطف بيان^(١٠).

(١) الكُشَّاف: ٤١/٣. (٢) ينظر التبيان في إعراب القرآن: ٩٤٩/٢.

(٣) رُوح المَعَانِي: ٢٠٩/١٧. (٤) ينظر غرائب القرآن: ١٧-١٤٠.

(٥) ينظر الكشاف: ١٧٣/٣.

(٦) الحوفي: علي بن إبراهيم بن سعيد أبو الحسن الحوفي المصري النحوي الأوحدي، وله التفسير المسمى بالبرهان في تفسير القرآن كتب في بعض المواضع وكتاب إعراب القرآن في عشر مجلدات آخر أخذ عن الأدفوي وأخذ عنه خلق كثير من المصريين، وكانت وفاته سنة ثلاثين وأربعمائة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي الشهير بحاجي خليفة وبكاتب جليبي. (ت ١٠٦٧هـ). طبع بعناية مُحَمَّد شرف الدين بالتقاي، ورفعت بيلكه الكليسي. الطبعة الأولى. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م: ٤٩٣ / ١.

(٧) ينظر البحر المحيط: ٣٩١/٦.

(٨) ينظر التبيان في إعراب القرآن: ٩٤٩/٢.

(٩) ينظر معاني القرآن للفراء: ٢٣١/٢.

(١٠) رُوح المَعَانِي: ٢١٠/١٧؛ إِعْرَابُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَبَيَانُهُ: ١٨٣/٥.

وَفِي هَذَا: الجملة مستأنفة. وقيل: إنها كالبدل من قوله تعالى: ﴿هُوَ
أَجْتَبَاكُمْ﴾ ولذا لم تعطف^(١).

من القضايا البلاغية:

﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾:

أي جهاداً فيه، أي: جهاداً فيه حقاً خالصاً لوجهه، فعكس وأضيف الحق إلى
الجهاد مبالغة، كقولك: هو حق عالم، وأضيف الجهاد إلى الضمير اتساعاً، أو
لأنه مختص بالله من حيث أنه مفعول لوجه الله تعالى ومن أجله^(٢).

المعنى العام:

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾:

أي: جاهدوا لله تعالى، أو في سبيله سبحانه، واختلف المفسرون في
المقصود بالجهاد هنا على قولين:

الأول: المراد بالجهاد هنا جهاد الكفار حتى يدخلوا في الإسلام، قاله
الضحاك، ويقتضي ذلك أن تكون الآية مدنية؛ لأن الجهاد إنما أمر به بعد
الهجرة^(٣).

الثاني: الجهاد هو جهاد الهوى والنفس، قاله عبد الله بن المبارك^(٤).

الثالث: المراد به ضرويه الثلاثة (العدو، والشیطان، والنفس)، وليس ذلك من
الجمع بين الحقيقة والمجاز في شيء وإلى هذا يشير ما روى جماعة عن الحسن أنه
قرأ الآية، وقال إن الرجل ليجاهد في الله تعالى وما ضرب بسيف، ويشمل ذلك
جهاد المبتدعة والفسقة، فإنهم أعداء أيضاً، ويكون بزجرهم عن الابتداع والفسق^(٥).

واختلف المفسرون في الآية، أهي منسوخة أم محكمة على قولين؟

القول الأول: الآية محكمة بدليل الأمر بالجهاد فيها على أتم وجه بأن يكون

(١) إغراب القرآن الكريم ويئاته: ١٨٣/٥.

(٢) أنوار التنزيل: ١٤٣/٤؛ إرشاد العفل السليم: ١٢٢/٦.

(٣) ينظر جامع البيان: ٢٠٥/١٧؛ الوسيط في تفسير القرآن المجيد. لأبي الحسن علي بن أحمد
النيسابوري الواحدي. (ت ٤٦٨هـ). تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وعلي
محمد معوض، و د. أحمد محمد صبرة، و د. أحمد عبد الغني الحيل. مكتبة الباز. مكتبة المدينة
المنورة. (د. ت): ٢٨١/٣.

(٤) ينظر جامع البيان: ٢٠٥/١٧؛ الوسيط: ٢٨١/٣؛ روح المعاني: ٢٠٩/١٧.

(٥) ينظر جامع البيان: ٢٠٥/١٧؛ الوسيط: ٢٨١/٣؛ روح المعاني: ٢٠٩/١٧.

خالصاً لله تعالى لا يخشى فيه لومة لائم.

القول الثاني: قال مجاهد، والكلبي: إنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَالْقَوْلُ اللَّهُ مَا أَسْطَقْتُمْ﴾^(١) فقد أراد بها أن يطاع سبحانه، فلا يعصى أصلاً^(٢).

والذي يبدو راجحاً، هو القول الأول، وبه قال جمهرة المفسرين^(٣).

﴿هُوَ أَجَبْتِكُمْ﴾:

أي: هو جل شأنه اختاركم لا غيره سبحانه، والجملة مستأنفة لبيان علة الأمر بالجهاد، فإن المختار إنما يختار من يقوم بخدمته، ومن قربه العظيم يلزمه دفع أعدائه ومجاهدة نفسه بترك ما لا يرضاه ففيها تنبيه على المقتضي للجهاد^(٤).

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الَّذِينَ مِنْ حَرَجٍ﴾:

أي في جميع أموره، ويدخل فيه الجهاد دخولاً أولياً، و (من حرج) أي: ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم، وفيه إشارة إلى أنه لا مانع لهم عنه، والحاصل أنه تعالى أمرهم بالجهاد، وبيّن أنه لا عذر لهم في تركه حيث وجد المقتضى وارتفع المانع. ويجوز أن يكون هذا إشارة إلى الرخصة في ترك بعض ما أمرهم سبحانه به حيث شق عليهم لقوله - صلى الله عليه وسلم - : «إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم»^(٥)، فانتفاء الحرج على هذا بعد ثبوته بالترخيص في الترك بمقتضى الشرع وعلى الأول انتفاء الحرج ابتداء.

وقيل: عدم الحرج بأن جعل لهم من كل ذنب مخرجاً بأن رخص لهم في المضايق، وفتح عليهم باب التوبة، وشرع لهم الكفارات في حقوقه، والديات في حقوق العباد^(٦).

(١) سورة التغابن: من الآية ١٦.

(٢) ينظر المحرر الوجيز: ١٠ / ٣٢٥؛ الجامع لأحكام القرآن: ٩٩ / ١٢؛ غرائب القرآن و رغائب الفرقان. لنظام الدين الحسين بن مُحَمَّد القمي النيسابوري. (ت ٧٢٨هـ). الطبعة الأولى. المطبعة الأميرية الكبرى. بولاق، مصر. ١٣٢٩هـ. مطبوع على هامش تفسير الطبري: ١٣٨ / ١٧.

(٣) رجح ذلك عدد من المفسرين في تفاسيرهم، يُنظَرُ: المحرر الوجيز: ١٠ / ٣٢٥؛ الوسيط: ٣ / ٢٨١؛ أنوار التنزيل: ٤ / ١٤٣؛ الجامع لأحكام القرآن: ٩٩ / ١٢؛ غرائب القرآن: ١٣٨ / ١٧؛ إرشاد العقل السليم: ٦ / ١٢٢؛ رُوح المعاني: ٢٠٩ / ١٧.

(٤) يُنظَرُ أنوار التنزيل: ٤ / ١٤٣؛ إرشاد العقل السليم: ٦ / ١٢٢؛ رُوح المعاني: ٢٠٩ / ١٧.

(٥) مَنَّعَ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. صحيح البخاري: ٦ / ٢٦٥٨ رقم (٦٨٥٨). صحيح مسلم: ٢ / ٩٧٥.

(٦) ينظر الوسيط: ٣ / ٢٨١؛ غرائب القرآن: ١٧ / ١٣٩.

روي ذلك من طريق ابن شهاب عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما -^(١).

لا يخفى أن تعميمه للتوبة ونحوها خلاف الظاهر، قال الشهاب الخفاجي: إن الظاهر أن حق جهاده تعالى لما كان متعسراً، ذيله بهذا ليبين أن المراد ما هو بحسب قدرتهم لا ما يليق به جل وعلا من كل الوجوه^(٢).

وذكر السيوطي: أن هذه الآية أصل قاعدة المشقة تجلب التيسير، وهو أوفق بالوجه الثاني فيها^(٣).

﴿وَلِلَّهِ أَيُّكُمُ الْبِرُّ أَكْبَرُ﴾:

جعله - عليه السلام - أباهم؛ لأنه أبو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو كالأب لأمته من حيث أنه سبب لحياتهم الأبدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة، أو لأن أكثر العرب كانوا من ذريته - عليه السلام - فغلبوا على جميع أهل ملته - صلى الله عليه وسلم -^(٤).

﴿هُوَ سَمَكُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾:

أي: الله تعالى، كما روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وسفيان^(٥).

وعن ابن زيد، والحسن أن الضمير لإبراهيم - عليه السلام -^(٦).

واستظهره أبو حيان للقرب^(٧).

وتسميته إياهم بذلك من قبل في قوله: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾^(٨).

وقوله هذا سبب لتسميتهم بذلك في هذا لدخول أكثرهم من الذرية، فجعل مسمى لهم فيه مجازاً، ويلزم عليه الجمع بين الحقيقة والمجاز، وفي جوازه خلاف مشهور^(٩).

وقال أبو البقاء: المعنى على هذا: وفي هذا بيان تسميته إياكم بهذا الاسم

(١) ينظر جامع البيان: ١٧/٢٠٥-٢٠٦. الدر المنثور: ٤/٣٧١؛ رُوح المَعَانِي: ١٧/٢١٠.

(٢) ينظر حاشية الشهاب: ٦/٣١٦-٣١٧.

(٣) الدر المنثور: ٤/٣٧١. (٤) رُوح المَعَانِي: ١٧/٢١٠.

(٥) ينظر جامع البيان: ١٧/٢٠٨. النكت والعيون: ٣/٩٠. المحرر الوجيز: ١٠/٣٢٧.

(٦) ينظر الجامع لأحكام القرآن: ١٢/١٠١.

(٧) ينظر البحر المحيط: ٦/٣٩١. (٨) سورة البقرة: من الآية ١٢٨.

(٩) يُنظَرُ: حاشية الشهاب: ٦/٣١٧؛ رُوح المَعَانِي: ١٧/٢١٠.

حيث حكى في القرآن مقالته^(١).

وقال ابن عطية: يقدر عليه وسميتكم في هذا المسلمين، ولا يخفى ما في كل ذلك من التكلف^(٢).

وقال الألوسي: " واستدل بالآية من قال إن التسمية بالمسلمين مخصوص بهذه الأمة، وفيه نظر " ^(٣).

وَفِي هَذَا: أَي: فِي الْقُرْآنِ^(٤).

﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾:

أي ليكون الرسول يوم القيامة شهيداً عليكم أنه قد بلغكم، وقيل: المعنى شهيداً لكم، والمراد بشهادته لهم تركيته إياهم إذا شهدوا على الأمم ولا يخفى بعده، واللام متعلقة بسماكم على الوجهين في الضمير، وهي للعاقبة على ما قيل^(٥).

وقال الخفاجي لا مانع من كونها للتعليل، فإن تسمية الله تعالى، أو إبراهيم - عليه السلام - لهم بالمسلمين حكم بإسلامهم وعدالتهم، وهو سبب لقبول شهادة الرسول - عليه الصلاة والسلام - الداخلة فيهم دخولاً أولاً وقبول شهادتهم على الأمم، وفيه نوع خفاء^(٦).

﴿فَأَقِمْوْا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾:

أي: فترغبوا إليه تعالى لما خصكم بهذا الفضل والشرف بهم، بأنواع الطاعات وتخصيص هذين الأمرين بالذكر لإنافتها وفضلهما واعتصموا بالله، أي: ثقوا به تعالى في جميع أموركم^(٧).

﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾:

هو ناصركم ومتولي أموركم، فنعم المولى ونعم النصير هو، إذ لا مثيل له تعالى في الولاية والنصرة، فإن من تولاه لم يضع، ومن نصره لم يخذل، بل لا ولي، ولا ناصر في الحقيقة سواه عز وجل، وفي هذا إشارة إلى أن قصارى الكمال الاعتصام بالله تعالى وتحقيق مقام العبودية، وهو التسمية والاجتناء، وجوز أن يكون هو مولاكم تميماً للاجتناء، وليس بالقول القوي^(٨).

(١) التبيان في إعراب القرآن: ٩٤٩/٢. (٢) ينظر المحرر الوجيز: ٣٢٧/١٠.

(٣) رُوحِ الْمَعَانِي: ٢١٠/١٧. (٤) ينظر المحرر الوجيز: ٣٢٧/١٠.

(٥) رُوحِ الْمَعَانِي: ٢١٠/١٧. (٦) حاشية الشهاب: ٣١٧/٦.

(٧) يُنْظَرُ: أنوار التنزيل: ١٤٣/٤؛ رُوحِ الْمَعَانِي: ٢١٠/١٧.

(٨) رُوحِ الْمَعَانِي: ٢١٠/١٧.

ما يستفاد من الآية :

هل تقبل شهادة المعصوم لنفسه؟

إن قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ يدل هذا القول منه تعالى على قبول شهادته - عليه الصلاة والسلام - لنفسه اعتماداً على عصمته، ولعل هذا من خواصه - صلى الله عليه وسلم - في ذلك اليوم، وإلا فالمعصوم يطالب في الدنيا بشاهدين إذا ادعى شيئاً لنفسه^(١).

وأيضاً لو كان كل معصوم تقبل شهادته لنفسه في ذلك لما احتج إلى شهادة هذه الأمة على الأمم حين يشهد عليهم أنبياءهم فينكرون كما ذكر ذلك كثير من المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾^(٢).

وقد رد «أنه يؤتى بالأمم وأنبيائهم فيقال لأنبياءهم: هل بلغتكم أممكم؟ فيقولون: نعم بلغناهم، فينكرون فيؤتى بهذه الأمة فيشهدون أنهم قد بلغوا، فتقول الأمم لهم: من أين عرفتم؟ فيقولون: عرفنا ذلك بإخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق، أو شهيداً عليكم بإطاعة من أطاع وعصيان من عصي»^(٣).

المَبْحَثُ الثالث

اجتناء الآيات والثمرات

المَطْلَبُ الأوَّل

اجتناء الآيات

ذكرت في الصفحات السابقة أن القرآن الكريم ذكر الاجتناء مقروناً بالأنبياء والمؤمنين الذين تم اجتناءهم، أما في هذا المبحث، فالاجتناء يتخذ استعمالاً خاصاً، وهو اجتناء الآيات والثمرات، وفي هذا المطلب سأعرض اجتناء الآيات، إذ ورد ذلك في آية واحدة هي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَإِيرٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٤).

(١) يُنظَرُ: حاشية الشهاب: ٣١٧/٦؛ رُوحَ المَعَانِي: ٢١٠/١٧.

(٢) سورة البقرة: من الآية ١٤٣.

(٣) الزهد وويليه الرقائق. لأبي عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ بْنِ وَاضِحِ الْمَرْزُوقِيِّ. (ت ١٨١هـ). تَحْقِيقُ:

حبيب الرحمن الأعظمي. دار الكتب العلمية. بَيْرُوتُ (د. ت): ٥٥٧.

(٤) سورة الأعراف: الآية ٢٠٣.

تحليل الألفاظ :

﴿بَايَةٌ﴾:

الآية : هِيَ الْعَلَامَةُ الظَّاهِرَةُ، وَحَقِيقَتُهُ لِكُلِّ شَيْءٍ ظَاهِرٍ هُوَ مُلَازِمٌ لِشَيْءٍ لَا يَظْهَرُ ظُهُورُهُ، فَمَتَى أَدْرَكَ مُدْرِكُ الظَّاهِرِ مِنْهُمَا عِلْمَ أَنَّهُ أَدْرَكَ الْآخَرَ الَّذِي لَمْ يُدْرِكْهُ بِذَاتِهِ إِذْ كَانَ حُكْمُهُمَا سَوَاءً، وَذَلِكَ ظَاهِرٌ فِي الْمَحْسُوسَاتِ وَالْمَعْقُولَاتِ، فَمَنْ عِلِمَ مُلَازِمَةَ الْعِلْمِ لِلطَّرِيقِ الْمُنْهَجِ، ثُمَّ وَجَدَ الْعِلْمَ، عِلِمَ أَنَّهُ وَجَدَ الطَّرِيقَ، وَكَذَا إِذَا عِلِمَ شَيْئًا مَصْنُوعًا عِلِمَ أَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ صَانِعٍ. وَاشْتِقَاقُ الْآيَةِ إِمَّا مِنْ أَيْ، فَإِنَّهَا هِيَ الَّتِي تُبَيِّنُ أَيًّا مِنْ أَيْ. وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا مُسْتَفْتَةٌ مِنَ التَّأْيِي الَّذِي هُوَ التَّثَبُّتُ وَالْإِقَامَةُ عَلَى الشَّيْءِ يُقَالُ : تَأَيَّ، أَيْ : ارْفُقْ، أَوْ مِنْ قَوْلِهِمْ : أَوْيَ إِلَيْهِ^(١).

وَقِيلَ لِلْبِنَاءِ الْعَالِي آيَةً، وَلِكُلِّ جُمْلَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ دَالَّةٌ عَلَى حُكْمِ آيَةٍ سُورَةٍ كَانَتْ أَوْ فُصُولًا أَوْ فُضُلًا مِنْ سُورَةٍ، وَقَدْ يُقَالُ لِكُلِّ كَلَامٍ مِنْهُ مُنْفَصِلٌ بِفَضْلِ لَفْظِي آيَةً، وَالآيَاتِ الْمَعْقُولَةِ الَّتِي تَتَفَاوَتْ بِهَا الْمَعْرِفَةُ بِحَسَبِ تَفَاوُتِ مَنَازِلِ النَّاسِ فِي الْعِلْمِ، وَالآيَاتِ الَّتِي أُرْسِلَتْ إِلَى الْأُمَّمِ الْمُتَقَدِّمَةِ^(٢).

﴿بَصَائِرٌ﴾:

الْبَصْرُ يُقَالُ لِلجَارِحَةِ النَّاطِرَةِ، وَلِلقُوَّةِ الَّتِي فِيهَا، وَيُقَالُ لِقُوَّةِ الْقَلْبِ الْمُدْرِكَةِ بِصِيرَةً وَبَصْرًا. وَجَمْعُ الْبَصْرِ : أَبْصَارٌ، وَجَمْعُ الْبَصِيرَةِ بَصَائِرٌ وَلَا يَكَادُ يُقَالُ لِلجَارِحَةِ بِصِيرَةً، وَيُقَالُ مِنَ الْأَوَّلِ أَبْصَرْتُ، وَمَنْ الثَّانِي أَبْصَرْتُهُ وَبَصُرْتُ بِهِ. وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(٣)، أَيْ : جَعَلْنَاهَا عِبْرَةً لَهُمْ، وَالْبَصَائِرُ، أَيْ : يُسْتَبَصَّرُ بِهَا وَهِيَ طُرُقُ الدِّينِ^(٤).

(١) يُنظَرُ: درة التَّنَزِيلِ وَغَرَةِ التَّوِيلِ فِي بَيَانِ الْآيَاتِ الْمُتَشَابِهَاتِ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ. لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْخَطِيبِ الْإِسْكَافِيِّ. (ت ٤٢٠ هـ)، مَكْتَبَةُ وَمَطْبَعَةُ مِصْطَفَى الْبَابِي الْحَلَبِيِّ وَأَوْلَادِهِ. مِصْر. ١٩٤٩م: ٤٣٥ - ٤٣٦؛ الْمُفْرَدَاتُ: ٣٢-٣٣.

(٢) يُنظَرُ: كِتَابُ سَبِيوِيَه. لِأَبِي بَشْرٍ عَمْرُو بْنِ عِثْمَانَ بْنِ قَبْرِ. (ت ١٨٠ هـ). تَحْقِيقٌ وَشُرْحٌ: عَبْدُ السَّلَامِ مُحَمَّدُ هَارُونَ. الطَّبَعَةُ الثَّلَاثَةُ. النَّاشِرُ مَكْتَبَةُ الْخَانَجِي. مَطْبَعَةُ الْمَدِينِي. الْقَاهِرَةُ. ١٩٨٨م: ٤/٣٩٨؛ الْمُقْتَضِبُ. لِأَبِي الْعَبَّاسِ مُحَمَّدَ بْنَ بَرْزَنْدِ الْمَبْرِدِ. (ت ٢٨٥ هـ). تَحْقِيقٌ: مُحَمَّدُ عَبْدُ الْخَالِقِ عَضِيمَةُ. دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ. بَيْرُوت. لُبْنَان. (د. ت): ١/٢٨٩؛ الْمُفْرَدَاتُ: ٣٣.

(٣) سُورَةُ الْفُصُصِ: الْآيَةُ ٤٣.

(٤) الْمُفْرَدَاتُ: ٤٩؛ لِسَانُ الْعَرَبِ: مَادَّةُ (بِصْر) ٤/٦٤؛ الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ: ٧/٣٥٣.

القراءات :

﴿تَأْتِهِمْ﴾:

قرأ يحيى، وإبراهيم : (يأتهم) ^(١).

﴿مَا يُوحَى﴾:

قرأ حمزة، والكسائي، وورش بالإمالة ^(٢).

﴿وَهُدَى﴾:

قرأ حمزة، والكسائي، وورش بالإمالة في حال الوقف ^(٣).

المعنى العام :

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ﴾، أي : تقرؤها عليهم، يعني به المشركين وفي معنى

الكلام قولان :

أحدهما : إذا لم تأتهم بآية سألوها تعتاً، قاله ابن السائب.

والثاني : إذا لم تأتهم بآية لإبطاء الوحي، قاله مقاتل ^(٤).

﴿قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾، لولا بمعنى هلا، ولا يليها على هذا المعنى إلا الفعل

ظاهراً أو مضمرأ، ومعنى اجتبيتها اختلقتها من نفسك، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد والفراء والزجاج وابن قتيبة في آخرين، وحكي عن الفراء أنه قال : العرب تقول اجتبيت الكلام واختلفته وارتجلته إذا افتعلته من قبل نفسك، فأعلمهم الله تعالى أن الآيات من قبل الله عز وجل، وأنه لا يقرأ عليهم إلا ما أنزله عليه، يقال : اجتبيت الكلام، أي : ارتجلته واختلفته واخترعته إذا جئت به من عند نفسك ^(٥).

وقيل المعنى : هلا طلبتها لنا قبل مسألتك ذكره الماوردي ^(٦).

وصحح ابن الجوزي القول الأول ^(٧)، وهو الذي أراه لائقاً بالمعنى والسياق.

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنشِئُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ أي من عند الله لا من عند نفسي، وليس

الأمر لي، ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني القرآن جمع بصيرة هي الدلالة والعبرة، أي : هذا الذي دللتكم به على أن الله عز وجل واحد ﴿وَهُدَى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

(١) مختصر شواذ القراءات : ٤٨.

(٢) غَيْثُ النَّفْعِ : ٢٣٢.

(٣) غَيْثُ النَّفْعِ : ٢٣٢.

(٤) زَادُ الْمَسِيرِ : ٣/٣١١-٣١٢.

(٥) يُنْظَرُ: المقتضب : ١/٢٨٩؛ زَادُ الْمَسِيرِ : ٣/٣١١؛ الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ : ٧/٣٥٢-٣٥٣.

(٦) زَادُ الْمَسِيرِ : ٣/٣١١.

(٧) النكت والعيون : ٢/٩٧.

وهدى رشد وبيان أي نعمة^(١).

ما يستفاد من الآية :

يلاحظ في هذه الآية أن الاستخدام القرآني للفظ (الاجتناء) جاء مغايراً في المعنى والسياق لما تقدم من قبل، فالاجتناء هنا هو الاختراع، أو الافتعال، أي التكلف في الاختراع، وهذا المعنى يرد لأول مرة هنا في القرآن الكريم.

ومن حيث السياق، فقد كان ورود الاجتناء من قبل في معرض بيان اجتناء الأنبياء والمؤمنين، وتعليل سبب اجتنابهم، أما هنا فالاجتناء ورد على لسان المشركين في مجادلتهم لرسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وفي هذا تأكيد على أن اللفظة تكتسب معناها باعتبار السياق الذي تأتي به.

المَطْلَبُ الثَّانِي

اجتناء الثمرات

في هذا المطلب سأعرض لآخر آية ورد فيها لفظ (الاجتناء)، وهذا المطلب يتوافق نوعاً مع المطلب السابق من حيث استخدام كلمة (الاجتناء) كما سنرى ذلك عند مناقشة قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن نَّبِيعَ الْمَلَكُوتِ مَعَكَ نَنخَطِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِئُ إِلَيْهِ نَمْرَتٌ كُلِّ شَيْءٍ رَزَقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

سبب نزولها :

في سبب نزول الآية الشريفة أربعة أقوال :

أحدها: أن رجلاً من قريش يقال له الحارث بن عامر قال : والله يا مُحَمَّد ما كذبتنا قط فنتهمك اليوم، ولكننا إن نتبعك نتخطف من أرضنا فنزلت هذه الآية. رواه أبو صالح عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وقال مقاتل : كان الحارث بن عامر يكذب النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في العلانية، فإذا خلا مع أهل بيته قال : ما محمد من أهل الكذب فنزلت فيه هذه الآية^(٣).

والثاني: أن المشركين كانوا إذا رأوا النبي - صلى الله عليه وسلم - قالوا فيما بينهم : إنه لنبي، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح^(٤).

(١) زَادَ الْمَسِيرُ: ٣/٣١١؛ الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ: ٧/٣٥٣.

(٢) سورة القصص: الآية ٥٧.

(٣) زَادَ الْمَسِيرُ: ٣/٢٧؛ لِبابِ النُّقُولِ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ. لِأَبِي الْفَضْلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ السُّيُوطِيِّ. (ت ٩١١هـ). دَارُ إِحْيَاءِ الْعُلُومِ. بَيْرُوت. (د. ت): ١٦٥.

(٤) زَادَ الْمَسِيرُ: ٣/٢٧؛ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ: ٢/١٣٠.

والثالث: أن أبا جهل قال للنبي - صلى الله عليه وسلم - : إنا لا نكذبك ولكن نكذب الذي جئت به، فنزلت هذه الآية، قاله ناجية بن كعب. وقال أبو يزيد المدني : لقي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبا جهل فصافحه أبو جهل، فقيل له : أتصافح هذا الصابئ؟ فقال : والله إني لأعلم أنه نبي، ولكن متى كنا تبعاً لبني عبد مناف، فأنزل الله هذه الآية^(١).

والرابع: أن الأحنس بن شريق لقي أبا جهل، فقال الأحنس : يا أبا الحكم أخبرني عن مُحَمَّدٍ أصادق هو أم كاذب، فليس هاهنا من يسمع كلامك غيري؟ فقال أبو جهل : والله إن محمداً لصادق وما كذب قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابه والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش، فنزلت هذه الآية، قاله السدي^(٢).

تحليل الألفاظ :

﴿نَخَطَفُ﴾:

النَخَطَفُ وَالْإِخْتِطَافُ الْإِخْتِطَافُ بِالسَّرْعَةِ، يُقَالُ : خَطَفَ يَخْطِفُ وَخَطَفَ يَخْطِفُ وَفَرَىٰ بِهِمَا جَمِيعًا^(٣).

﴿حَرَمًا﴾:

الْحَرَامُ الْمَمْنُوعُ، مِنْهُ إِمَّا بِتَسْخِيرِ الْهَيِّ، وَإِمَّا بِمَنْعِ قَهْرِيٍّ، وَإِمَّا بِمَنْعٍ مِنْ جِهَةِ الْعَقْلِ، أَوْ مِنْ جِهَةِ الشَّرْعِ، أَوْ مِنْ جِهَةِ مَنْ يَرْتَسِمُ أَمْرَهُ. وَالْحَرَمُ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِتَحْرِيمِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ كَثِيرًا مِمَّا لَيْسَ بِمُحَرَّمٍ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْمَوَاضِعِ، وَكَذَلِكَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ، وَقِيلَ : رَجُلٌ حَرَامٌ وَحَلَالٌ وَمُحِلٌّ وَمُحْرَمٌ^(٤).

﴿أَمَانًا﴾:

أَصْلُ الْأَمْنِ طُمَأْنِينَةُ النَّفْسِ وَزَوَالُ الْخَوْفِ، وَالْأَمْنُ وَالْأَمَانَةُ وَالْأَمَانُ فِي الْأَصْلِ مَصَادِرٌ، وَيُجْعَلُ الْأَمَانُ تَارَةً اسْمًا لِلْحَالَةِ الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ فِي الْأَمْنِ، وَتَارَةً اسْمًا لِمَا يُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ، وَالْحَرَمُ الْأَمْنُ هُنَا، لَا يَجِبُ أَنْ يُقْتَصَرَ

(١) سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ: ٢٦١/٥ رقم (٣٠٦٤) ولكن الترمذي ذكرها في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَكْفُرُوا بَعْدَ مَا بَيَّعْتُمْ اللَّهَ بِمِثْقَلِ ذَرَّةٍ لَكُمْ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْكٰفِرِينَ﴾؛ زاد المسير: ٢٧/٣.

(٢) جَامِعُ النَّيَّانِ: ١٨٢/٧؛ زاد المسير: ٢٧/٣؛ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ: ١٣١/٢.

(٣) يُنْظَرُ: الْأَفْعَالُ ٤٣٨/١ و ٤٦٨؛ بَصَائِرُ ذَوِي التَّمْيِيزِ: ٥٥١/٢؛ الْمُجْمَلُ ٢٩٤/٢.

(٤) يُنْظَرُ: الْمُفْرَدَاتُ: ١١٤؛ لِسَانُ الْعَرَبِ: مَادَّةُ (حرم) ١٢٨/١٢.

منه وَلَا يُقْتَل فِيهِ إِلَّا أَنْ يَخْرُجَ^(١).

﴿نَمَرَتْ﴾:

النَّمْرُ اسْمٌ لِكُلِّ مَا يَتَطَعَّمُ مِنْ أَعْمَالِ الشَّجَرِ، الْوَاحِدَةُ ثَمْرَةٌ وَالْجَمْعُ ثَمَارٌ وَثَمَرَاتٌ. وَالنَّمْرُ قِيلَ: هُوَ الثَّمَارُ، وَقِيلَ هُوَ جَمْعُهُ وَيَكْنَى بِهِ عَنِ الْمَالِ الْمُسْتَفَادِ، وَيُقَالُ لِكُلِّ نَفْعٍ يَصْدُرُ عَنْ شَيْءٍ ثَمْرَتُهُ، كَقَوْلِكَ: ثَمْرَةُ الْعِلْمِ الْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَثَمْرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ الْجَنَّةُ^(٢).

﴿رَزَقًا﴾:

الرِّزْقُ يُقَالُ لِلْعَطَاءِ الْجَارِي تَارَةً ذُنُوبِيًّا كَانَ أَمْ أُخْرَوِيًّا، وَلِلنَّصِيبِ تَارَةً، وَلِمَا يَصِلُ إِلَى الْجَوْفِ وَيُتَعَذَّى بِهِ تَارَةً، يُقَالُ: أَعْطَى السُّلْطَانُ رِزْقَ الْجُنْدِ، وَرَزَقْتُ عِلْمًا، أَيْ: مِنَ الْمَالِ وَالْجَاهِ وَالْعِلْمِ، وَالْمُرَادُ بِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْأَغْذِيَّةُ، وَتُمْكِنُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى الْعُمُومِ فِيمَا يُؤْكَلُ وَيُلْبَسُ وَيُسْتَعْمَلُ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِمَّا يَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِينَ^(٣).

﴿لَدْنَا﴾:

لَدُنْ أَحْضٌ مِنْ عِنْدٍ؛ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى ابْتِدَاءِ نِهَائِيَّةٍ نَحْوُ: أَقَمْتُ عِنْدَهُ مِنْ لَدُنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى غُرُوبِهَا، فَيُوضَعُ لَدُنْ مَوْضِعَ نِهَائِيَّةِ الْفِعْلِ. وَقَدْ يُوضَعُ مَوْضِعَ عِنْدٍ فِيمَا حَكِي، يُقَالُ: أَصَبْتُ عِنْدَهُ مَالًا وَلَدْنَهُ مَالًا، قَالَ بَعْضُهُمْ: لَدُنْ أُبْلَغُ مِنْ عِنْدٍ وَأَحْضٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتَهُ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصْحَبِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِي عَذْرًا﴾^(٤) وَيُقَالُ: مِنْ لَدُنْ، وَلَدٌ، وَلُدٌ، وَلَدِي، وَاللَّدُنُ اللَّيْنُ^(٥).

القراءات:

﴿الْهَدَى﴾:

(١) يُنْظَرُ: غَرِيبُ الْحَدِيثِ. لِأَبِي سَلِيمَانَ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْخَطَّابِيِّ الْبَسْتِيِّ. (٣٨٨هـ).

تَحْقِيقٌ: عَبْدُ الْكَرِيمِ الْإِبْرَاهِيمِيُّ الْعَزْبَاوِيُّ. الطَّبَعَةُ الْأُولَى. جَامِعَةُ أُمِّ الْقُرَى. مَكَّةُ الْمَكْرَمَةِ. ١٤٠٢هـ: ٢/٤٠٦؛ الْمُنْفَرَدَاتُ: ٢٥-٢٦.

(٢) الْمُنْفَرَدَاتُ: ٨١؛ مَجْمَعُ الْبَلَاغَةِ. لِأَبِي الْقَاسِمِ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ الْمَعْرُوفِ بِالرَّاعِبِ الْأَصْفَهَانِيِّ. (ت ٥٠٢هـ). مَكْتَبَةُ الْأَنْجَلُو الْمَصْرِيَّةِ. (د. ت): ١/٤٤.

(٣) الْمُنْفَرَدَاتُ: ١٩٤؛ لِسَانُ الْعَرَبِ: مَادَةُ (رِزْق) ١٠/١١٥؛ مُخْتَارُ الصَّحَاحِ: مَادَةُ (رِزْق) ١٠١.

(٤) سُورَةُ الْكَهْفِ: الْآيَةُ ٧٦.

(٥) الْمُنْفَرَدَاتُ: ٤٤٩؛ مَغْنِي اللَّيْبِ عَنْ كِتَابِ الْأَعْرَابِ. لِأَبِي مُحَمَّدِ جَمَالِ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُوسُفِ بْنِ هِشَامِ الْأَنْصَارِيِّ. (ت ٧٦١هـ). تَحْقِيقٌ: د. مَازِنُ الْمُبَارَكِ، وَمُحَمَّدُ عَلِيُّ حَمْدُ اللَّهِ. الطَّبَعَةُ الْأُولَى. دَارُ الْفِكْرِ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ. بِيْرُوتُ. ١٩٨٥م: ٢٠٨.

قرأ حمزة، والكسائي، وورش بالإمالة^(١).

﴿نُخَطَفُ﴾:

قرأ المنقري: (يُخَطَفُ)^(٢).

﴿يُجَيِّحُ﴾:

قرأ نافع، وعاصم، وأبو جعفر، ورويس، ويعقوب، وسهل وأبو حاتم: (تُجَيِّحِي). واختار أبو عبيد قراءة الجمهور (بالياء) قال: لأنه حال بين الاسم المؤنث وبين فعله حائل، وأيضاً فإن الثمرات جمع وليس بتأنيث حقيقي^(٣).

قرأ حمزة، والكسائي، وورش بالإمالة^(٤).

قرئ - دون نسبة - : (يُجَنِّي)^(٥).

﴿تَمَرَتْ﴾:

قرأ أبان بن تغلب: (تُمَرَات)^(٦).

قرئ - دون نسبة - : (تُمَرَات)^(٧).

بعض الأوجه الإعرابية:

﴿أَوْلَمَ تُمْكِنَ لَهُمْ﴾:

الهمزة للاستفهام الإنكاري، والواو عاطفة على محذوف يقتضيه السياق.

﴿زَرْقًا﴾:

مفعول مطلق لقوله: (يجبي)؛ لأن معنى الجباية والرزق واحد وقيل: مفعول لأجله، وأجازه الزمخشري^(٨)، وفيه ضعف، وقيل: (رزقاً) مصدر بمعنى المفعول، فينتصب على الحال من (الثمرات) لتخصصها بالإضافة^(٩).

(١) عَيْثُ النَّعْمِ: ٣١٧. (٢) الْبُحْرُ الْمُحِيطُ: ١٢٦/٧.

(٣) الحجة في القراءات السبع. لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالد بن خالويه. (ت ٣٧٠هـ). تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم. الطبعة الرابعة. دار الشروق. بيروت. ١٤٠١هـ: ٢٧٨؛ النجاءم لأحكام القرآن: ٣٠٠/١٣؛ إتحاف فضلاء البشر: ٢٤٣؛ عَيْثُ النَّعْمِ: ٣١٧.

(٤) عَيْثُ النَّعْمِ: ٣١٧.

(٥) الْكُثَّافُ: ٣/١٨٥؛ النجاءم لأحكام القرآن: ٣٠٠/١٣.

(٦) الْكُثَّافُ: ٣/١٨٥؛ الْبُحْرُ الْمُحِيطُ: ١٢٦/٧.

(٧) الْكُثَّافُ: ٣/١٨٥؛ الْبُحْرُ الْمُحِيطُ: ١٢٦/٧.

(٨) إغراب القرآن الكريم وبيانه: ٥/٦٣٣. (٩) الْكُثَّافُ: ٣/١٨٥.

من القضايا البلاغية :

﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾:

فيها إسناد مجازي^(١)، لأن المراد أهل الحرم، بدليل قوله فيما بعد: ﴿فَلَيْكَ مَسْكَنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٢)، أي: لقد زهوا بها حيناً من الدهر، وغرتهم الأمانى، وأبطرتهم النعمة، فما عتموا أن فنوا^(٣).

المعنى العام :

في الآية تسلية للنبي - صلى الله عليه وسلم - وتعزية عما يواجهون به، ويخبر تعالى أن المكذابين من قريش، وأهل مكة يقولون للرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : ﴿إِنْ نَتَّبِعْ آلَهُدَىٰ مَعَكَ نُنَخِّطُ مِنْ أَرْضِنَا﴾ بالقتل والأسر، ونهب الأموال. فإن الناس قد عادوك وخالفوك فلو تابعتك لتعرضنا لمعاداة الناس كلهم، ولم يكن لنا بهم طاقة.

وهذا الكلام منهم يدل على سوء الظن بالله تعالى، وأنه لا ينصر دينه، ولا يعلي كلمته، بل يُمكن الناس من أهل دينه، فيسومونهم سوء العذاب، وظنوا أن الباطل سيعلو على الحق^(٤).

قال الله تعالى مبيناً لهم حالة هُمُ بها دون الناس، وأن الله اختصهم بها فقال: ﴿أَوَلَمْ تُكُنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِئُ إِلَيْهِ تَمَرَاتٌ كُلِّ شَيْءٍ رَزَقًا مِنْ لَدُنَّا﴾، أي: أولم نجعلهم متمكنين، ممكنين في حرم، يكثر المنتابون إليه، ويقصده الزائرون، قد احترمه القريب والبعيد، فلا يهاج أهله، ولا يتقصون بقليل ولا كثير.

والحال أن كل ما حولهم من الأماكن، قد حف بها الخوف من كل جانب وأهلها غير آمنين ولا مطمئنين. فليَحْمَدُوا ربهم على هذا الأمن التام، الذي ليس فيه غيرهم، وعلى الرزق الكثير، الذي يجيء إليهم من كل مكان، من الثمرات،

(١) الإسناد المجازي: هو إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتأويل.

ينظر الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبدیع على مختصر تلخيص المفتاح. لأبي عبد الله جلال الدين بن سعد الدين أبي محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني. (ت ٧٣٩هـ). الطبعة الرابعة. دار إحياء العلوم. بيروت. ١٩٩٨م: ١٦.

(٢) سورة القصص: من الآية ٥٨.

(٣) إغراب القرآن الكريم وبيانه: ٦٣٥/٥.

(٤) يُنظَرُ: جَامِعُ الْبَيَانِ: ٩٣/٢٠؛ الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ: ١٣/٣٠٠؛ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ: ٢/٥٩٠؛ تَفْسِيرُ الْجَلَالِينَ. لِمُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْمُحَلِّي (ت ٨٦٤هـ)، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ السِّيوطي. (ت ٩١١هـ). الطَّبَعَةُ الْأُولَى. دَارُ الْحَدِيثِ. الْقَاهِرَةُ. (د.ت): ٥١٦.

والأطعمة، والبضائع، ما به يرتزقون ويتوسعون، وَلْيَتَّبِعُوا هَذَا الرِّسُولَ الكَرِيمَ، لِيَتَّعِبُوا الأَمْنَ والرَّغْدَ^(١).

ما يستفاد من الآية :

في هذه الآية الشريفة استخدام للفظ (الاجتباء) بمعنى الجمع، أي : يجمع إليه ثمرات كل أرض وبلد، كما روي عن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - وغيره، وهذا موافق لمعنى الاجتباء من أنه جبي الماء في الحوض، والجابية الحوض العظيم^(٢).

(١) يُنظَرُ: جَامِعُ البَيَانِ: ٩٣/٢٠؛ الجَامِعُ لأَحْكَامِ القُرْآنِ: ٣٠٠/١٣؛ تَفْسِيرُ القُرْآنِ العَظِيمِ: ٢/

٥٩٠؛ تَفْسِيرُ الجَلالين: ٥١٦.

(٢) يُنظَرُ: لِسَانُ العَرَبِ: مَادَّةُ (جبي) ١٣١/١٤.

الفصل الثالث

دراسة آيات الاختيار

ويتضمن بحثين :

المَبْحَثُ الأَوَّلُ : اختيار موسى - عَلَيْهِ السَّلَام - وبني إسرائيل

المَبْحَثُ الثَّانِي : مسائل متفرقة

المَبْحَثُ الأوَّل

اختيار موسى - عَلَيْهِ السَّلَام - وبني إسرائيل

ورد لفظ الاختيار مقروناً بموسى - عَلَيْهِ السَّلَام - وبني إسرائيل في ثلاثة مواضع من الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، والتي ستكون مادة هذا المبحث، الذي قسمته على ثلاثة مطالب.

المَطْلَبُ الأوَّل

اختيار موسى - عَلَيْهِ السَّلَام -

ذكر الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ قصة موسى - عَلَيْهِ السَّلَام - في عدة مواضع منها ما جاء مفصلاً في سورة (طه) فقد بين الله تَعَالَى اختيار موسى - عَلَيْهِ السَّلَام - للنبوّة بقوله تعالى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ (١٣) ^(١).

وملخص قصة موسى - عَلَيْهِ السَّلَام - التي وردت في الآيات التي سبقت هذه الآية في هذه السورة هو:

﴿وَهَلْ أُنْتَلِكُ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ (١٤) إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُتُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَصُورَةٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٥﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَىٰ ﴿١٦﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٧﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٨﴾ ^(٢).

والمعنى الإجمالي:

قد أتاك يا مُحَمَّد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حديث موسى إذ رأى ناراً، فقال لامرأته: امكثوا هنا، وذلك في مسيره من مدين طالباً مصر إنني أبصرت ناراً لعلني آتيكم منها بشعلة في رأس فتيلة أو عود، أو أجد على النار هادياً يدلني على الطريق، وكان أخطأها لظلمة الليل، فلما أتى شجرة عوسج نودي: يا موسى إنني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس المطهر أو المبارك طوى، وأنا اخترتك

(١) سورة طه: الآية ١٣.

(٢) سورة طه: الآيات ٩-١٣.

من قومك فاستمع لما يوحى إليك مني^(١).

تحليل الألفاظ :

فَاسْتَمِعَ :

السَّمْعُ - كما يقول الراغب - قُوَّةٌ فِي الْأُذُنِ بِهِ يُدْرِكُ الْأَصْوَاتَ، وَفِعْلُهُ يُقَالُ لَهُ السَّمْعُ أَيْضاً، وَقَدْ سَمِعَ سَمْعاً. وَيُعْبَرُ تَارَةً بِالسَّمْعِ عَنِ الْأُذُنِ نَحْوُ: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾^(٢)، وَتَارَةً عَنِ فِعْلِهِ كَالسَّمَاعِ نَحْوُ: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْرُوفُونَ﴾^(٣)، فَالسَّمْعُ هُنَا يَرَادُ مِنْهُ الْإِنْصَاتُ^(٤).

القراءات :

﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ :

قرأ حمزة : (وأنا اخترناك)، والمعنى واحد، إلا أن : (وأنا اخترتك) هاهنا أولى من جهتين :

إحداهما : أنها أشبه بالخط.

والثانية : أنها أولى بنسق الكلام، لقوله عز وجل : ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾^(٥)، وعلى هذا النسق جرت المخاطبة^(٦).

بعض الأوجه الإعرابية :

الواو عاطفة، و(أنا) مبتدأ، وجملة (اخترتك) من الفعل والفاعل والمفعول به خبر، (فاستمع) الفاء عاطفة، و(استمع) فعل أمر، والفاعل مستتر تقديره : أنت، و(لما) متعلقان بـ(استمع)، وجملة (يوحى) صلة، ويوحى بالبناء للمجهول^(٧).

المعنى العام :

وأنا اخترتك، أي : اصطفيتك للرسالة^(٨).

والاستماع هاهنا محمول على الإنصات، أي : أنصت لوحبي، والوحي هاهنا قوله : إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدي^(٩).

(١) تفسير الجلالين: ٤٠٦-٤٠٧.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٢١٢.

(٣) الْمُفْرَدَات: ٢٤٢؛ لِسَانِ الْعَرَبِ: مَادَّةُ (سَمِعَ) ٨/١٦٥.

(٤) سورة طه: الآية ١٢.

(٥) إِغْرَابِ الْقُرْآنِ لِلنَّحَّاسِ: ٣٣٤/٢؛ الْجَامِعِ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ: ١١/١٧٦.

(٦) إِغْرَابِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَبَيَانِهِ: ٤/٦٦٢. (٨) الْجَامِعِ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ: ١١/١٧٦.

(٩) زَادَ الْمَسِيرُ: ٥/٢٧٥.

ما يستفاد من الآية :

﴿فَأَسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾:

حسن الاستماع كما يجب قد مدحه الله تعالى، فقال: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾^(١)، فمدح المنصت لاستماع كلامه مع حضور العقل، وأمر عباده بذلك أدباً لهم فقال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢١﴾﴾^(٢) وقال هاهنا: ﴿فَأَسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾، لأن بذلك ينال الفهم عن الله تعالى^(٣).

ومن شروط الاستماع: سكون الجوارح، وغيض البصر، والإصغاء بالسمع، وحضور العقل، والعزم على العمل، وذلك هو الاستماع كما يحب الله تعالى، وهو أن يكف العبد جوارحه ولا يشغلها فيشتغل قلبه عما يسمع، ويغض طرفه فلا يلهو قلبه بما يرى، ويحصر عقله فلا يحدث نفسه بشيء سوى ما يستمع إليه، ويعزم على أن يفهم فيعمل بما يفهم^(٤).

وقال سفيان بن عيينة: أول العلم الاستماع، ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر، فإذا استمع العبد إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بنية صادقة على ما يحب الله، أفهمه كما يجب، وجعل له في قلبه نوراً^(٥).

المطلب الثاني

الاختيار لميقات الله

يؤمنُ بنو إسرائيل على غيرهم من شعوب العالم أنهم شعب الله المختار، ويعتقدون أنهم يمتلكون بذلك مزية على غيرهم، ولكن أصحح هذا الاختيار أم لا؟ ومع أن المفسرين شحنوا تفاسيرهم بكثير من الإسرائيليات إلا أنني ارتأيت عرضها ما دمت ساعياً لكشف حقيقة الاختيار الإسرائيلي المزعوم في المطلبين الآتين.

من ذلك اختيارهم لميقات الله عند تحليل قوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ

(١) سورة الزمر: الآية ١٨.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٢٠٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١١/١٧٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ١١/١٧٦.

(٥) المصنوع لنفسه: ١١/١٧٦.

رَجُلًا لِيَمِينِنَا فَلَمَّا أَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَائْتِي أَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا
وَأَنْتَ حَيُّ الْغَفِيرِينَ ﴿١٥٥﴾ (١).

تحليل الألفاظ :

مَوَاقِيْتُ :

الوَقْتُ نَهَائِيَةُ الزَّمَانِ الْمَفْرُوضِ لِلْعَمَلِ، ولهذا لَا يَكَادُ يُقَالُ إِلَّا مُقَدَّرًا نَحْوُ
قَوْلِهِمْ : وَقْتُ كَذَا جَعَلْتُ لَهُ وَقْتًا، وَالْمِيقَاتُ الْوَقْتُ الْمَضْرُوبُ لِلشَّيْءِ وَالْوَعْدُ الَّذِي
جُعِلَ لَهُ وَقْتُ، وَقَدْ يُقَالُ الْمِيقَاتُ لِلْمَكَانِ الَّذِي يُجْعَلُ وَقْتًا لِلشَّيْءِ كَمِيقَاتِ الْحَجِّ.
وَالْمَوَاقِيْتُ جَمْعُ مِيقَاتٍ (٢).

الرجفة :

الرَّجْفُ : الاضْطِرَابُ الشَّدِيدُ، يُقَالُ : رَجَفَتِ الْأَرْضُ وَالْبَحْرُ، وَبَحْرٌ رَجَافٌ.
وَرَجَفَتِ الْأَرْضُ تَرَجُفٌ رَجْفًا : اضْطَرَبَتْ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿فَلَمَّا أَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ﴾،
يُقَالُ : إِنَّهُمْ رَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَمَاتُوا. وَرَجَفَ الْقَلْبُ : اضْطَرَبَ مِنَ الْجَزَعِ،
وَالِإِزْجَافُ إِيقَاعُ الرَّجْفَةِ إِمَّا بِالْفِعْلِ وَإِمَّا بِالْقَوْلِ، وَيُقَالُ الْأَرَاجِيفُ مَلَاقِيحُ الْفِتَنِ (٣).

السُّفَهَاءُ :

السَّفَهُ حِفَّةٌ فِي الْبَدَنِ وَمِنْهُ قِيلَ زَمَامٌ سَفِيهُ كَثِيرُ الْاضْطِرَابِ، وَثَوْبٌ سَفِيهُ رَدِيءٌ
النَّسِجِ. وَاسْتُعْمِلَ فِي حِفَّةِ النَّفْسِ لِتُفْضِنِ الْعَقْلَ وَفِي الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ،
فَقِيلَ : سَفِهَ نَفْسَهُ، وَأَضَلَّهُ سَفِهَ نَفْسَهُ فَصُرِفَ عَنْهُ الْفِعْلُ نَحْوُ بَطَرَ مَعِيشَتَهُ (٤).

وَالْفِتْنَةُ :

أَصْلُ الْفِتْنِ إِذْخَالُ الذَّهَبِ النَّارَ لِتُظْهَرَ جُودَتُهُ مِنْ رِذَائَتِهِ، وَاسْتُعْمِلَ فِي إِذْخَالِ
الْإِنْسَانِ النَّارَ، وَتَارَةً يُسَمَّوْنَ مَا يَحْضَلُ عَنْهُ الْعَذَابُ فَيُسْتَعْمَلُ فِيهِ، وَتَارَةً فِي
الْإِخْتِبَارِ، وَجُعِلَتِ الْفِتْنَةُ كَالْبَلَاءِ فِي أَنَّهْمَا يُسْتَعْمَلَانِ فِيمَا يُدْفَعُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنْ شِدَّةِ
وَرَحَاءِ وَهَمَا فِي الشَّدَّةِ أَظْهَرَ مَعْنَى وَأَكْثَرَ اسْتِعْمَالًا (٥).

(١) سورة الأعراف: من الآية ١٥٥.

(٢) المفردات: ٥٢٩؛ لسان العرب: مادة (وقت) ١٠٨/٢.

(٣) ينظر المفردات: ١٨٩؛ لسان العرب: مادة (رجف) ١١٣/٩.

(٤) ينظر المفردات: ٢٣٤؛ أساس البلاغة: ٢١٢.

(٥) المفردات: ٣٧١؛ أساس البلاغة: ٣٣٣-٣٣٤؛ المصباح المنير: ٢٧٤.

القراءات :

﴿شِئْتَ﴾:

قرأ السوسي : (شيت)^(١).

﴿تَشَاءُ أَنْتَ﴾:

قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورويس : (تشاء ونت)^(٢).

﴿فَأَغْفِرَ لَنَا﴾ :

قرأ أبو عمرو، والدوري بالإدغام^(٣).

بعض الأوجه الإعرابية :

﴿وَأَخْنَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾:

(اختار) افتعل من الخير، وهو التخيير والانتقاء، (واختار) من الأفعال التي تعدت إلى اثنين أحدهما بنفسه والآخر بواسطة حرف الجر، وهي مقصورة على السماع، وهي : اختار، واستغفر، وأمر، وكنتى، ودعا، وزوج، وصدق، ثم يحذف حرف الجر ويتعدى إليه الفعل فيقول : اخترت زيدا من الرجال واخترت زيدا الرجال^(٤).

(سبعين) مفعول أول لـ(اختار) على المختار أُخِّرَ عن الثاني، و (قومه) مفعول ثانٍ، وقيل : بدل بعض من كل، ومنعه الأكثرون بناءً على أن المبدل منه في نية الطرح والاختيار لا بد له من مختار ومختار منه، وبالطرح يسقط الثاني، وجوزه أبو البقاء على ضعف، ويكون التقدير : سبعين منهم، وقيل : هو عطف بيان لـ(ميقانتا)^(٥).

﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَرَأَيْتِي﴾:

مفعول (شئت) محذوف تقديره : لو شئت إهلاكنا، وجواب (لو أهلكتهم)، وأتى دون لام وهو فصيح، لكنه باللام أكثر، والمحذوف في (من قبل)، أي : من قبل الاختيار وأخذ الرجفة، وذلك زمان إغضائهم على عبادة العجل أو عبادتهم هم إياه، وعطف (وإياي) على الضمير المنصوب في (أهلكتهم) وعطف الضمير مما يوجب فصله^(٦).

(١) عَثِثَ النَّعْمُ : ٢٢٩. (٢) إِنْخَافَ فُضْلَاءِ الْبَشَرِ : ٢٣١.

(٣) عَثِثَ النَّعْمُ : ٢٢٩. (٤) الْبَحْرُ الْمُحِيطُ : ٤٠٢/٤.

(٥) مشكل إعراب القرآن : ٣٠٣/١؛ التبيان في إعراب القرآن : ٢٨٦/١؛ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ : ٤٠٢/٤؛

رُوحَ الْمَعَانِي : ٧٢/٩.

(٦) يَنْظُرُ : الْكُشَافُ : ٩٦/٢؛ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ : ٤٠٢/٤؛ رُوحَ الْمَعَانِي : ٧٢/٩.

﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا﴾:

الضمير المنصوب في (أتهلكنا) عائد لموسى - عَلَيْهِ السَّلَام - وللسبعين و(بما فعل السفهاء).

وقيل: الضمير في (أتهلكنا) عائد لموسى - عَلَيْهِ السَّلَام - ولبني إسرائيل و(بما فعل السفهاء)^(١).

﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾.

المعنى العام:

الآية تنمى لشرح أحوال بني إسرائيل في الآيات السابقة، وقال بعضهم: إنه شروع في بيان كيفية استدعاء التوبة، وكيفية وقوعها^(٢).

﴿وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا﴾:

اختلف المفسرون في هذا الميقات أهو ميقات المناجاة ونزول التوراة أو غيره، على خمسة أقوال:

أحدها: قال نوف البكالي، ورواه أبو صالح عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : وهو الأوّل بين فيه بعض ما جرى من أحواله، وأنه اختار من كل سبط ستة رجال فكانوا اثنين وسبعين، فقال: ليتخلف اثنان فإنما أمرت بسبعين فتشاحوا، فقال: من قعد فله أجر من حضر، فقعد كالب بن يوقنا، ويوشع بن نون، واستصحب السبعين بعد أن أمرهم أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم، ثم خرج بهم إلى طور سيناء لميقات ربه، وكان أمره ربه أن يأتيه في سبعين من بني إسرائيل، فلما دنا موسى - عَلَيْهِ السَّلَام - من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله، ودنا موسى - عَلَيْهِ السَّلَام - ودخل فيه، وقال للقوم: ادنوا، فدنوا حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجداً، فسمعوه وهو يكلم موسى - عَلَيْهِ السَّلَام - بأمره وينهاه أفعلاً ولا تفعل، ثم انكشف الغمام فأقبلوا إليه فطلبوا الرؤية فوعظهم وزجرهم وأنكر عليهم فقالوا: ﴿يَمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾^(٣). فقال: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾^(٤)، يريد أن يسمعوا الرد والإنكار من جهته،

(١) يُنظَرُ: الْكُشْفُف: ٩٦/٢؛ الْبُخْرِ الْمُحِيط: ٤٠٢/٤.

(٢) رُوحُ الْمَعَانِي: ٧٢/٩.

(٣) سورة البقرة: الآية ٥٥.

(٤) سورة الأعراف: من الآية ١٤٣.

فَأَجِيبَ ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾^(١)، ورجف الجبل بهم وصعقوا^(٢).

والثاني: أنه ميقات وقته الله تعالى لموسى - عَلَيْهِ السَّلَام - وأمره أن يختار من قومه سبعين رجلاً ليدعوا ربهم، فدعوا فقالوا: اللهم أعطنا ما لم تعط أحداً قب لنا، ولا تعطيه أحداً بعدنا، فكره الله ذلك وأخذتهم الرجفة، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -.

والثالث: أنه ميقات وقته الله لموسى - عَلَيْهِ السَّلَام - لأن بني إسرائيل قالوا له: إن طائفة تزعم أن الله لا يكلمك، فخذ معك طائفة منا ليسمعوا كلامه فيؤمنوا فتذهب التهمة، فأوحى الله إليه أن اختر من خيارهم سبعين، ثم ارتق بهم على الجبل أنت وهارون، واستخلف يوشع بن نون ففعل ذلك، قاله وهب بن منبه.

والرابع: أنه ميقات وقته الله لموسى ليلقاه في ناس من بني إسرائيل، فيعتمر إليه من فعل عبدة العجل، قاله السدي. وقال ابن السائب: كان موسى لا يأتي إلا بإذن منه^(٣).

والخامس: عن علي - رضي الله عنه - فيما روى ابن أبي شيبة: أن موسى وهارون - عليهما السَّلَام - وابناه شبر وشبير انطلقوا حتى انتهوا إلى جبل فيه سير، فقام عليه هارون فقبض روحه فرجع موسى إلى قومه فقالوا: أنت قتلته وحسدته على خلقه ولينه، فقال: كيف أقتله ومعى ابناه، قال: فاختراروا من شتمم فاختر سبعون فانتهوا إليه فقالوا: من قتلك يا هارون؟ قال: ما قتلتني أحد ولكن الله توفاني، قالوا: يا موسى ما نعصي بعد، فأخذتهم الرجفة فجعلوا يتردون يمينا وشمالاً^(٤).

والذي يظهر أن هذا الميقات غير ميقات موسى - عَلَيْهِ السَّلَام - الذي قيل فيه: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ وَلَكِنِ أَنْظُرْ

(١) سورة الأعراف: من الآية ١٤٣.

(٢) يُنظَرُ: جَامِعُ الْبَيَانِ: ٤٩/٦؛ الْكُشَافُ: ٩٦/٢؛ زَادَ الْمَسِيرُ: ٢٦٧/٣؛ الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ: ٢٩٤/٧؛ أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ: ٦٣/٣؛ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ: ٤٠٢/٤؛ الذَّرُّ الْمَثُورُ: ٥٦٦/٣؛ رُوحِ الْمَعَانِي: ٧٢/٩.

(٣) يُنظَرُ: جَامِعُ الْبَيَانِ: ٤٩/٦؛ زَادَ الْمَسِيرُ: ٢٦٧/٣؛ الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ: ٢٩٤/٧؛ أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ: ٦٣/٣؛ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ: ٤٠٢/٤؛ الذَّرُّ الْمَثُورُ: ٥٦٦/٣؛ رُوحِ الْمَعَانِي: ٧٢/٩.

(٤) مُصَنَّفُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ: ٣٣٣/٦؛ رَقْمُ (٣١٨٤١)؛ الْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ: ١٨٠/٣؛ رَقْمُ (٤٧٧٣)؛ جَامِعُ الْبَيَانِ: ٤٩/٦؛ زَادَ الْمَسِيرُ: ٢٦٧/٣؛ الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ: ٢٩٤/٧؛ أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ: ٦٣/٣؛ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ: ٤٠٢/٤؛ الذَّرُّ الْمَثُورُ: ٥٦٦/٣؛ رُوحِ الْمَعَانِي: ٧٢/٩.

إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَاهُ قَلَمًا مَّجَلًّا رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧٣﴾^(١)، لظاهر تغاير القصتين، وما جرى فيهما، إذ في تلك أن موسى - عَلَيْهِ السَّلَام - كلمه الله عز وجل وسأله الرؤية وأحاله في الرؤية على تجليه للجبل وثبوته، فلم يثبت وصار دكًّا، وصعق موسى - عَلَيْهِ السَّلَام - وفي هذه اختير السبعون لميقات الله وأخذتهم الرَّجْفَةُ ولم تأخذ موسى - عَلَيْهِ السَّلَام - وللفضل الكثير الذي بين أجزاء الكلام لو كانت قصة واحدة^(٢).

﴿فَلَمَّا أَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ﴾:

سبب الرجفة مختلف فيه، وهو مرتب على تفسير الميقات، فهل الرجفة عقوبة على سكوتهم وإغضائهم على عبادة العجل، أو عقوبة على سؤالهم الرؤية، أو عقوبة لتشططهم في الدعاء المذكور، أو سببه سماع كلام هارون وهو ميت، اختلف المفسرون على أربعة أقوال:

أحدها: أنه ادعاهم على موسى قتل هارون، قاله علي بن أبي طالب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -.

والثاني: اعتداؤهم في الدعاء، وقد ذكر في رواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -.

والثالث: أنهم لم ينهوا عبدة العجل ولم يرضوا، نقل عن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - وقال قتادة، وابن جريج: لم يأمرهم بالمعروف، ولم ينههم عن المنكر، ولم يزايلوهم.

والرابع: أنهم طلبوا استماع الكلام من الله تعالى، فلما سمعوه قالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، قاله السدي، وابن إسحاق^(٣).

قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِيَّايَ:

قال السدي: قام موسى - عَلَيْهِ السَّلَام - يبكي ويقول: رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم، وقد أهلكت خيارهم، لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي^(٤).

(١) سورة الأعراف: الآية ١٤٣.

(٢) يُنْظَرُ: الْبَحْرُ الْمُحِيط: ٤٠٢/٤.

(٣) يُنْظَرُ: جَامِعُ الْبَيَان: ٤٩/٦؛ زَادَ الْمَسِير: ٢٦٧/٣؛ الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآن: ٢٩٤/٧؛ أَنْوَارُ التَّنْزِيل: ٦٣/٣؛ الْبَحْرُ الْمُحِيط: ٤٠٢/٤؛ الدَّرُ الْمَثُور: ٥٦٦/٣؛ رُوحُ الْمَعَانِي: ٧٢/٩.

(٤) الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآن: ٢٩٤/٧؛ أَنْوَارُ التَّنْزِيل: ٦٣/٣؛ الْبَحْرُ الْمُحِيط: ٤٠٢/٤؛ الدَّرُ الْمَثُور: ٥٦٦/٣.

قال الزجاج : لو شئت أمتهم قبل أن تبليهم بما أوجب عليهم الرجفة^(١).
وقيل : لو شئت أهلكتهم من قبل خروجنا وإيائي، فكان بنو إسرائيل يعاينون ذلك ولا يتهمونني^(٢).

وقوله : (وإيائي)، أي : وقت قتلي القبطي، فأنت قد سترت وغفرت حينئذ فكيف الآن إذ رجوعي دونهم فساد لبني إسرائيل. وبدأ بضميرهم ؛ لأنهم الذين أخذتهم الرجفة فماتوا أو أغمي عليهم ولم يمتم هو ولا أغمي عليه، ولم يكتف بقوله : (أهلكتهم من قبل) حتى أشرك نفسه فيهم، وإن كان لم يشركهم في مقتضى الإهلاك تسليمًا منه لمشيئة الله تعالى وقدرته، وأنه لو شاء إهلاك العاصي والطائع لم يمنعه من ذلك مانع^(٣).

﴿أَهْلَكْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾:

هذا استفهام على سبيل الإدلاء بالحجة في صيغة استعطاف وتذلل أي : لا تهلكنا، نقل عن المبرد^(٤).

وقال ابن الانباري : هذا استفهام على تأويل الجحد، أراد لست تفعل ذلك والسفهاء هاهنا عبدة العجل^(٥).

وقال الفراء : ظن موسى - عَلَيْهِ السَّلَام - أنهم أهلكوا باتخاذ أصحابهم العجل، وإنما أهلكوا بقولهم : ﴿أَرَأَيْتَ اللَّهُ جَهْرَةً﴾^(٦)^(٧).
وقال أبو حيان :

والذي يظهر لي أنه استفهام استعلام اتبع إهلاك المختارين، وهم خير بني إسرائيل بما فعل غيرهم، إذ من الجائز في العقل ذلك ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿وَأَنْقُضُوا فِتْنَةً لِّأَنْصِبِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾^(٨)، وقوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) معاني القرآن وإغرابه للزجاج : ٢١٤/٢.

(٢) يُنظَرُ: جَامِعُ الْبَيَانِ: ٥١/٦؛ زَادُ الْمَسِيرِ: ٢٦٨/٣؛ الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ: ٢٩٦/٧؛ أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ: ٦٤/٣؛ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ: ٤٠٣/٤؛ الذَّرُّ الْمَثُورُ: ٥٦٨/٣؛ رُوحُ الْمَعَانِي: ٧٣/٩.

(٣) يُنظَرُ: الْبَحْرُ الْمُحِيطُ: ٤٠٣/٤.

(٤) يُنظَرُ: زَادُ الْمَسِيرِ: ٢٦٩/٣؛ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ: ٤٠٣/٤.

(٥) يُنظَرُ: زَادُ الْمَسِيرِ: ٢٦٩/٣.

(٦) سورة النساء: من الآية ١٥٣.

(٧) سورة الأنفال: من الآية ٢٥.

(٨) يُنظَرُ: زَادُ الْمَسِيرِ: ٢٦٩/٣.

وَسَلَّمَ - وقد قيل له : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : « نعم إذا كثرت الخبث »^{(١)(٢)}.

﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ نَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ نَشَاءُ أَنْتَ﴾ :

أي إن فتنتهم إلا فتنتك، والضمير في هي يفسره سياق الكلام، أي : أنت هو الذي فتنهم. قالت فرقة لما أعلمه الله أنّ السبعين عبدوا العجل، تعجب وقال : إن هي إلا فتنتك، وقيل لما أعلم موسى بعبادة بني إسرائيل العجل وبصفته قال : يا رب ومن أخاره ؟ قال : أنا، فقال لموسى : فأنت أضللتهم إن هي إلا فتنتك^(٣).

قال ابن عطية : ويحتمل أن يشير به إلى قولهم : ﴿أَرَأَى اللَّهُ جَهْرَةَ﴾^(٤) إذ كانت فتنة من الله أوجب الرجفة^(٥).

وفي معنى الفتنة هنا قولان للمفسرين، هما :

أحدهما : أنها الابتلاء، رواه أبو صالح عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وبه قال سعيد بن جبير، وأبو العالية.

والثاني : العذاب رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وبه قال قتادة^(٦).

﴿أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ :

(أنت ولينا) القائم بأمرنا (فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين)، سأل موسى - عَلَيْهِ السَّلَام - الغفران له ولهم، والرحمة لما كان قد اندرج قومه في قوله : أنت ولينا. وفي سؤال المغفرة والرحمة له ولهم، وكان قومه أصحاب ذنوب أكد استعطاف ربه تعالى في غفران تلك الذنوب، فأكد ذلك ونبه بقوله : (وأنت خير الغافرين) ولما كان هو وأخوه هارون - عليهما السلام - من المعصومين من الذنوب، فحين سأل المغفرة له ولأخيه، وسأل الرحمة لم يؤكد الرحمة بل قال :

(١) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ : ٣ / ١٢٢١ رقم (٣١٦٨)؛ صَحِيحُ مُسْلِمٍ : ٤ / ٢٢٠٧ رقم (٢٨٨٠) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

مِنْ حَدِيثِ زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -

(٢) الْبَحْرُ الْمُحِيطُ : ٤ / ٤٠٣.

(٣) الْمَصْدَرُ نَفْسِهِ : ٤ / ٤٠٣.

(٤) سُورَةُ النِّسَاءِ : مِنَ الْآيَةِ ١٥٣.

(٥) الْمَحْرُورُ الْوَجِيزُ : ٣ / ١٤.

(٦) يُنظَرُ : جَامِعُ الْبَيَانِ : ٦ / ٥١؛ زَادَ الْمَسِيرُ : ٣ / ٢٦٨؛ الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ : ٧ / ٢٩٦؛ أَنْوَارُ

التَّنْزِيلِ : ٣ / ٦٤؛ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ : ٤ / ٤٠٣؛ الدَّرُّ الْمَثُورُ : ٣ / ٥٦٨؛ رُوحُ الْمَعَانِي : ٩ / ٧٣.

وأنت أرحم الراحمين، فنبه على أنه تعالى أرحم الراحمين، وكان تعالى خير الغافرين؛ لأن غيره يتجاوز عن الذنب طلباً للثناء أو الثواب أو دفعاً للصفة الخسيسة عن القلب وهي صفة الحقد. والباري سبحانه وتعالى منزّه عن أن يكون غفرانه لشيء من ذلك^(١).

ما يستفاد من الآية :

في هذه الآية ردّ على المعتزلة، قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿أَتَهْلِكُنَّ بِمَا فَعَلَ الْأَسْفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾، " أي : محنتك وبلاؤك حين كلمتني وسمعت كلامك، فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالاً فاسداً حتى افتتنوا وضلوا تضلّ بها الجاهلين غير الثابتين في معرفتك وتهدي العالمين الثابتين بالقول الثابت، وجعل ذلك إضلالاً من الله تعالى وهدى منه؛ لأنّ محنته إنما كانت سبباً لأن ضلّوا واهتدوا؛ فكأنه أضلّهم بها وهداهم على الاتساع في الكلام" ^(٢).

وقال أبو حيان: " هو على طريقة المعتزلة في نفيهم الإضلال عن الله تعالى" ^(٣).

ومن المعلوم أن السياق القرآني ظاهر لا يتوافق مع تأويل الزمخشري المتعسف.

وفيما يتعلق باختيار بني إسرائيل فالآية لا تؤيد أفضليتهم على غيرهم، بل العكس هو الصحيح، لأن اختيارهم على جميع الأقوال الواردة ما كان إلا عن ضلال وقعوا به، وفتن حاكوها، ودسائس دبروها وسيأتي في المطلب القادم مزيد كلام حوله.

المَطْلَبُ الثَّالِثُ

اختيار بني إسرائيل

أشرت إلى تدرج بني إسرائيل بعدد من النصوص على أنهم شعب الله المختار، وقد أورد القرآن الكريم بعضها، منها ما يرتبط بموضوع البحث، أعني (الاختيار)، ومنها ما هو خارج نطاق البحث، نحو قوله تعالى: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي

(١) البُخْر المُحِيط: ٤٠٣/٤.

(٢) الكُتَاب: ٩٧/٢.

(٣) البُخْر المُحِيط: ٤٠٣/٤.

أَنْتُمْ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾^(١)، وسأحاول إجمال الرد في هذا المطلب عند تحليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْتَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَمَا كُنْتُمْ مِنْ آلَيْهِتِ مَا فِيهِ بَلْتَوْا مُبِيتٌ ﴿٣٣﴾﴾^(٢).

تحليل الألفاظ :

﴿الْعَالَمِينَ﴾:

العالمُ: اسمٌ للفلكِ وما يحويه من الجواهر والأعراض، وهو في الأصل اسمٌ لما يُعلمُ به كالطابع والخاتم لما يُطبعُ به ويُتمُّ به، وجعلَ بناؤه على هذه الصيغة لكونه كالألّة، والعالمُ ألّةٌ في الدلالة على صنّعه، وأمّا جمعه فلأنّ كل نوع من هذه قد يُسمّى عالمًا، فيقال: عالمُ الإنسان، وعالمُ الماء، وعالمُ النار، وأمّا جمعه جمعُ السّلامَةِ فيكونُ الناس في جُمْلَتهم، والإنسانُ إذا شارك غيره في اللَّفْظِ غلبَ حُكْمه، وقيل: إنما جُمعَ هذا الجمعُ؛ لأنه عُنيَ به أصفاءُ الخلائقِ من الملائكة والجنِّ والإنسِ دونَ غيرها.

والعالمُ عالمان: الكبيرُ وهو الفلكُ بما فيه، والصّغيرُ وهو الإنسانُ لأنه مخلوقٌ على هَيْئَةِ العالم، وقد أوجدَ اللهُ تعالى فيه كلَّ ما هو موجودٌ في العالمِ الكبيرِ، وقوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٣) أرادَ عالمي زمانهم، وقيل: أرادَ فضلاءَ زمانهم الذين يجري كلُّ واحدٍ منهم مجرى كلِّ عالمٍ لما أعطاهم ومكّنهم منه، وتسميتهم بذلك كتسمية إبراهيم بأمة^(٤).

﴿بَلْتَوْا﴾:

يقال: بلي الثوب بلي وبلاءً، أي: خلق، ومنه لمن قيل: سافرَ بلاءه سفرًا، أي: أبلاه السفرُ، وبلوته: اختبرته كأنني أخلقته من كثرةِ اختباري له، أي: نعرفُ حقيقته، ولذلك قيل: أبليتُ فلاناً إذا اختبرته، وسمي الغمُّ بلاءً من حيث إنه يبلي الجسم، وسمي التكليف بلاءً من أوجه:

أحدها: أنّ التكاليفَ كلّها مشاقٌّ على الأبدانِ فصارت من هذا الوجه بلاءً.

والثاني: أنها اختياراتٌ، ولهذا قال الله عزّ وجل: ﴿وَلَنَسَبُلُونَكُمْ حَتَّى تَقَعَرَّ الْمَجْهَدِينَ مِنكُمْ وَالصّٰدِقِينَ﴾^(٥).

(٢) سورة الدخان: الآيات ٣٢-٣٣.

(١) سورة البقرة: الآية ٤٧.

(٣) سورة البقرة: من الآية ٤٧.

(٤) يُنظَرُ: المُفْرَدَات: ٣٤٢-٣٤٣؛ بصائر ذوي التمييز: ٩٥/٤.

(٥) سورة مُحَمَّد. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من الآية ٣١.

والثالث: أَنْ اخْتَبَرَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْعِبَادِ تَارَةً بِالْمَسَارِّ لِشُكْرِهِمْ، وَتَارَةً بِالْمِضَارِّ لِيَضْرِبُوا، فَصَارَتْ الْمُنْحَةُ وَالْمُنْحَةُ جَمِيعاً بِلَاءً، فَالْمُنْحَةُ مُقْتَضِيَةٌ لِلصَّبْرِ وَالْمُنْحَةُ مُقْتَضِيَةٌ لِلشُّكْرِ، وَالْقِيَامُ بِحَقْوِقِ الصَّبْرِ أَيْسَرُ مِنَ الْقِيَامِ بِحَقْوِقِ الشُّكْرِ، فَصَارَتْ الْمُنْحَةُ أَعْظَمَ الْبَلَاءَيْنِ. وَالبلاء في هذه الآية رَاجِعٌ إِلَى الْأَمْرَيْنِ^(١).

﴿مُبَيَّنٌ﴾:

يُقَالُ: بَانَ وَاسْتَبَانَ وَتَبَيَّنَ وَقَدِ بَيَّنْتُهُ. وَيُقَالُ: آيَةٌ مُبَيَّنَةٌ اِغْتِبَارًا بِمَنْ بَيْنَهَا وَآيَةٌ مُبَيَّنَةٌ آيَاتٌ مُبَيَّنَاتٌ وَمُبَيِّنَاتٌ، وَالبَيِّنَةُ الدَّلَالَةُ الْوَاضِحَةُ عَقْلِيَّةٌ كَانَتْ أَوْ مَحْسُوسَةً. وَالبَيَانُ الْكَشْفُ عَنِ الشَّيْءِ وَهُوَ أَعْمٌ مِنَ النُّطْقِ مُخْتَصٌّ بِالْإِنْسَانِ وَيُسَمَّى مَا يُبَيِّنُ بِهِ بَيَانًا^(٢).

القراءات:

﴿بَلَكُوا﴾:

قرأ حمزة، وهشام عند الوقوف باثني عشر وجهاً^(٣).

بعض الأوجه الإعرابية:

﴿عَلَى عَلِيٍّ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾:

(علم) مصدر لم يذكر فاعله، و(على) بمعنى مع، أي: مع علمنا بأنهم يزيفون، وتفرد منهم الفرطات، فليس معناها معنى (على) في قوله: (على العالمين)، ولذلك تعلقا بفعل واحد لما اختلف المدلول (على علم): حال، إما من الفاعل، أو من المفعول. و (على العالمين) متعلقان بـ(اخترناهم)، أو لكثرة الأنبياء فيهم^(٤).

المعنى العام:

﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَا لَهُمْ﴾:

أي اصطفيناهم وشرفناهم، يعني بني إسرائيل^(٥).

﴿عَلَى عَلِيٍّ﴾:

(١) يُنظَرُ: الْمُفْرَدَاتُ: ٦١؛ لِسَانُ الْعَرَبِ: مَادَّةُ (بلا) ١٤/٨٤؛ بصائر ذوي التمييز ٢/٢٧٤.

(٢) معاني القرآن للنحاس: ١/١٥٣؛ المفردات: ٦٧.

(٣) إتحاف فضلاء البشر: ٣٨٨.

(٤) يُنظَرُ: الْبَحْرُ الْمُحِيطُ: ٣٩/٨؛ إغراب القرآن الكريم وبيانه: ١٢٧/٧.

(٥) يُنظَرُ: زَادَ الْمَسِيرُ: ٣٤٧/٧؛ أنوار التنزيل: ١٦٢/٥؛ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ: ٣٩/٨؛ رُوحُ الْمَعَانِي:

اختلفت أقوال المفسرين في ذلك على خمسة أقوال :

قيل : على علم منهم، وفضل فيهم، فاخترناهم للنبوات والرسالات.
 وقيل : على علم منا، أي : عالمين بمكان الخيرة، وبأنهم أحقأ بأن يختاروا.
 وقيل : على علم منا بما يصدر من العدل والإحسان والعلم والإيمان، بأنهم
 يزيفون، وتفرد منهم الهنات في بعض الأموال.
 وقيل : اخترناهم بهذا الإنجاء، وهذه النعم على سابق علم لنا فيهم
 وخصصناهم بذلك دون العالم.

وقيل : لأجل علم فيهم، وتعقب أنه ركيك ؛ لأن تنكير العلم لا يصادف
 محمداً وأجيب بأنه للتعظيم ويحسن اعتباره علة للاختيار^(١).

﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾:

أي عالمي زمانهم، كما قال مجاهد وقتادة فالتعريف للعهد أو الاستغراق
 العرفي فلا يلزم تفضيلهم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم خير أمة
 أخرجت للناس ؛ ولأن أمة مُحَمَّد - صلى الله عليه وسلم - مفضلة عليهم.

وقيل : على العالمين عام لكثرة الأنبياء فيهم، وهذا خاص بهم ليس لغيرهم.
 وكان الاختيار من هذه الجهة، لأن أمة مُحَمَّد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أفضل.

وقيل : المراد اخترناهم للإيحاء على الوجه الذي وقع، وخصصناهم به دون
 العالمين، وليس بشيء^(٢).

﴿وَأَيَّنَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ﴾:

أي المعجزات الظاهرة في قوم فرعون كانفلاق البحر، وتظليل الغمام، وإنزال
 المن والسلوى إلى غير ذلك مما لم يظهرها لغيرهم.

﴿مَا فِيهِ بَلَكُوًّا مُّبِينٌ﴾: أي اختبار بالنعم ظاهر، أو الابتلاء بالنعم كقوله
 تعالى : ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾^{(٣)(٤)}.

(١) يُنظَرُ: جَامِعُ الْبَيَانِ: زَادَ الْمَسِيرُ: ٣٤٧/٧؛ أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ: ١٦٢/٥؛ الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ:

١٤٢/١٦؛ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ: ٣٩/٨؛ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ: ١٤٤/٤؛ رُوحُ الْمَعَانِي: ١٢٥/٢٥.

(٢) يُنظَرُ: زَادَ الْمَسِيرُ: ٣٤٧/٧؛ أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ: ١٦٢/٥؛ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ: ٣٩/٨؛ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ

الْعَظِيمِ: ١٤٤/٤؛ رُوحُ الْمَعَانِي: ١٢٥/٢٥.

(٣) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ: مِنَ الْآيَةِ ٣٥.

(٤) يُنظَرُ: زَادَ الْمَسِيرُ: ٣٤٧/٧؛ أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ: ١٦٢/٥؛ الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ: ١٤٢/١٦؛

الْبَحْرُ الْمُحِيطُ: ٣٩/٨؛ رُوحُ الْمَعَانِي: ١٢٥/٢٥.

وفي (فيه) إشارة إلى أن الكلام في كفار قريش، وذكر قصة فرعون وقومه استطرادي للدلالة، على أنهم مثلهم في الإصرار على الضلالة والإنذار، وفي اسم الإشارة تحقير لهم^(١).

ما يستفاد من الآيتين :

الدلالة التي يمكن الاستفادة منها هنا أن تفضيل بني إسرائيل محمول على أمور محتملة، أفضلها احتمالاً أنهم كانوا أحقأ بالأفضلية في زمنهم، بالمقارنة مع غيرهم من معاصريهم من الأمم والأقوام الأخرى، وهذه أفضلية نسبية، إذ أن الفضيلة مقرونة بزمن الخطاب، وهو الزمن الذي كان فيه موسى - عَلَيْهِ السَّلَام - بينهم.

أما على الأقوال الأخرى من كثرة وجود الأنبياء - عَلَيْهِم السَّلَام - فيهم، فهذا مما لا فخر لهم فيه، فكثرة الأنبياء لا تدل على صلاح الأمة، بل قد يكون خلافه هو الصحيح، لكثرة مشاحتهم للأنبياء وما أقدم عليه بنو إسرائيل من قتلهم الأنبياء، ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢)، وتمردهم المستمر، ومخالفاتهم يؤيد هذه الحقيقة.

وعلى افتراض أنهم كانوا أحقأ بهذه الفضيلة، ومع التذكير بأن أمة مُحَمَّد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أفضل منهم، فإن هذه الأفضلية مقرونة بما يترتب عليها من طاعة الله تعالى، وتوحيده، وعبادته، وطاعته، أما إن خولف ذلك، فإن أسباب الأفضلية منعدمة، بدليل نفي الإيمان عنهم كما في الآية السابقة.

المَبْحَثُ الثَّانِي

مسائل متفرقة

في هذا المبحث سأعرض ثلاثة مسائل متبقية، كلاً في مطلب مستقل، وهي :

المَطْلَبُ الأوَّلُ : الخيرة.

المَطْلَبُ الثَّانِي : تخير الكتاب.

المَطْلَبُ الثَّلَاثُ : تخير الفاكهة في الجنة.

(١) يُنظَرُ: رُوحُ المَعَانِي: ١٢٦/٢٥.

(٢) سورة البقرة: من الآية ٩١.

المَطْلَبُ الأوَّل

الخيرة

قال تعالى : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١٧) ﴿١﴾ .

سبب النزول :

روى العوفي عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - في قوله وربك يخلق ما يشاء ويختار قال : كانوا يجعلون لآلهتهم خير أموالهم في الجاهلية^(٢) .

قال مقاتل : نزلت بسبب ما تكلمت به قريش من استغراب أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - وقول الوليد بن المغيرة : ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (٣١) ﴿٣﴾ (٤) .

تحليل الألفاظ :

﴿الْخِيَرَةُ﴾ :

الخير ضد الشر، تقول منه : خِرتَ يا رجل . فأنت خائرٌ وخيرٌ . وخار الله لك : أي أعطاك ما هو خيرٌ لك . والخيرة بسكون الياء : الاسم منه . فأما بالفتح فهي الاسم ، من قولك : اختاره الله ، ومحمدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خيرة الله من خلقه . يقال بالفتح والسكون . والاستخارة طلب الخيرة في الشيء ، وهو استفعالٌ منه ، يقال : استخِرَ الله يخِرُ لك^(٥) .

﴿سُبْحَانَ﴾ :

السَّبْحُ : المرُّ السَّريْعُ في الماءِ وفي الهواءِ ، يُقَالُ : سَبَحَ سَبْحاً وَسَبَّاحَةً ، وَاسْتُعِيرَ لِمَرِّ النُّجُومِ فِي الْفَلَكِ ، وَلِجَرِيِّ الْفَرَسِ ، وَلِسُرْعَةِ الذَّهَابِ فِي الْعَمَلِ . وَالتَّسْبِيحُ : تَنْزِيهِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَضْلُهُ الْمَرُّ السَّريْعُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَجُعِلَ ذَلِكَ فِي فِعْلِ الْخَيْرِ ، كَمَا جُعِلَ الْإِبْعَادُ فِي الشَّرِّ ، فَقِيلَ : أَبْعَدَهُ اللَّهُ ، وَجُعِلَ التَّسْبِيحُ عَاماً فِي الْعِبَادَاتِ قَوْلاً كَانَ أَوْ فِعْلاً أَوْ نِيَّةً . وَالسُّبُوحُ الْقُدُّوسُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَيْسَ

(١) سورة القصص : الآية ٦٨ .

(٢) جامع البيان : ٢٠ / ١٠٠ ؛ زاد المسير : ٢٣٧ / ٦ .

(٣) سورة الزخرف : الآية ٣١ .

(٤) زاد المسير : ٦ / ٣٢٧ ؛ البحر المحيط : ٧ / ١٣٠ .

(٥) ينظر : المفردات : ١٦٠ ؛ بصائر ذوي التمييز : ٧٤ / ٢ .

في كلامهم فَعُولٌ سِوَاهُمَا، وقد يُفْتَحَانِ نَحْوُ كَلُوبٍ وَسَمُورٍ. والسُّبْحَةُ التَّسْبِيحُ وقد يُقَالُ لِلْحَرَزَاتِ الَّتِي بِهَا يُسَبَّحُ سُبْحَةً^(١).

﴿وَتَعْلَى﴾:

العُلُوُّ ضِدُّ السُّفْلِ، والعُلُوِّيُّ والسُّفْلِيُّ المنسُوبُ إليهما، والعُلُوُّ الارتفاعُ وقد عَلَا يَعْلُو عَلْوًا وهو عالٍ، وَعَلَى يَعْلَى عَلًّا فهو عَلِيٌّ، فَعَلَا بِالْفَتْحِ فِي الْأَمْكِنَةِ وَالْأَجْسَامِ أَكْثَرُ.

والعَلِيُّ هُوَ الرَّفِيعُ الْقَدْرُ مِنْ عَلِيٍّ، وإذا وُصِفَ اللَّهُ تعالى به، فَمَعْنَاهُ يَعْلُو أَنْ يُحِيطَ بِهِ وَضْفُ الْوَاصِفِينَ بَلْ عِلْمُ الْعَارِفِينَ. وَعَلَى ذَلِكَ يَقَالُ تعالى - كما في هذه الآية - وَتَخْصِيصُ لَفْظِ التَّفَاعُلِ لِمُبَالَغَةِ ذَلِكَ مِنْهُ لَا عَلَى سَبِيلِ التَّكْلِيفِ كما يَكُونُ مِنَ الْبَشَرِ، وَقَالَ عز وجل: ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيْرًا﴾^(٢)، فقوله: عَلُوًّا لَيْسَ بِمَصْدَرٍ تعالى^(٣).

القراءات :

﴿الْخَيْرَةُ سُبْحٰنَ﴾:

قرأ أبو عمرو بالإدغام الكبير^(٤).

﴿وَتَعْلَى﴾:

قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وورش بالإمالة^(٥).

قرأ الأزرق بالتقليل^(٦).

بعض الأوجه الإعرابية :

﴿وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحٰنَ اللَّهِ وَتَعْلَىٰ عَمَّا

يُشْرِكُونَ﴾^(٧)

الواو استثنائية، و(ربك) مبتدأ، وجملة (يخلق) خبر، و(ما) مفعول به، و(يشاء) صلة، و(يختار) عطف على (يخلق)، و(ما) نافية، و(كان) فعل ماضي ناقص، و(لهم) خبرها المقدم، و(الخيرة) اسمها المؤخر، والجملة مفسرة؛ لأنها

(١) يُنْظَرُ: جمهرة اللغة ٣/٣٩٧؛ الْمُفْرَدَاتُ: ٢٢١؛ غريب القرآن لابن قتيبة: ٣٧٤.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٤٣.

(٣) المجمل ٣/٦٢٥؛ الْمُفْرَدَاتُ: ٣٤٥؛ الأفعال للسرسقطي ١/٢٠٤؛ بصائر ذوي التمييز: ٩٧/٤.

(٤) غَيْثُ النَّفْعِ: ٣١٧.

(٥) إِتْحَافُ فَضْلَاءِ الْبَشَرِ: ٣٤٤؛ غَيْثُ النَّفْعِ: ٣١٧.

(٦) إِتْحَافُ فَضْلَاءِ الْبَشَرِ: ٣٤٤.

مقررة لما قبلها، ويجوز أن تكون مستأنفة. وقيل : إن (ما) مصدرية، أي : يختار اختيارهم، والمصدر واقع موقع المفعول، أي : مختارهم، وقيل : إن (ما) موصولة بمعنى الذي، والعائد محذوف، أي : ما كان لهم الخيرة فيه. وقيل : إن (كان) تامة، وجملة (لهم الخيرة) كلام مستأنف، و (سبحان الله) مفعول مطلق لفعل محذوف، و (تعالى) فعل ماضٍ، (هو) و (عما) متعلقان بـ(تعالى)، وجملة (يشركون) صلة^(١).

المعنى العام :

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ :

أي ما يشاء فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فالأمور كلها خيرا وشرا بيده ومرجعها إليه^(٢).

﴿مَا كَانَ لَهمُ الْخَيْرَةُ﴾ :

نفي على أصح القولين كقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ رِسْولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(٣).

وقد اختار ابن جرير أن (ما) ههنا بمعنى الذي، تقديره : ويختار الذي لهم فيه خيرة ؛ يعني : والله أعلم خيرة الله لهم، أي : لمصلحتهم^(٤).

وقد احتج بهذا المسلك طائفة المعتزلة على وجوب مراعاة الأصح^(٥).

والصحيح أنها نافية كما نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وغيره أيضاً، فإن المقام في بيان انفرادة تعالى بالخلق والتقدير والاختيار، وإنه لا نظير له في ذلك^(٦)، ولهذا قال :

﴿سَبَّحَنَ اللَّهُ وَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ :

أي : من الأصنام والأنداد التي لا تخلق ولا تختار شيئاً .

ما يستفاد من الآية :

الآية تقرر المشيئة الإلهية في الخلق والاختيار، وإنَّ ما شاء الله كان، وما لم

(١) إغراب القرآن الكريم وبيانه : ٦٤٢/٥ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٣٩٨/٣ .

(٣) سورة الأحزاب : من الآية ٣٦ .

(٤) جامع البيان : ١٠٠/٢٠ .

(٥) الكشاف : ١٨٩/٣ .

(٦) تفسير القرآن العظيم : ٣٩٨/٣ .

يشأ لم يكن، فهو الخالق الواحد المتصرف في ملكه، ولا يصح فعل إرادة دون إرادته.

المَظْلَبُ الثَّانِي

تخير الكتاب

يقول تعالى في إفحامه للمعاندين: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِنَّ مَا تَخْتَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ (١).

تحليل الألفاظ :

الْكِتَابُ :

الكتاب في الأضل مَصْدَرٌ ثم سُمِّيَ الْمَكْتُوبُ فِيهِ كِتَابًا، وَالْكِتَابُ فِي الْأَضْلِ اسْمٌ لِلصَّحِيفَةِ مع الْمَكْتُوبِ فِيهِ، وَيُعْبَرُ عَنِ الْإثْبَاتِ وَالتَّقْدِيرِ وَالْإِجَابِ وَالْفَرْضِ وَالْعَزْمِ بِالْكِتَابَةِ، وَاشْتِقَاقُهَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْكِتَابَةِ الَّتِي هِيَ الْإِجَابُ (٢).

تَدْرُسُونَ :

دَرَسَ الدَّارُ مَعْنَاهُ : بَقِيَ أَثَرُهَا، وَبَقَاءُ الْأَثَرِ يَقْتَضِي انْمِحَاءَهُ فِي نَفْسِهِ، فَلِذَلِكَ فَسَّرَ الدُّرُوسُ بِالانْمِحَاءِ، وَكَذَا دَرَسَ الْكِتَابُ، وَدَرَسْتُ الْعِلْمَ تَنَاوَلْتُ أَثَرَهُ بِالْحَفْظِ. وَلَمَّا كَانَ تَنَاوُلُ ذَلِكَ بِمُدَاوَمَةِ الْقِرَاءَةِ غُبْرٌ عَنِ إِدَامَةِ الْقِرَاءَةِ بِالذُّرْسِ، وَقِيلَ : وَدَرَسُوا مَا فِيهِ، تَرَكُوا الْعَمَلَ بِهِ مِنْ قَوْلِهِمْ : دَرَسَ الْقَوْمُ الْمَكَانَ، أَي : أَبْلَوْا أَثَرَهُ، وَالدَّرَاسُ : الْمُدَارَسَةُ : وَدَرَسْتُهُ إِيَاهُ وَأَدْرَسْتُهُ ؛ وَالْمِجْدِرَاسُ وَالْمِجْدَرَسُ : الْمَوْضِعُ الَّذِي يُدْرَسُ فِيهِ. وَالْمِجْدَرَسُ : الْكِتَابُ (٣).

القراءات :

﴿إِنَّ لَكُمْ﴾ :

قرأ الحسن بهمزة ممدودة على الاستفهام (٤).

قرأ الأعرج : (إِنَّ) (٥).

قرأ طلحة، والضحاك : (أَنَّ) (٦).

(١) سورة القلم: الآيتان ٣٧-٣٨.

(٢) ينظر المفردات: ٤٢٣؛ التبيان في تفسير غريب القرآن: ١٣٢.

(٣) الْمُفْرَدَاتُ: ١٦٧؛ لِسَانُ الْعَرَبِ: مَادَّةُ (دَرَسَ) ٦/٨٠.

(٤) إتحاف فضلاء البشر: ٤٢١. (٥) البخر المُحِيط: ٣١٥/٨.

(٦) البخر المُحِيط: ٣١٥/٨.

قرأ الأعرج : (أين)^(١).

﴿لَمَّا تَخَيَّرُونَ﴾

قرأ البزي : (لما تَخَيَّرُونَ)^(٢).

بعض الأوجه الإعرابية :

(أم) حرف عطف للإضراب الانتقالي، والهمزة التي في ضمنها للاستفهام الإنكاري التوبيخي، و(لَكُمْ) خبر مقدم، و(كِتَابٌ) مبتدأ مؤخر، و(فِيهِ) متعلقان بـ(تَدْرُسُونَ) و(تَدْرُسُونَ) فعل مضارع مرفوع وفاعل، وجملة (تدرسون) حالية، أو مستأنفة^(٣).

(إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ) الجملة مفعول به لـ(تدرسون) ؛ لأنها هي المدروسة، وكان الظاهر فتح همزة (أَنْ) لكن لما جاء باللام المختصة المكسورة كسرت، وعلقت الفعل عن العمل في لفظة الجملة، ودخله التعليق، وأن الدرس من أفعال القلوب لتضمنه معنى الحكم، و(لكم) خبر (أَنْ) المقدم، وفيه حال، واللام المزحلقة جاء بها للتأكيد و(ما) اسم (إِنْ) المؤخر، وجملة (تخَيَّرُونَ) صلة، وأصل (تخَيَّرُونَ) : تتخَيَّرُونَ، بمعنى : تختارون^(٤).

وضمير (فيه) على الأول للكتاب، وأعيد للتأكيد، وعلى هذا يعود لأمرهم، أو للحكم، فيكون محصل ما خط في الكتاب ان الحكم، أو الأمر مفوض لهم فسقط قول من قال : إن لفظ (فيه) لا يساعده للاستغناء بـ(فيه)، أو لا من غير حاجة إلى جعل ضمير (فيه) ليوم القيامة بقرينة المقام، أو للمكان المدلول عليه بقوله تعالى : (عند ربهم) وعلى الاستئناف هو للحكم أيضاً^(٥).

وجوز الوقف على (تدرسون)، على أن قوله تعالى : (إن لكم) الخ، استئناف على معنى أن كان لكم كتاب فلکم فيه ما تتخَيَّرُونَ^(٦)، والظاهر أن (أم لكم) الخ،

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٢٤٧/١٨.

(٢) يُنظَرُ: النَّشْرُ فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ: ٢/ ٢٣٢-٢٣٣؛ إِتْحَافٌ فُضَّلَاءِ الْبَشَرِ: ٤٢١؛ غَيْثُ النَّفْعِ: ٣٧٢.

(٣) يُنظَرُ: الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ: ٢٤٧/١٨؛ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ: ٣١٥/٨؛ إِغْرَابُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَبَيَانُهُ: ٣٧/٨.

(٤) يُنظَرُ: الْكَشَافُ: ٤/ ١٤٤؛ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ: ٣١٥/٨؛ إِغْرَابُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَبَيَانُهُ: ٣٧/٨.

(٥) يُنظَرُ: الْبَحْرُ الْمُحِيطُ: ٣١٥/٨. الدر المصون: ٦/ ٣٥٧. اللباب في علوم الكتاب: ١٩/

٢٩٩؛ رُوحُ الْمَعَانِي: ٣٣/٢٩.

(٦) حاشية الشهاب: ٨/ ٣٢١.

مقابل لما قبله نظراً لحاصل المعنى، إذ محصله: أفسد عقلكم حتى حكمتم بهذا أم جاءكم كتاب فيه تخييركم وتفويض الأمر إليكم^(١).

المعنى العام:

بعد أن تعجب القرآن الكريم من حكم المشركين واستبعادهم للقرآن وبين أن هذا القول لا يصدر من عاقل بل من خلل الفكر، وفساد الرأي. قال لهم: (أم لكم كتاب) نازل من السماء (فيه)، أي: في الكتاب (تدرسون)، أي: تقرأون فيه^(٢).

وقوله تعالى: (إن لكم فيه لما تخيرون)، أي: للذي تختارونه وتستهون به. يقال: تخير الشيء، واختاره: أخذ خيره. وشاع في أخذ ما يريده مطلقاً مفعول (تدرسون)، إذ هو المدروس، فهو واقع موقع المفرد. وأصله أن لكم فيه ما تخيرون بفتح همزة (أن) وترك اللام في خبرها، فلما جيء باللام كسرت الهمزة، وعلق الفعل عن العمل، ومن هنا قيل: إنه لا بد من تضمين (تدرسون) معنى العلم ليجري فيه العمل في الجمل والتعليق^(٣).

وجوز أن يكون هذا حكاية للمدرس كما هو عليه، فيكون بعينه لفظ الكتاب من غير تحويل من الفتح للكسر^(٤).

المطلب الثالث

تخير الفاكة في الجنة

وصف الله تعالى ما عليه أهل الجنة في سورة الواقعة، وعند ذكر ما عليه السابقون من نعيم ورد قوله تعالى: ﴿وَفَلَكِهِمْ مِمَّا يَشْتَرُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ وَخَيْرِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَرُونَ ﴿٢١﴾^(٥).

تحليل الألفاظ:

﴿وَفَلَكِهِمْ﴾:

الفاكِهَةُ: قيل هي الثمار كلها، وقيل: بل هي الثمار ما عدا العنب والرمان. وقائل هذا كأنه نظر إلى اختصاصيهما بالذكر، وعظفهما على الفاكِهَةِ، والفاكِهَةُ

(١) رُوحِ المَعَانِي: ٣٣/٢٩.

(٢) يُنظَرُ: حاشية الشهاب: ٨ / ٣٢١؛ رُوحِ المَعَانِي: ٣٣/٢٩.

(٣) ينظر: الدر المصون: ٦ / ٣٥٧. اللباب في علوم الكتاب: ١٩ / ٢٩٦. حاشية الشهاب: ٨ / ٢٣١.

(٤) رُوحِ المَعَانِي: ٣٣/٢٩.

(٥) سورة الواقعة: الآيتان ٢٠ - ٢١.

حَدِيثُ ذَوِي الْأُنْسِ، وَقَوْلُهُ: ﴿فَلْتَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾^(١) قِيلَ: تَتَعَاطَوْنَ الْفُكَاهَةَ، وَقِيلَ: تَتَنَاوَلُونَ الْفَاكِهَةَ^(٢).

القراءات:

﴿وَفَلْتَلْتُمْ﴾:

قرأ زيد بن علي: (وفاكهة)^(٣).

﴿وَلْتَلْتُمْ طَيْرِي﴾:

قرأ زيد بن علي: (ولحم)^(٤).

وقرئ - دون نسبة - ولحوم^(٥).

بعض الأوجه الإعرابية:

﴿وَفَلْتَلْتُمْ مِمَّا يَنْتَحِرُونَ﴾^(٦) عطف على ما قبله وجملة (يتخبرون) صلة، ﴿وَلْتَلْتُمْ طَيْرِي مِمَّا يَنْتَهُونَ﴾^(٧) عطف على ما تقدم أيضًا^(٨).

المعنى العام:

﴿وَفَلْتَلْتُمْ مِمَّا يَنْتَحِرُونَ﴾^(٩)، أي: يأخذون خيره وأفضله. والمراد مما يرضونه ﴿وَلْتَلْتُمْ طَيْرِي مِمَّا يَنْتَهُونَ﴾^(١٠) مما تميل نفوسهم إليه وترغب فيه.

والظاهر أن (فاكهة)، (ولحم) معطوفان على (أكواب)، فتفيد الآية أن الولدان يطوفون بهما عليهم، واستشكل بأنه قد جاء في الآثار: أن فاكهة الجنة ينالها القائم، والقاعد، والنائم. وعن مجاهد: أنها دانية من أربابها، فيتناولونها متكئين، فإذا اضطجعوا نزلت بازاء أفواههم فيتناولونها مضطجعين^(١١).

وأن الرجل من أهل الجنة يشتهي الطير من طيور الجنة، فيقع في يده مقلباً نضجاً، وقد روي هذا عن أبي أمامة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -^(١٢)

وأخرج عن ميمونة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - مرفوعاً: ((أن الرجل ليشتهي الطير في

(١) سورة الواقعة: من الآية ٦٥.

(٢) يُنظَرُ: الْمُفْرَدَات: ٣٨٤؛ لِسَانَ الْعَرَبِ: مَادَّةُ (فكه) ٥٢٣/١٣.

(٣) التبيان في إعراب القرآن: ٤٩٠/٩؛ الْبَحْرُ الْمُحِيط: ٢٠٦/٨.

(٤) التبيان في إعراب القرآن: ٤٩٠/٩؛ الْبَحْرُ الْمُحِيط: ٢٠٦/٨.

(٥) الْكُشَاف: ٥٤/٤.

(٦) إِعْرَابُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَبَيَانُهُ: ٣٩٦ / ٧.

(٧) ينظر جامع البيان: ٢٧ / ١٧٣. مجمع البيان: ٢٦٧ / ٩.

(٨) الدر المنثور: ١١ / ٨.

الجنة، فيجيء مثل البختي حتى يقع على خوانه لم يصبه دخان، ولم تمسه نار، فيأكل منه حتى يشبع، ثم يطير^(١).

وإذا كان الأمر، كما ذكر، استغنى عن طوافهم بالفاكهة واللحم^(٢) ؟

أجيب : بأن ذلك حالة الاجتماع والشرب، ويفعلون ذلك للإكرام ومزيد المحبة والتعظيم والاحترام، وهذا، كما يناول أحد الجلساء على خوان الآخر بعض ما عليه من الفواكه ونحوها، وإن كان ذلك قريبا منه اعتناء بشأنه وإظهارا لمحبهته والاحتفال به، وجوز أن يكون العطف على جنات النعيم^(٣).

وتقديم الفاكهة على اللحم للإشارة إلى أنهم ليسوا بحالة تقتضي تقديم اللحم، كما في الجائع، فإن حاجته إلى اللحم أشد من حاجته إلى الفاكهة، بل هم بحالة تقتضي تقديم الفاكهة واختيارها، كما في الشبعان، فإنه إلى الفاكهة أميل منه إلى اللحم^(٤).

وجوز أن يكون ذلك ؛ لأن عادة أهل الدنيا لا سيما أهل الشرب منهم تقديم الفاكهة في الأكل، وهو طبيياً مستحسن ؛ لأنها ألطف وأسرع انحداراً، أو أقل احتياجاً إلى المكث في المعدة للهضم، وقد ذكروا أن أحد أسباب الهیضة إدخال اللطيف من الطعام على الكثيف منه، ولأن الفاكهة تحرك الشهوة للأكل، واللحم يدفعها غالباً^(٥).

ويعلم من الوجه الأول وجه تخصيص التخير بالفاكهة والاشتهاء باللحم، وفيه إشارة إلى أن الفاكهة لم تزل حاضرة عندهم، وبمراى منهم دون اللحم، ووجه ذلك أنها مما تلذذ الأعين دونه^(٦).

وقيل : وجه التخصيص كثرة أنواع الفاكهة واختلاف طعومها وألوانها وأشكالها، وعدم كون اللحم كذلك، وفي التعبير بـ(يتخرون) دون يختارون، وإن تقارباً معنى إشارة لمكان صيغة التفعّل إلى أنهم يأخذون ما يكون منها في نهاية

(١) الترغيب والترهيب: ٢٩٢/٤ وقال المنذري: رواه ابن أبي الدنيا موقوفاً. فتح الباري: ٦/٣٢٤ من حديث طويل عن شهر بن حوشب، وقال ابن حجر: وفيه مقال. الدر المنثور: ٨/١١٨.

(٢) مَقَاتِيحُ الْغَيْبِ: ٢٩/١٥٢؛ رُوحُ الْمَعَانِي: ٢٧/١٣٦.

(٣) مَقَاتِيحُ الْغَيْبِ: ٢٩/١٥٢؛ رُوحُ الْمَعَانِي: ٢٧/١٣٦.

(٤) مَقَاتِيحُ الْغَيْبِ: ٢٩/١٥٣. فتح القدير: ٥/١٥٠؛ رُوحُ الْمَعَانِي: ٢٧/١٣٦.

(٥) مَقَاتِيحُ الْغَيْبِ: ٢٩/١٥٣؛ رُوحُ الْمَعَانِي: ٢٧/١٣٦.

(٦) يُنظَرُ الْمَصْدَرَانِ نَفْسَهُمَا.

الكمال، وأنهم في غاية الغنى عنها^(١).

ما يستفاد من الآية :

جاء الاختيار في هذه الآية لوصف حال أهل الجنة، وما هم عليه من نعيم، ووصف تخيرهم للفواكه إشارة - كما يبدو لي - إلى كثرتها، ووفرة أنواعها، كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهٖ مُّشَبَّهًا^(٢)﴾.

(١) مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ: ٢٩ / ١٥٣؛ رُوحُ الْمَعَانِي: ٢٧ / ١٣٦.

(٢) سورة البقرة: من الآية ٢٥.

الخاتمة

- بعد هذه الجولة في آيات مباركات اختصت بذكر الاجتباء والاختيار في القرآن الكريم، يمكن لي إيجاز أهم نتائج هذا البحث بما يأتي :
- ١ - وردت كلمة (الاجتباء) بمختلف اشتقاقاتها اللغوية في القرآن الكريم (١١) مرة.
 - ٢ - وردت كلمة (الاختيار) بمختلف اشتقاقاتها اللغوية في القرآن الكريم (٦) مرات.
 - ٣ - الاجتباء: هو تخصيص العبد بفيض إلهي يتحصّل للعبد منه أنواع من النعم بلا سعي من العبد، وذلك للأنبياء - عليهم السلام - وبغض من يقاربهم من الصديقين والشهداء.
 - ٤ - الاختيار هو القصد إلى أمر متردد بين الوجود والعدم، داخل في قدرة الفاعل بترجيح أحد الجانبين على الآخر.
 - ٥ - جاء الحديث عن اجتباء الرسل - عليهم السلام - في معرض الإفهام أن الغيب يطلعه الله تعالى على من يشاء من رسله الذين يجتبيهم، إذ أن اجتباء الرسل - عليهم السلام - أمر إلهي، وإطلاع الخلق على الغيب أمر إلهي آخر، وكلا الأمرين مما ليس لكسب الناس إليه من سبيل.
 - ٦ - إن اجتباء الأنبياء - عليهم السلام - قد يأتي مرتبطاً بالهداية التوفيقية التي لا كسب للعبد فيها.
 - ٧ - جواز اتباع الأفضل للمفضول، كاتباع موسى للخضر - عليهما السلام -.
 - ٨ - وجوب القيام بحقوق الله تعالى والاعتراف بها، وأن يكون بنو آدم على حذر دائم من هذا العدو المرابط الملازم لهم ليلاً ونهاراً.
 - ٩ - قد يترتب الاجتباء بعد مخالفة أمر إلهي، وفي هذا درس كبير لكل إنسان أن باب التوبة مفتوح لا يحول بين العبد وبينه حائل وأن الله تعالى ينعم برضاه ومواهبه على عبده إن علم منهم صدق التوبة وصدق التوجه إليه سبحانه، كما في اجتباء آدم، ويونس - عليهما السلام - بعد مخالفتهما، تعلمنا أنه بالإمكان اجتباء المؤمنين بعد وقوعهم في الذنب أيضاً، وأن الترقّي في المقامات الربانية أمر وهبي، لا يمنع

منه إلا التعرض للنفضات الإلهية.

- ١٠ - إن الاستعمال القرآني للفظة (الاجتباء) قد يأتي مغايراً في المعنى والسياق، فالاجتباء يأتي بمعنى الاختراع، أو الافتعال، أي: التكلف في الاختراع.
- ١١ - إن تفضيل بني إسرائيل الوارد في القرآن الكريم محمول على أمور محتملة، أفضلها احتمالاً أنهم كانوا أحقاء بالأفضلية في زمنهم، بالمقارنة مع غيرهم من معاصريهم من الأمم والأقوام الأخرى، وهذه أفضلية نسبية، إذ أن الأفضلية مقرونة بزمن الخطاب، وهو الزمن الذي كان فيه موسى - عَلَيْهِ السَّلَام - بينهم.
- ١٢ - على افتراض أن بني إسرائيل كانوا أحقاء بالأفضلية، فإنَّ هذه الأفضلية مقرونة بما يترتب عليها من طاعة الله تعالى، وتوحيده، وعبادته، وطاعته، أما إن خولف ذلك، فإنَّ أسباب الأفضلية منعدمة.
- ١٣ - المشيئة الإلهية هي الأساس في الخلق والاختيار، وإنَّ ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فهو الخالق الواحد المتصرف في ملكه، ولا يصح فعل إرادة دون إرادته.
- ١٤ - قد يأتي الاختيار في القرآن الكريم بمعنى خارج عن نطاق اختيار الأنبياء والرسل - عَلَيْهِم السَّلَام - أو المؤمنين، كما هو الحال في الاجتباء.
- ١٥ - الحكمة من إرسال الرسل: هو عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، وإن أصل دين الأنبياء واحد وهو الإخلاص في العبادة لله، وإن اختلفت شرائعهم.

المصادر والمراجع

- ١ - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر المسمى (متهى الأمانى والمسرات في علوم القراءات). لأحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الغنى الدمياطي الشافعي الشهير بالبناء. (ت ١١١٧هـ). الطبعة الأولى. تحقيق: د. شعبان محمد إسماعيل عالم الكتب. بيروت. ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٢ - الإتقان في علوم القرآن. لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (ت ٩١١هـ). بهامشه إعجاز القرآن للبالاني. الطبعة الثالثة. شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. مصر. ١٩٥١م.
- ٣ - أحكام القرآن. لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص. (ت ٣٧٠هـ). تحقيق محمد الصادق قمحوي. دار إحياء التراث العربي. بيروت. ١٤٠٥هـ.
- ٤ - أحكام القرآن. لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي. (ت ٢٠٤هـ). جمعه الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي النيسابوري. (ت ٤٥٨هـ) عرف الكتاب وكتب تقدمته: محمد زاهد بن الحسن الكوثري. (ت ١٣٧١هـ). حققه: عبد الغنى عبد الخالق. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٩٧٥م.
- ٥ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. لأبي السعود محمد بن محمد بن محمد العمادي. (ت ٩٨٢هـ). دار إحياء التراث العربي. بيروت. (د.ت).
- ٦ - أساس البلاغة. لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري. (ت ٥٣٨هـ). تحقيق: عبد الرحيم محمود. مطبعة أرفاند بالقاهرة الطبعة الأولى. ١٩٥٣م. وهي طبعة مصورة على طبعة دار الكتب المصرية التي طبعت سنة ١٣٤١هـ.
- ٧ - أصول الدين. لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي (ت ٤٢٩هـ). الطبعة الأولى. مطبعة الدولة. إستانبول. ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م.
- ٨ - إعراب القرآن الكريم وبيانه. لمحيي الدين درويش. الطبعة السابعة. دار اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، ودار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق - بيروت. ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

- ٩ - الأعلام. تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. لخير الدين الزركلي الدمشقي. (ت ١٤١٠هـ - ١٩٧٦م). الطبعة الخامسة. دار العلم للملايين. بيروت. ١٩٧٩م.
- ١٠ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي. لأبي سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي الشافعي. (ت ٦٨٥هـ). تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة. دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت. ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ١١ - الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) على مختصر تلخيص المفتاح. لأبي عبد الله جلال الدين بن سعد الدين أبي محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني. (ت ٧٣٩هـ). الطبعة الرابعة. دار إحياء العلوم. بيروت. ١٩٩٨م.
- ١٢ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب. لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي. (ت ٤٦٣هـ). تحقيق: علي محمد البجاوي. الطبعة الأولى. دار الجيل. بيروت. ١٤١٢هـ.
- ١٣ - الاشتقاق. لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي القحطاني. (ت ٣٢١هـ). تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون. مطبعة السنة المحمدية. القاهرة. ١٩٨٥م.
- ١٤ - البحر المحيط. لأبي عبد الله أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي. الشهير بابن حيان وأبي حيان. (ت ٧٤٥هـ). مطبعة السعادة. مصر. ١٣٢٩هـ.
- ١٥ - بدائع الفوائد. لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بـ (ابن قيم الجوزية). (ت ٧٥١هـ). تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، وعادل عبد الحميد العدوي. الطبعة الأولى. مكتبة نزار مصطفى الباز. مكة المكرمة. ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ١٦ - البزهان في علوم القرآن. لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي. (ت ٧٩٤هـ). تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم. دار المعرفة. بيروت. ١٣٩١هـ.
- ١٧ - بصائر ذوي التمييز. لأبي الطاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي

- الصَّدِيقِي الشيرازي. (ت ٨١٧هـ). تَحْقِيق : مُحَمَّد عَلِي النجار. القاهرة. ١٩٦٤هـ - ١٩٦٩م.
- ١٨ - بُغْيَةُ الوُعَاة فِي طبقات اللغويين والنحاة. لجلال الدِّين عَبْد الرَّحْمَنِ الشَّيْطُوبِي. (ت ٩١١هـ). تَحْقِيق : مُحَمَّد أَبِي الْفَضْلِ إِبْرَاهِيم. الطَّبَعَةُ الْأُولَى. مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر. سنة ١٩٦٤م.
- ١٩ - البلاغة العربية (المعاني والبيان والبدیع). د. أحمد مطلوب. جامعة بغداد. ١٩٨٠م.
- ٢٠ - تأويل مشكل القرآن. لأبي مُحَمَّد عَبْد اللَّهِ بن مسلم المعروف بابن قُتَيْبَةَ. (ت ٢٧٦هـ). تَحْقِيق : أَحْمَد صقر. الطَّبَعَةُ الثَّالِثَةُ. المكتبة العلمية. المدينة المنورة. ١٩٨١م.
- ٢١ - تاج العرُوس من جواهر القاموس. لمحبي الدِّين أَبِي الْفَضْلِ مُحَمَّد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفيّ الزبيديّ. (ت ١٢٠٥هـ). مكتبة الحياة. بيروت. (د. ت).
- ٢٢ - التبيان في إعراب القرآن. لأبي البقاء محب الدِّين عَبْد اللَّهِ بن أَبِي عَبْد اللَّهِ الحسين بن أَبِي البقاء عَبْد اللَّهِ بن الحسين العكبري. (ت ٦١٦هـ). تَحْقِيق : علي مُحَمَّد البجاوي. دار إحياء الكتب العربيّة (د. ت).
- ٢٣ - التبيان في تفسير غريب القرآن. لشهاب الدِّين أَحْمَد بن مُحَمَّد الهائم المصري (ت ٨١٥هـ) تَحْقِيق : د. فتحي أنور الدابولي. الطَّبَعَةُ الْأُولَى. دار الصحابة للتراث بطنطا. القاهرة. ١٩٩٢م.
- ٢٤ - التحديد في الإتيان والتجويد، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ)، تحقيق غانم قدوري حمد. الطَّبَعَةُ الْأُولَى. دار الأنبار. الرمادي. ١٤٠٧هـ - ١٩٨٨م.
- ٢٥ - تذكرة الحفاظ. لأبي عَبْد اللَّهِ شمس الدِّين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عثمان بن قايماز التُّرْكَمَانِي الدَّهَبِي. (ت ٧٤٨هـ). دار إحياء التراث العربيّ. بيروت (د. ت). وهي الطَّبَعَةُ المصورة عَلَى الطَّبَعَةُ الثَّالِثَةُ بدائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن. ١٣٧٥هـ.
- ٢٦ - تفسیر الجلالين. لِمُحَمَّد بن أَحْمَد المحلي (ت ٨٦٤هـ)، وَعَبْد الرَّحْمَنِ بن أَبِي بَكْرٍ السَّيْطُوبِي. (ت ٩١١هـ). الطَّبَعَةُ الْأُولَى. دار الحديث. القاهرة. (د. ت).
- ٢٧ - تفسير القرآن العظيم. لأبي الفداء عماد الدِّين إِسْمَاعِيل بن عُمَر بن كَثِير القُرْشِي الدَّمَشْقِي. (ت ٧٧٤هـ). دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت. ١٤٠١هـ.

- ٢٨ - تَفْسِيرُ غَرِيبِ الْقُرْآنِ. لأبي مُحَمَّدَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مُسْلِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ الدِّينَوْرِيِّ. (ت ٢٧٦هـ). تحقيق: أَحْمَدُ صَقْر. مطبعة البابي الحلبي. مصر. ١٣٢٩هـ.
- ٢٩ - تفسير مجاهد. لأبي الحجاج مجاهد بن جبر المخزومي التابعي. (ت ١٠٤ هـ). تحقيق: عَبْدُ الرَّحْمَنِ الطَّاهِرِ مُحَمَّدَ السُّورْتِي. المنشورات العلمية. بَيْرُوت. (د. ت).
- ٣٠ - تنبيه الوسنان إلى علم البيان. للدكتور عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِي. دار الأنبار للطباعة والنشر. بَغْدَاد. ١٩٩٧م.
- ٣١ - تَهْدِيبُ التَّهْدِيبِ. لأبي الْفَضْلِ أَحْمَدَ بنِ عَلِيِّ بنِ حَجْرِ الْعَسْقَلَانِيِّ الشَّافِعِيِّ. (ت ٨٥٢هـ). الطَّبَعَةُ الْأُولَى. دار الفكر للطباعة والنشر. بَيْرُوت. ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٣٢ - التَّوْقِيفُ عَلَى مَهَمَاتِ التَّعَارِيفِ. لِمُحَمَّدَ عَبْدِ الرَّوُوفِ الْمَنَاوِيِّ. (ت ١٠٣١هـ). تحقيق: د. مُحَمَّدَ رِضْوَانَ الدَّايَةِ. الطَّبَعَةُ الْأُولَى. دار الفكر المعاصر - دمشق، ودار الفكر للطباعة والنشر. - بَيْرُوت. ١٤١٠هـ.
- ٣٣ - التيسير في القراءات السبع. لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني. (ت ٤٤٤هـ). تحقيق: أوتو برترزل. دار الكتب العلمية. بَيْرُوت ١٩٩٦م.
- ٣٤ - الْجَمَاعِعُ. لِمَعْمَرِ بنِ رَاشِدِ الْأَزْدِيِّ. (ت ١٥١هـ). تحقيق: حبيب الأعظمي. المكتب الإسلامي. الطَّبَعَةُ الثَّانِيَّةُ. (منشور بهامش كِتَابِ الْمُصَنَّفِ لِلصَّنْعَانِيِّ ج ١٠). بَيْرُوت. ١٤٠٣هـ.
- ٣٥ - جَامِعُ الْبَيَانِ عَنْ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ. لأبي جعفر مُحَمَّدَ بنِ جَرِيرِ بنِ يَزِيدِ بنِ خَالِدِ الطَّبْرِيِّ. (ت ٣١٠هـ) دار الفكر للطباعة والنشر. بَيْرُوت. ١٤٠٥هـ.
- ٣٦ - الْجَمَاعِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ. لأبي عَبْدِ اللَّهِ شمس الدين مُحَمَّدَ بنِ أَحْمَدَ بنِ أَبِي بَكْرِ ابنِ فَرَحِ الْأَنْصَارِيِّ الْخَزْرَجِيِّ الْقُرْطُبِيِّ. (ت ٦٧١هـ) تحقيق: أَحْمَدُ عَبْدُ الْعَلِيمِ الْبُرْدُونِيِّ. الطَّبَعَةُ الثَّانِيَّةُ. دار الشعب. القاهرة. ١٣٧٢هـ.
- ٣٧ - جمهرة اللغة. لأبي بَكْرٍ مُحَمَّدَ بنِ الْحَسَنِ الْأَزْدِيِّ الْبَصْرِيِّ ابنِ دَرِيدِ (ت ٣٢١هـ). مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد. الدكن. ١٣٤٥هـ.
- ٣٨ - الجواب الصَّحِيحُ لِمَنْ بَدَلَ دِينَ الْمَسِيحِ. لأبي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بنِ عَبْدِ الْحَلِيمِ بنِ تَيْمِيَّةِ الْحَرَانِيِّ. (ت ٧٢٨هـ). تحقيق: د. علي حسن ناصر، ود. عَبْدُ الْعَزِيزِ إِبْرَاهِيمَ الْعَسْكَرِ، ود. حمدان مُحَمَّدَ. دار العاصمة. الرياض. ١٤١٤هـ.
- ٣٩ - الْجَوَاهِرُ الْحَسَانُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ. لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ مُحَمَّدَ بنِ مَخْلُوفِ الثَّعَالِبِيِّ.

- (ت ٦٠٨هـ). مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بَيْرُوت. (د. ت).
- ٤٠ - حجة القراءات. لأبي زرعة عَبْد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن زنجلة. (ت ٥٩٠هـ).
تَحْقِيق: سعيد الأفغاني. الطَّبَعَة الثانية. مؤسسة الرسالة. بَيْرُوت. ١٤٠٢هـ -
١٩٨٢م.
- ٤١ - الحجة في القراءات السبع. لأبي عَبْد اللَّهِ الحسين بن أَحْمَد بن خالويه. (ت
٣٧٠هـ). تَحْقِيق: د. عَبْد العال سالم مكرم. الطَّبَعَة الرابعة. دار الشروق. بَيْرُوت.
١٤٠١هـ.
- ٤٢ - حِلْيَة الأُولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم أَحْمَد بن عَبْد اللَّهِ الأَصْبَهَانِي. (ت
٤٣٠هـ). الطَّبَعَة الرابعة. دار الكِتَاب العَرَبِي. بَيْرُوت. ١٤٠٥هـ.
- ٤٣ - الخصائص. لأبي الفَتْح عثمان بن جني. (ت ٣٩٢هـ). تَحْقِيق: مُحَمَّد علي
النجار. عالم الكتب. بَيْرُوت. (د. ت).
- ٤٤ - الدرّ المصون في علوم الكِتَاب المكنون. لأبي العباس شهاب الدِّين بن يوسف
ابن السمين الحلبي. (ت ٧٥٦هـ). تَحْقِيق: الشيخ علي بن معوض، والشيخ عادل
أَحْمَد عَبْد الموجود، وجاد مخلوف جاد، وزكريا عَبْد الحميد. الطَّبَعَة الأولى. دار
الكتب العلمية. بَيْرُوت. ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ٤٥ - الدرّ المنثور. لجلال الدِّين عَبْد الرَّحْمَن بن أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِي. (ت ٩١١هـ). دار
الفكر للطباعة والنشر. بَيْرُوت. ١٩٩٣م.
- ٤٦ - درة التَّنْزِيل وغيرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في الكِتَاب العَرِيز. لأبي عَبْد
اللَّهِ مُحَمَّد بن عَبْد اللَّهِ الأَخْطِيب الإسكافي. (ت ٤٢٠هـ)، مكتبة ومطبعة مصطفى
البابي الحلبي وأولاده. مصر. ١٩٤٩م.
- ٤٧ - دقائق التَّفْسِير الجَامِع لتَفْسِير ابن تيمية. لأبي العباس أَحْمَد بن عَبْد الحلِيم بن
تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ). الطَّبَعَة الثانية. تَحْقِيق: د. مُحَمَّد السيد الجليند.
مؤسسة علوم القرآن. دمشق. ١٤٠٤هـ.
- ٤٨ - رسالة التوحيد. للشيخ مُحَمَّد عبده. دار المنار. مصر (د. ت).
- ٤٩ - روح المَعَانِي في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. لأبي الثَّنَاء شهاب الدِّين
السيد محمود بن عَبْد اللَّهِ الأَلُوسِي البَغْدَادِي. (ت ١٢٧٠هـ). دار إحياء التُّرَاث
العَرَبِي. بَيْرُوت (د. ت).

- ٥٠ - زاد المسير في علم التفسير. لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد المعروف بابن الجوزي. (ت ٥٩٧هـ). الطبعة الثالثة. المكتب الإسلامي للطباعة والنشر. بيروت. ١٤٠٤هـ - ١٩٩٠م.
- ٥١ - زاد المعاد في هذي خير العباد. لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بـ (ابن قيم الجوزية). (ت ٧٥١هـ). تحقيق: شعيب الأرنؤوط. وعبد القادر الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية. بيروت - الكويت. الطبعة الرابعة عشر. ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
- ٥٢ - الزهد وويله الرقائق. لأبي عبد الله عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي. (ت ١٨١هـ). تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. دار الكتب العلمية. بيروت. (د. ت).
- ٥٣ - سنن ابن ماجه: لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني. (ت ٢٧٣هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت. (د. ت).
- ٥٤ - سنن النسائي الكبرى. أبو عبد الله أحمد بن شعيب بن علي بن عبد الرحمن النسائي. (ت ٣٠٣هـ). تحقيق د. عبد الغفار سليمان البنداري. وسيد كسروي حسن. الطبعة الأولى. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ٥٥ - سير أعلام النبلاء. لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الذهبي. (ت ٧٤٨هـ). تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي. الطبعة التاسعة. مؤسسة الرسالة. بيروت. ١٤١٣هـ.
- ٥٦ - شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل. لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية. (ت ٧٥١هـ). تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي. دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت. ١٣٩٨هـ.
- ٥٧ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا. الطبعة الثانية. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان. ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٥٨ - صحيح البخاري. لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بزدبنة الجعفي. (١٩٤ - ٢٥٦). تقديم: أحمد محمد شاكر. دار إحياء التراث العربي. لبنان. طبعة مصورة على الطبعة السلطانية التي طبعت بالمطبعة الأميرية ببولاق مصر ١٣١١هـ - ١٣١٣هـ.
- ٥٩ - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي

- البستي. (ت ٣٥٤هـ). تَحْقِيق: شعيب الأرنؤوط الطَّبَعَة الثانية. مؤسسة الرسالة. بَيْرُوت. ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ٦٠ - صَحِيح مُسْلِم. لأبي الحسين مسلم بن الحَجَّاج القُشَيْرِي النِّسَابُورِي (ت ٢٦١هـ). تَحْقِيق: مُحَمَّد فؤاد عَبْد الباقي. دَار إِحْيَاء التُّرَاث العَرَبِي. بَيْرُوت. (د. ت).
- ٦١ - طبقات الحُفَّاط. لأبي الفُضَّل عَبْد الرَّحْمَنِ بن أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِي. (ت ٩١١هـ). الطَّبَعَة الأُولَى. دَار الكُتُب العِلْمِيَّة. بَيْرُوت. ١٤٠٣هـ.
- ٦٢ - طبقات المفسرين. لجلال الدِّين عَبْد الرَّحْمَنِ بن أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِي (ت ٩١١هـ). تَحْقِيق: علي مُحَمَّد عَمْر. الطَّبَعَة الأُولَى. مكتبة وهبة. القاهرة. ١٣٩٦هـ.
- ٦٣ - العبر في خبر من غير. لأبي عَبْد اللّهِ شمس الدِّين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عثمان بن قايماز التُّرْكَمَانِي الذَّهَبِي. (ت ٧٤٨هـ). تَحْقِيق: د. صلاح الدِّين المنجد. الطَّبَعَة الثانية. مطبعة حكومة الكويت. ١٩٤٨م.
- ٦٤ - العجائب في بيان الأسباب. لأبي الفُضَّل شهاب الدِّين أَحْمَد بن علي (ت ٨٥٢هـ). تَحْقِيق: عَبْد الحكيم مُحَمَّد الأَيْنَس. الطَّبَعَة الأُولَى. دَار ابن الجوزي. الدمام. ١٩٩٧م.
- ٦٥ - العنوان في القراءات السبع. لأبي طاهر إسماعيل بن خلف بن سعيد الأنصاري المقرئ. (ت ٤٥٥هـ). تَحْقِيق: زهير زاهد، وخليل العطية. الطَّبَعَة الثانية. عالم الكِتَاب. بَيْرُوت. لُبْنَان. ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٦٦ - العين. لأبي عَبْد الرَّحْمَنِ الخليل بن أَحْمَد الفراهيدي. (ت ١٧٥هـ). تَحْقِيق: د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي. الطَّبَعَة الأُولَى. دار الحرية للطباعة والنشر بَغْدَاد. طبعت الأجزاء من سنة ١٩٨٠ إلى ١٩٨٥م.
- ٦٧ - غرائب القرآن ورجائب الفرقان. لنظام الدِّين الحسين بن مُحَمَّد القمي النيسابوري. (ت ٧٢٨هـ). الطَّبَعَة الأُولَى. المطبعة الأميرية الكُبْرَى. بولاق، مصر. ١٣٢٩هـ. مطبوع على هامش تَفْسِير الطبري.
- ٦٨ - غَرِيب الْحَدِيث. لأبي سليمان مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن إِبراهيم الحَطَّابِي البستي. (ت ٣٨٨هـ). تَحْقِيق: عَبْد الكريم إِبراهيم العزباوي. الطَّبَعَة الأُولَى. جَامِعَة أم القرى. مكة المكرمة. ١٤٠٢هـ.
- ٦٩ - غَرِيب الْحَدِيث. لأبي عبيد القاسم بن سَلَام الهروي (ت ٢٢٤هـ) تَحْقِيق: د. مُحَمَّد عَبْد المعيد خان. الطَّبَعَة الأُولَى. دَار الكِتَاب العَرَبِي. بَيْرُوت. ١٣٩٦هـ.

- ٧٠ - غيث النفع في القراءات السبع. لعلي النوري الصفاقسي. (ت ١١١٨هـ). مطبوع
بذيل كتاب سراج القاري المُبتدِي و تذكّار المقرئ المنتهي. الطبعة الأولى.
المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٣٥٢هـ - ١٩٣٤م.
- ٧١ - الفائق في غريب الحديث. لمحمود بن عمّر الزمخشري. (ت ٥٣٨هـ). تحقيق:
علي مُحَمَّد الجاوي. ومُحمّد أبي الفضل إبراهيم. الطبعة الثانية. دار المَعْرِفة.
لُبْنان. (د. د. ت).
- ٧٢ - فتح الباري شرح صحيح البخاري. لأحمد بن علي المعروف بابن حجر
العسقلاني. (ت ٨٥٢هـ). الطبعة الأولى. دار المَعْرِفة. بيروت. ١٣٧٩هـ.
- ٧٣ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. لمُحمّد بن علي بن
مُحمّد الشوكاني. (ت ١٢٥٠هـ). دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت. (د. د. ت).
- ٧٤ - فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب. للعلامة شرف الدين الحسين بن مُحمّد
ابن عبد الله الطيبي. (ت ٧٤٣هـ). مخطوط في دار المخطوطات برقم (٢٣٨٩).
- ٧٥ - الفروق اللغوية. لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ)
ضبطه وحققه: حُسام الدين القدسي. دار الكتب العلمية. بيروت. لُبْنان. (د. د. ت).
- ٧٦ - الفصل في الملل والأهواء والنحل. لأبي مُحمّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم
الظاهري. (ت ٥٤٨هـ). مكتبة الخانجي. القاهرة. (د. د. ت).
- ٧٧ - الفهرست. لأبي الفرج مُحمّد بن أبي إسحاق النديم البغدادي. (ت ٣٨٥هـ).
الطبعة الأولى. دار المَعْرِفة. بيروت. ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- ٧٨ - القاموس المحيط. لأبي الطاهر مجد الدين مُحمّد بن يعقوب الفيروزآبادي
الصديقي الشيرازي. (ت ٨١٧هـ). مؤسسة الرسالة. بيروت. لُبْنان. (د. د. ت).
- ٧٩ - الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة. لأبي عبد الله شمس الدين
مُحمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الذهبي. (ت ٧٤٨هـ). تحقيق:
مُحمّد عوامة. الطبعة الأولى. دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علو. جدة.
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٨٠ - كتاب الأفعال. لأبي القاسم علي بن جعفر السعدي. (ت ٥١٥هـ) الطبعة الأولى.
عالم الكتب. بيروت. ١٩٨٣م.
- ٨١ - الكتاب المُصنّف في الأحاديث والآثار. لأبي بكر عبد الله بن مُحمّد بن أبي شيبة

- الكوفي. (ت ٢٣٥هـ). تحقيق: كمال يوسف الحوت الطبعة الأولى. مكتبة الرشد. الرياض. ١٤٠٩هـ.
- ٨٢ - كتاب سيبويه. لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون. الطبعة الثالثة. الناشر مكتبة الخانجي. مطبعة المدني. القاهرة. ١٩٨٨م.
- ٨٣ - كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية. لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني. (ت ٧٢٨هـ). الطبعة الثانية. تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي. مكتبة ابن تيمية. السعودية. (د. ت).
- ٨٤ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي. (ت ٥٣٨هـ). مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. مصر. ١٩٤٨م.
- ٨٥ - كشف الأسرار شرح المصنف على المنار. لحافظ الدين أبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي. (ت ٧١٠هـ). الطبعة الأولى. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٨٦ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي الشهير بحاجي خليفة وبكاتب جلبي. (ت ١٠٦٧هـ). طبع بعناية محمد شرف الدين يالتقاي، ورفعت بيلكه الكليسي. الطبعة الأولى. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٨٧ - لباب النقول في أسباب النزول. لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي. (ت ٩١١هـ). دار إحياء العلوم. بيروت (د. ت).
- ٨٨ - اللباب في علوم الكتاب. لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي. (ت ٨٨٠هـ). الطبعة الأولى. تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض. شارك في تحقيقه: د. محمد سعد رمضان حسن، ود. محمد المتولي الدسوقي الحرب. منشورات محمد علي. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٩٩٨م.
- ٨٩ - لسان العرب. لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري. (ت ٧١١هـ). الطبعة الأولى. دار صادر. بيروت. لبنان. ١٩٦٨م.
- ٩٠ - لطائف الإشارات لفنون القراءات. للإمام شهاب الدين القسطلاني. (ت ٩٢٣هـ).

- تَحْقِيق: عامر السيد عثمان، و الدكتور عَبْد الصبور شاهين. طبع المجلس العلمي للشؤون الإسلامية ١٩٧٢م.
- ٩١ - مجمع الأمثال. لأبي الفَظْل أَحْمَد بن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن إِبْرَاهِيم الميداني النيسابوري. (ت ٥١٨هـ). تَحْقِيق: مُحَمَّد محيي الدين عَبْد الحميد. دَار المَعْرِفَة. بَيْرُوت. (د. ت).
- ٩٢ - مجمع البَحْرين. لفخر الدين الطريحي. (ت ١٠٨٥هـ). تَحْقِيق أَحْمَد الحسيني. الطَّبَعَة الثانية. مكتب نشر الثقافة الإسلامية. ١٤٠٨هـ.
- ٩٣ - مجمع البلاغة. لأبي القاسم بن حسين بن مُحَمَّد المعروف بالراغب الأصفهاني. (ت ٥٠٢هـ). مكتبة الأنجلو المصرية. (د. ت).
- ٩٤ - مَجْمَع الرِّوَايِد وَمَنْبَع الفَوَايِد. لنور الدين علي بن أَبِي بَكْر الهَيْثَمِي. (ت ٨٠٧هـ). الطَّبَعَة الأُولَى. دَار الريان للتراث. بَيْرُوت، و دَار الكِتَاب العَرَبِي. القاهرة. ١٤٠٧هـ.
- ٩٥ - المجلد. لأبي الحسين أَحْمَد بن فارس بن زكريا. (ت ٣٩٥هـ) تَحْقِيق: مُحَمَّد محيي الدين عَبْد الحميد. مطبعة السعادة. مصر. ١٩٤٧م.
- ٩٦ - الْمُخْتَسَب فِي تَبْيِين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها. لأبي الفَتْح عُثْمَان بن جِئِي. (ت ٣٩٢هـ). تَحْقِيق: علي النجدي ناصف والدكتور عَبْد الحلیم النجار، والدكتور عَبْد الفتاح إسماعيل شلبي. الطَّبَعَة الأُولَى. لجنة إحياء التُّرَاث الإسلامي. القاهرة. ١٩٦٦م.
- ٩٧ - المحرر الوَجِيز فِي تَفْسِير الكِتَاب العَزِيز (المعروف بتفسير ابن عطية). لأبي مُحَمَّد عَبْد الحق ابن عطية الغرناطي الأندلسي. (ت ٥٤١هـ). تَحْقِيق: عَبْد اللّه بن إِبْرَاهِيم الأنصاري، والسيد عَبْد العال السيد إِبْرَاهِيم. الطَّبَعَة الأُولَى. مؤسسة دَار العُلُوم. الدوحة. ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٩٨ - مُخْتَار الصَّحَاح. لِمُحَمَّد بن أَبِي بَكْر بن عَبْد القادر الرازي. (توفي بعد ٦٦٦هـ). تَحْقِيق: محمود خاطر. الطَّبَعَة الأُولَى. مكتبة لَبَّان ناشرون. بَيْرُوت. ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ٩٩ - مختصر شواذ القراءات من كتاب البديع، المطبوع خطأ (مختصر شواذ القرآن). لأبي عَبْد اللّه الحسين بن أَحْمَد بن خالويه. (ت ٣٧٠هـ). عنى بنشره برجستراسر. دَار الهجرة. (د. ت).
- ١٠٠ - المخصص. لأبي الحَسَن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف

- بابن سيده. (ت ٤٥٨هـ). دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت. (د. ت).
- ١٠١ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. لأبي عبد الله مُحَمَّد بن أَبِي بَكْر بن أيوب الزرعي المعروف بـ(ابن قيم الجوزية). (ت ٧٥١هـ). تَحْقِيق : مُحَمَّد حَامِد الفقي. الطَّبْعَة الثانية. دار الكِتَاب العَرَبِيّ. بَيْرُوت. ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- ١٠٢ - مَدَارِك التَّنْزِيل وحقائق التأويل، المعروف بـتَفْسِير النسفي. لعَبْد الله بن أَحْمَد بن محمود النسفي. (ت ٧١٠هـ). دار الكِتَاب العَرَبِيّ طبع بهامش تَفْسِير الخازن. مؤسسة الرِسَالَة. بَيْرُوت. لُبَّان. (د. ت).
- ١٠٣ - المُسْتَدْرَك عَلَى الصَّحِيحَيْن. لأبي عَبْدِ اللَّهِ الحافظ مُحَمَّد بن عَبْدِ اللَّهِ الحاكم النِّسَابُورِي. (ت ٤٠٥هـ). تَحْقِيق : مصطفى عَبْد القادر عطا. الطَّبْعَة الأُولَى. دار الكتب العلمية. بَيْرُوت. ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- ١٠٤ - مشكل إِغْرَاب القُرْآن. لأبي مُحَمَّد مكي بن أَبِي طالب القيسي. (ت ٤٣٧هـ). تَحْقِيق : د. حاتم صالح الضامن. الطَّبْعَة الأُولَى. دار الحرية للطباعة. بَغْدَاد. ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- ١٠٥ - المِضْبَاح المُنِير فِي غَرِيب الشَّرْح الكَبِير. لأَحْمَد بن مُحَمَّد بن علي الفيومي المقرئ. (ت ٧٧٠هـ). تصحيح : مصطفى السقا. الطَّبْعَة الأُولَى. مطبعة مصطفى البابي الحلبي. مصر. ١٣٢٢هـ.
- ١٠٦ - معالم التَّنْزِيل المعروف بـ(تفسير البغوي). لأبي مُحَمَّد الحسين بن مسعود الفراء البغوي. (ت ٥١٦هـ). تَحْقِيق : خالد العك، ومروان سوار. الطَّبْعَة الثانية. دار المَعْرِفَة. بَيْرُوت. ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ١٠٧ - مَعَانِي القُرْآن. لأبي زَكْرِيَا يحيى بن زياد الفَرَاء. (ت ٢٠٧هـ) الجزء الأول. تَحْقِيق : أَحْمَد يوسف نجاتي، ومُحَمَّد علي النَجَّار. الطَّبْعَة الأُولَى. دار الكتب المصرية. ١٩٥٥ - ١٩٥٦م. بالقاهرة. الطَّبْعَة الثانية. تَحْقِيق ومراجعة : مُحَمَّد علي النجار. الدار المصرية للتأليف والترجمة مطابع سجل العَرَب بالقاهرة. ١٩٦٦م. الطَّبْعَة الثالثة. تَحْقِيق : الدكتور عَبْد الفتاح إِسْمَاعِيل شلبي. ومراجعة علي النجدي ناصف. مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٧٢ - ١٩٧٣م.
- ١٠٨ - مَعَانِي القُرْآن الكريم. لأبي جعفر أَحْمَد بن مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل المرادي النحاس. (ت ٣٣٨هـ). تَحْقِيق : مُحَمَّد علي الصابوني. الطَّبْعَة الأُولَى. جامعة أم القرى. مكة المكرمة. ١٤٠٩هـ.

- ١٠٩ - مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابِهِ. لأبي إِسْحَاقَ إِبرَاهِيمَ بن السري بن سهل الزجاج. (ت ٣١١هـ). الطَّبَعَةُ الْأُولَى. تَحْقِيقُ عَبْدِ الْجَلِيلِ عبده شلبي. عالم الكتب. بَيْرُوت. ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ١١٠ - الْمُعْجَمُ الْمَفْهُوسُ لِأَلْفَافِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. وَضَعَهُ مُحَمَّدٌ فَوَّادُ عَبْدِ الْبَاقِي. الطَّبَعَةُ الْأُولَى. مطابع الشعب. مصر. ١٣٧٨هـ.
- ١١١ - مُعْجَمُ مَقَائِسِ اللَّغَةِ. لأبي الْحَسَنِ أَحْمَدَ بن فارس بن زكريا. (ت ٣٩٥هـ). تَحْقِيقُ: عَبْدِ السَّلَامِ هَارُونَ. دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ. بَيْرُوت. (د. ت.).
- ١١٢ - الْمَعْرَبُ مِنَ الْكَلَامِ الْأَعْجَمِيِّ عَلَى حُرُوفِ الْمَعْجَمِ. لأبي مَنْصُورٍ مُوْهَبِ بن أَحْمَدَ بن مُحَمَّدَ بن الْخَضِرِ الْجَوَالِيْقِيِّ. (ت ٥٤٠هـ). تَحْقِيقُ وَشَرْحُ: أَحْمَدَ مُحَمَّدَ شَاكِرٍ دَارِ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ. الْقَاهِرَةَ. ١٣٦١هـ.
- ١١٣ - مَعْرِفَةُ الْقُرَّاءِ الْكِبَارِ عَلَى الطَّبَقَاتِ وَالْأَعْصَارِ. لأبي عَبْدِ اللَّهِ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدَ ابنِ أَحْمَدَ بنِ عَثْمَانَ بنِ قَايْمَازِ التُّرْكَمَانِيِّ الذَّهَبِيِّ. (ت ٧٤٨هـ). تَحْقِيقُ: بِشَارِ عَوَادٍ مَعْرُوفٍ. وَشَعِيبِ الْأَرْنَؤُوطِ. وَصَالِحِ مَهْدِيِّ عَبَّاسِ الطَّبَعَةُ الْأُولَى. مُؤَسَّسَةُ الرَّسَالَةِ. بَيْرُوت. ١٤٠٤هـ.
- ١١٤ - الْمَغْرِبُ فِي تَرْتِيبِ الْمَغْرِبِ. لأبي الْفَتْحِ نَاصِرِ الدِّينِ بن عَبْدِ السَّيِّدِ بنِ عَلِيِّ بنِ الْمَطْرُزِ. (ت ٦١٠هـ). تَحْقِيقُ: مُحَمَّدُ فَاخُورِي، وَعَبْدُ الْحَمِيدِ مُخْتَارٌ. مَكْتَبَةُ أَسَامَةَ بنِ زَيْدٍ. حَلَبِ. الطَّبَعَةُ الثَّانِيَّةُ. ١٩٧٩م.
- ١١٥ - مَغْنِي اللَّيِّبِ عَنِ كُتُبِ الْأَعْرَابِ. لأبي مُحَمَّدَ جَمَالِ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ يُوْسُفِ ابنِ هِشَامِ الْأَنْصَارِيِّ. (ت ٧٦١هـ). تَحْقِيقُ: د. مَازِنُ الْمُبَارَكِ، وَمُحَمَّدُ عَلِيُّ حَمْدِ اللَّهِ. الطَّبَعَةُ الْأُولَى. دَارُ الْفِكْرِ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ. بَيْرُوت. ١٩٨٥م.
- ١١٦ - مَقَاتِيحُ الْعَيْبِ الْمَعْرُوفِ بِ(التَّفْسِيرِ الْكَبِيرِ)، وَبِ(تَفْسِيرِ الرَّازِيِّ). لأبي عَبْدِ اللَّهِ فَخْرِ الدِّينِ مُحَمَّدَ بنِ عُمَرَ بنِ حُسَيْنِ الْقُرْشِيِّ الطَّبْرِسْتَانِيِّ الْأَصْلَ الشَّافِعِيَّ الْمَذْهَبِ الرَّازِيِّ. (ت ٦٠٦هـ). الطَّبَعَةُ الثَّالِثَةُ. الْمَطْبَعَةُ الْبَهِيَّةُ الْمِصْرِيَّةُ. مِيدَانُ الْأَزْهَرِ. مِصْر. (د. ت.).
- ١١٧ - الْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ. لأبي الْقَاسِمِ بنِ حُسَيْنِ بنِ مُحَمَّدَ الْمَعْرُوفِ بِالرَّاغِبِ الْأَصْفَهَانِيِّ. (ت ٥٠٢هـ). أَعَدَّهُ لِلنَّشْرِ وَأَشْرَفَ عَلَى الطَّبْعِ: د. مُحَمَّدُ أَحْمَدُ خَلْفُ اللَّهِ. مَكْتَبَةُ الْأَنْجَلُو الْمِصْرِيَّةِ. (د. ت.).
- ١١٨ - الْمُقْتَضِبُ. لأبي الْعَبَّاسِ مُحَمَّدَ بنِ يَزِيدِ الْمِبْرَدِ (ت ٢٨٥هـ). تَحْقِيقُ: مُحَمَّدَ عَبْدِ الْخَالِقِ عَضِيمَةَ. دَارُ عَالَمِ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ. بَيْرُوتُ لَبْنَانَ. (د. ت.).

- ١١٩ - المقصور والممدود. لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء. (ت ٢٠٧هـ). دار الكتب المصرية. ١٩٥٥: ٢١.
- ١٢٠ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال. لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الذهبي. (ت ٧٤٨هـ). تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود. الطبعة الأولى. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٩٩٥م.
- ١٢١ - النشر في القراءات العشر. لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بـ(ابن الجزري). (ت ٨٣٣هـ). الطبعة الثانية. صححه وراجعه علي محمد الضباع. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ١٩٧٨م.
- ١٢٢ - النكت والعيون (المسمى: تفسير الماوردي). لأبي الحسن علي بن حبيب البصري. (ت ٤٥٠هـ). الطبعة الأولى. تحقيق: خضر محمد خضر. مطابع مقهوي. الكويت. ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ١٢٣ - النهاية في غريب الحديث والأثر. لأبي السعادات مجد الدين بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير. (ت ٦٣٠هـ). تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي. الطبعة الأولى. المكتبة العلمية. بيروت. ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ١٢٤ - الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي. (ت ٤٦٨هـ). تحقيق: صفوان عدنان داوودي. الطبعة الأولى. دار القلم، والدار الشامية. دمشق، وبيروت. ١٤١٥هـ.
- ١٢٥ - الوسيط في تفسير القرآن المجيد. لأبي الحسن علي بن أحمد النيسابوري الواحدي. (ت ٤٦٨هـ). تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، و د. أحمد محمد صبرة، و د. أحمد عبد الغني الحيل. مكتبة الباز. مكتبة المدينة المنورة. (د. ت.).
- ١٢٦ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان. (ت ٦٨١هـ). تحقيق: د. إحسان عباس. الطبعة الأولى. دار الثقافة. بيروت. ١٩٦٨م.

فهرس المحتويات

٦٩	عَلَيْهِمُ السَّلَامُ -	٧	مقدمة
٧٣	المَبْحَثُ الثَّانِي: اجْتِبَاءُ الْمُؤْمِنِينَ	١٠	التمهيد: تعريف الاجتباء والاختيار ...
	المَطْلَبُ الأوَّل: الترابط بين الاجتباء		الفصل الأوَّل: دراسة حكمة اجتباء
٧٣	والمشيئة الإلهية	١٧	واختيار الرسل
	المَطْلَبُ الثَّانِي: العلاقة بين الجهاد		المَبْحَثُ الأوَّل: الحكمة من بعث
٨٢	والاجتباء	١٩	الرسل
	المَبْحَثُ الثالث: اجتباء الآيات		المَبْحَثُ الثَّانِي: الحكمة من اجتباء
٩١	والثمرات	٢٣	الرسل
٩١	المَطْلَبُ الأوَّل: اجتباء الآيات	٢٩	الفصل الثاني: دراسة آيات الاجتباء ...
٩٤	المَطْلَبُ الثَّانِي: اجتباء الثمرات	٣١	آيات الاجتباء
١٠١	الفصل الثالث: دراسة آيات الاختيار ..	٣٢	آيات الاختيار
	المَبْحَثُ الأوَّل: اختيار موسى - عَلَيْهِ		المَبْحَثُ الأوَّل: اجتباء الأنبياء والرسل -
١٠٣	السَّلَامُ - وبني إسرائيل	٣٢	عَلَيْهِمُ السَّلَامُ -
	المَطْلَبُ الأوَّل: اختيار موسى - عَلَيْهِ	٣٣	المَطْلَبُ الأوَّل: الاطلاع على الغيب .
١٠٣	السَّلَامُ -		المَطْلَبُ الثَّانِي: الترابط بين الاجتباء
١٠٥	المَطْلَبُ الثَّانِي: الاختيار لميقات الله	٤٥	والهداية
١١٣	المَطْلَبُ الثالث: اختيار بني إسرائيل ..		المَطْلَبُ الثالث: اجتباء يوسف - عَلَيْهِ
١١٧	المَبْحَثُ الثَّانِي: مسائل متفرقة	٤٨	السَّلَامُ
١١٨	المَطْلَبُ الأوَّل: الخيرة		المَطْلَبُ الرَّابِع: اجتباء إبراهيم - عَلَيْهِ
١٢١	المَطْلَبُ الثَّانِي: تخير الكتاب	٥٢	السَّلَامُ -
	المَطْلَبُ الثالث: تخير الفاكهة في		المَطْلَبُ الخامس: اجتباء آدم - عَلَيْهِ
١٢٣	الجنة	٥٨	السَّلَامُ -
١٢٧	الخاتمة		المَطْلَبُ السادس: اجتباء يونس - عَلَيْهِ
١٢٩	المصادر والمراجع	٦٢	السَّلَامُ -
١٤٣	فهرس المحتويات		المَطْلَبُ السابع: اجتباء ذرية الأنبياء -